



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى  
كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

شعبة التفسير وعلوم القرآن

# التناسق الموضوعي في سورة الواقعة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

أحمد بن محسن بن علي العبيدي

الرقم الجامعي (٤٣١٨٠٢٠٨)

إشراف فضيلة الشيخ:

د. فهد شتوي الشتوي

الأستاذ في قسم الكتاب والسنة - بكلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م



## ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على معلم البشر أجمعين وبعد :  
فهذه رسالة مقدمة لكلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، تخصص التفسير وعلوم القرآن، لنيل درجة الماجستير بعنوان : ( التناسق الموضوعي في سورة الواقعة ) .  
وهذا وصف عام لبناء الرسالة مقدم بين يدي القارئ الكريم :  
انتظم عقد هذه الرسالة في مقدمة وبايين وخاتمة .  
أما المقدمة فقد اشتملت على بيان أهمية الموضوع وأهدافه، وأسباب اختيار الموضوع، وبيان الجهود والدراسات السابقة، وخطة ومنهج البحث.

**الباب الأول :** بين يدي السورة الكريمة ، واشتمل على سبعة فصول:

**الفصل الأول:** التعريف بالسورة وما اشتهر لها من أسماء، وفيه مبحثان.

**الفصل الثاني:** ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها، وفيه مبحثان.

**الفصل الثالث:** عدد آيات السورة وتاريخ نزولها، وفيه مبحثان.

**الفصل الرابع:** تعريف المكي والمدني وفائدة معرفتهما، وثبوت مكية السورة، ومناسباتها لما قبلها وما بعدها ووجه اختصاصها بما اختصت به، وفيه ثلاثة مباحث وعدة مطالب.

**الفصل الخامس:** مقاصد السورة.

**الفصل السادس:** الوحدة الموضوعية.

**الفصل السابع:** مناسبات السورة الكريمة، وفيه ثلاثة مباحث.

**الباب الثاني:** موضوعات السورة الكريمة وتناسقها التي هي مدار البحث، واشتمل على ثلاثة فصول:

**الفصل الأول:** إثبات وقوع البعث، أهواله، وأقسام الناس فيه، واشتمل على مبحثين وعدة مطالب.

**الفصل الثاني:** إثبات البعث بالأدلة العقلية الحسية، والقسم بشرف القرآن الكريم وحقيقته، واشتمل على مبحثين وعدة مطالب.

**الفصل الثالث:** وصف حال الإنسان عند الموت، وأحوال الناس بعد الموت ومآلهم، واشتمل على مبحثين وعدة مطالب.

ثم كانت الخاتمة التي احتوت على أهم نتائج البحث ومنها :

١- تناسق وترايط السورة بين مواضيعها ومع محورها الأساس لتمثل وحدة موضوعية متكاملة.

٢- أهمية التناسق الموضوعي في فهم الآيات وإظهار الجوانب البلاغية.

٣- امتازت السورة الكريمة بالوصف البديع لأهوال يوم البعث وأحوال الناس فيه ترغيباً وترهيباً.

٤- أهمية الأدلة العقلية الحسية في إقناع المخالف وإقامة الحجة.

هذا :

والله تعالى المسئول أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه ، وأن ينفع به كاتبه وقارئه . **الباحث**

### The abstract of Master Thesis

This thesis submitted to Faculty of Dawah (Preachment) & Principles of Religions, Department of Holy Quran & Hadiths, Specialization of Interpretations & Quranic Sciences to achieve Master Degree under the topic of "Thematic Concent in Surah Waqiah"

This thesis consists of a Preface, two Sections & a conclusion.

In the Preface, the importance of the topic & its targets, the reasons for choosing of this topic, the explanations of earlier struggles & studies, plan & methodology of this thesis, have been described.

The first section " In Front of Surah" consists of seven chapters.

The first chapter describes the definition of Surah & Its famous names in two subjects.

The second chapter " What has been narrated in the virtues of Surah or of its some verses". It has two subjects.

The third chapter" The No. of Its Verses & Date of Its Revelations".

The fourth Chapter" The Definition of Makki & Madni & the Benefits of Knowing it, Evidences of Makki Surah, & Its suitability to Previous & subsequent Surahs, The distinguishness & its reasons,". It contains three subjects.

The fifth chapter" the purposes of Surah".

The sixth chapter describes the Unity of Themes.

The seventh chapter illustrates the suitability of Surah under the three subjects.

The second section named 'The Subjects of Surah & Its Suitability' which is the axis of this thesis contains three chapters.

The First chapter discusses the occurrence of resurrection day, its terrific conditions, the kinds of people in it. It has two subjects.

The second chapter" to prove Resurrection day with sensitive rational evidences & to pledge of honour of quran & its truthness". It has two subjects & different topics.

The third chapter" Descriptions of Human Conditions at death, & after death & Their Fates" has two topics.

The conclusion comprising of significant results which has been derived from the thesis, of which most important ones are :--

- 1- Suitability & coherence of Surah between its subjects & with its basic axis represent complete thematic unity.
- 2- The importance of thematic suitability in understanding the verses & exposition of rhetorical aspects.
- 3- This noble Surah distinguished with unprecedented description of horrors of resurrection day & the conditions of people in it .
- 4- The importance of sensitive rational proofs in convincing the opponent & to prove argument.

May Allah accept this work & make it useful for writer & reader.

## شكر وتقدير

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، وأصلي وأسلم على خير من تعلم وعمل وعلم ، سيدنا محمد ﷺ .  
أم بعد :

فأشكر الله كثيراً على عونه وتوفيقه، ثم أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى أستاذي الفاضل سعادة الدكتور :/ فهد شتوي الشتوي المشرف على هذه الرسالة على ما أولاه إليّ من جهد واهتمام، وما قدمه من نصح وتوجيه وإرشاد خلال مراحل هذه الرسالة، فقد كان لتوجيهه السديد الأثر الكبير في إظهار هذه الرسالة المتواضعة إلى حيز الوجود، وأود ان أبين أنه حفظه الله أضاف إضافات مثرية ومحسنة للبحث أدرجتها في ثنايا البحث، أدعوا الله الحي القيوم أن يجزيه عني خير الجزاء لما وجدت منه من حرص ونصح عزيز في هذا الزمان.  
كما أتقدم بالشكر و التقدير لجامعة أم القرى على إتاحة الفرصة لنا أن نكون ضمن الطلبة الباحثين في التفسير وعلوم القرآن، وأخص بالشكر كلية الدعوة وأصول الدين ممثلة في قسم الكتاب والسنة، وكافة أساتذتي الكرام أعضاء هيئة التدريس على توجيهاتهم القيمة خلال دراستنا.

وأخصّ بالشكر الجزيل والداي حفظهما الله ورعاهما اللذان وبلا شك لهما الفضل بعد الله فيما وصلت إليه من مرحلة أرجوا أن تكون نافعة مباركة، ولا أنسى زوجتي وأبنائي البررة على صبرهم واهتمامهم ودوام متابعتهم لسير دراستي . وأكرر شكري وتقديري لكل من ساهم وساعد بصورة مباشرة أو غير مباشرة في إنجاح هذا الجهد وسهوت عن ذكر اسمه.  
أسأل الله العليّ القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يمدنا بعونه وتوفيقه ويجعل ما تعلمناه عوناً لنا على أفضل الأداء ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .  
والله الموفق ،،،

الباحث،،،

# المقدمة

## المقدمة

أولاً: أهداف البحث.

ثانياً: أهمية الموضوع.

ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع.

رابعاً: بيان الجهود والدراسات السابقة في الموضوع.

خامساً: منهج البحث.

سادساً: طريقة السير في البحث.

سابعاً: هيكل البحث.



## المقدمة

الحمد لله أحمدته وأستعينه وأستغفره وأستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله والتابعين لهم بإحسان أما بعد:

فإن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة، وحجته الباقية، فهو كتاب نور وهداية، وكتاب علم وعمل، و"هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيع به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشعب منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه"<sup>(١)</sup>، نزله الله على قلب محمد ﷺ منجما حسب الوقائع والأحداث، وكان ﷺ كلما نزلت عليه آية أمر أصحابه بكتابتها في مواضع يعينها لهم حسبما وقفه جبريل عليه السلام دون مراعاة لترتيب النزول، وقد تألف مما جمع على هذا النحو سور مؤتلفة المباني متسقة المعاني متناسقة الموضوعات، لا تكاد تحس بأدنى خلل في بنائها أو تنافر بين أجزائها.

وقد اهتم بعض العلماء منذ وقت مبكر بدراسة أسرار الآيات ونظمها تحت مسمى الإعجاز البلاغي والبياني، ولا شك أن إثبات التناسق الموضوعي في سور القرآن الكريم هو شامل لجميع هذه الأسرار، ومن هنا جاءت أهميته في التفسير، وخاصة في التفسير الموضوعي مما يجعله يستحق البحث والدراسة.

ولما كنت أحد طلاب مرحلة الماجستير شعبة التفسير وعلوم القرآن، الذين يبحثون عن موضوع لنيل درجة الماجستير به، استخرت الله تعالى، فاخترت البحث في التفسير الموضوعي وبالأخص في التناسق منه، ليكون عنوان بحثي هو: (التناسق الموضوعي في سور الواقعة)، وهو جزء من مشروع تبناه قسم الكتاب والسنة وتفضل به على طلبة العلم للبحث فيه.

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، برقم: (٢٩٠٦)، (١٧٢/٥)، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال، ورواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، برقم: (٣٣٧٤)، (٢٠٩٨/٤)، وحكم الألباني بالضعف، في كتابه: (ضعيف سنن الترمذي) (٣٤٩/١)، لكنه كلام صحيح في نفسه ورصين.

## أولاً: أهداف البحث

وقد أردت من خلال بحثي هذا تحقيق الأهداف التالية :

- ١ - إبراز إعجاز القرآن الكريم في النظم البديع، من خلال التناسق الموضوعي في السّورة، والوقوف على الارتباط الوثيق بين محاور السّورة وآياتها.
- ٢ - إظهار التناسق الموضوعي في سورة الواقعة من خلال البحث العلمي الرصين.
- ٣ - الوقوف على الهدايات القرآنية في السورة الكريمة، والاستفادة منها في واقع حياة المجتمع الإسلامي.

## ثانياً: أهمية الموضوع

يرى قارئ القرآن الكريم في كثير من السور القرآنية أنها تجمع في السورة الواحدة مواضيع متنوعة وأغراضاً مختلفة من عقائد وأحكام ومواعظ وقصص وأمثال وحكم ، يتنقل بينها من غير فصل. والقرآن بذلك مباين لمناهج التأليف البشرية التي تعتمد على التبويب والترتيب ، وهذا ما جعل المغرضين من المستشرقين يطعنون في القرآن ويرون آياته لا تحمل سياقاً ، ولا يجدون لها وفاقاً ، بل إن في سرده للموضوعات عشوائية واضطراباً ، وزعموا أن ذلك راجع إلى البدائية والبساطة في طريقة التأليف مما يدل على أنه فكر بشري لا وحي إلهي ، والحقيقة أن التالي لأي سورة من مطلعها إلى ختامها لا يشعر بنشاز أو اضطراب ، ولا يرى انقطاعاً أو انفصالاً ، بل يخلص من معنى إلى آخر خلوصاً طبيعياً لا عسر فيه ولا نفرة، ويرى أن هذه المعاني تنتظم في أصل واحد هو محور السورة الأساس، بل إن المفردات القرآنية والتراكيب لتتظافر حتى تقرر هذا المحور والاصل الأساس.

ويمكن إيجاز أهمية الموضوع في النقاط التالية:

- ١ - إظهار إعجاز القرآن في ترابط وتناسق كلمات القرآن وجمله وآياته وتناسق مواضيع السورة الكريمة الواحدة مع بعضها ومع المحور الأساس لكل سورة من سور القرآن الكريم.
- ٢ - الرد على المشككين في ترابط كلمات وجمل وآيات ومواضيع السورة الكريمة وإثبات ضد تلك الدعاوى وإبطالها بإظهار ترابط السورة الكريمة.
- ٣ - من خلال البحث في هذا الموضوع تظهر هدايات وتوجيهات لم تظهر قبل.

## ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع

بقي الحديث عن التناسق الموضوعي لسور القرآن الكريم يتردد صداه بين علماء وأساتذة التفسير في ردهات الجامعات وقاعات المحاضرات فترةً من الزمن، إلى أن وقَّع الله قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى لإشعال هذا المصباح المنير، وتبني هذا المشروع العظيم، ليكون له قصب السبق في ذلك، ثم طرح هذا المشروع على طلبة الدراسات العليا في شعبة التفسير وعلوم القرآن، فاخترت المشاركة فيه للأسباب التالية:

**أولاً-دافع شرعي:** المسابقة فيه لما لدراسة القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه من أجر كبير وشرف عظيم؛ إذ أحق ما صُرفت إليه الأفهام، وبُذلت فيه الجهود ما كان متصلاً بكتاب الله الكريم قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُوكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١)، لعل الله أن يكتب لي في التوفيق والفتح والقبول، وأكون ممن أسهم في مجال خدمة كتاب الله المجيد ولو بشيء يسير.

**ثانياً- دافع موضوعي ومنهجي:** وذلك لقلة من كتب في التناسق بين الآيات في السورة، وبالتالي بين موضوعات السورة، وخاصة إذا علمنا أن التأليف في هذا الموضوع - حسب ما اطلعت عليه - لا يوجد إلا مفرقا في بطون بعض الكتب والرسائل العلمية، حيث إن هذه الكتب والرسائل العلمية لم تعتمد إلى الكتابة فيها إلا كتابة ثانوية عند حديثهم عن السورة، وسيأتي الكلام عنها في الجهود السابقة في الموضوع.

ومما يجدر بالذكر أن أنظار العلماء والباحثين قد اتجهت إلى النظر في أوجه إعجاز القرآن الكريم من جهة اللفظ ومن جهة المعنى، ولكنهم لم يعطوا التناسق الموضوعي كبير اهتمام، وفي ذلك يقول الرازي (٢) في تفسير سورة البقرة «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها

(١) [سورة ص الآية: ٢٩].

(٢) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر. أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، من  
←=

علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب نظم أسلوبه أرادوا ذلك ، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منبهين لهذه الأسرار<sup>(١)</sup> .

ويقول سعيد حوى<sup>(٢)</sup> في مقدمة الأساس في المنهج: « دندن علماؤنا حول الصلة بين آيات السورة الواحدة وحول الصلة بين سور القرآن، وحول السياق القرآني؛ وجاءت نصوص تتحدث عن أقسام القرآن: قسم الطوال، وقسم المئين، وقسم المثاني، وقسم المفصل، ولم يستوعب أحد من المؤلفين الحديث عن هذه القضايا - في علمي - بما يغطيها تغطية مستوعبة، وفي عصرنا - الذي كثر فيه السؤال عن كل شيء - أخذ كثير من الناس يتساءلون عن الصلة بين آيات القرآن الكريم وسوره .... فأصبح الكلام في هذا الموضوع من فروض العصر الذي نحن فيه ..»<sup>(٣)</sup>.




---

تصنيفه: (مفاتيح الغيب) في تفسير القرآن الكريم، و (لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات) و (معالم أصول الدين) وتوفي في هرة سنة ٦٠٦ هـ . الأعلام للزركلي (٦/ ٣١٣).

(١) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للرازي (٧/ ١٣٩).

(٢) هو: سعيد بن محمد ديب حوى وتنسب عائلته إلى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، ولد في حماة ٢٧ / ٩ / ١٩٣٥م، وتوفي بعد غيبوبة طويلة ظهر يوم الخميس ١ شعبان ١٤٠٩ هـ الموافق ٩ آذار ١٩٨٩م، من مؤلفاته: (الأساس في التفسير) ، (الأساس في السنة)، (الأساس في العقيدة). ينظر موقع الشيخ سعيد حوى: <http://www.saidhawwa.com>

(٣) الأساس في التفسير لسعيد حوى (٩/١) .

## رابعاً: بيان الجهود والدراسات السابقة في الموضوع

### ❖ الدراسات الخاصة:

وأعني بها الدراسات التي تناولت سورة الواقعة دراسة موضوعية، فقد قمت بإجراء عملية بحث واسعة عنها، في أروقة المكتبات العلمية الكبيرة، وكذلك عن طريق الشبكة العنكبوتية، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فوجدت ما يلي:

١ - رسالة علمية بعنوان سورة الواقعة ومنهجها في إثبات البعث والتوحيد للدكتور محمد السيد راضي جبريل، رسالة دكتوراه ممنوحة من جامعة الأزهر لعام ١٩٨٠م، وكما هو واضح أن الرسالة تحدثت عن إثبات البعث والتوحيد وهو واحد من موضوعات السورة الكريمة .

٢ - رسالة ماجستير بعنوان سورة الواقعة وهداها وبيناتها ل: عدنان جابر محمد الطويرقي، كلية الشريعة بجامعة أم القرى عام ١٤٠٠هـ، والرسالة تركز على هدايات السورة ولم تتعرض للتناسق .

٣ - رسالة بعنوان سورة الواقعة وهداها وبيناتها للدكتور محمد الصادق عرجون، وهي كالرسالة السابقة ليس فيها ذكر للتناسق الموضوعي .

٤ - تأملات في سورة الواقعة، د.زهير عماد حافظ، أ.مشارك بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهي مجرد تأملات ذكر فيها معاني الآيات ولم يعتن فيها بذكر للتناسق، وقد استفدت من تلك الدراسة.

٥ - بحث مقدم إلى قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية التابعة سابقاً للرئاسة العامة لتعليم البنات بالرياض جزء من متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية لعام ١٤١٠هـ، للباحثة حصة عبدالله المنصور بعنوان سورة الواقعة دراسة موضوعية وتحليلية.

وأما علماء التفسير المتأخرون والمعاصرون فإنهم قد أفادوا مما وصل إليه المتقدمون في هذا الشأن ، وساروا بخطوات ثابتة نحو استجلاء المحور الذي تربط عليه جميع موضوعات السورة ، وقد استطاع بعضهم أن ينظر بعين فاحصة إلى أجزاء السورة وينظر بناءها المتكامل المتسق ، ويضع يده على غرضها الرئيس بشكل أدق مما توصل إليه بعض المفسرين من قبل.

ويعد أديب العربية مصطفى صادق الرافعي<sup>(١)</sup> من الذين تنبهوا إلى أن في بناء السورة ربطاً خفياً ينظم لبناتها، وتتناسق موضوعاتها مع تعدد وجوه الكلام فيها، فسمى هذا الرابط بروح التركيب. ومن أفضل من حاول في تفسيره ذكر أغراض السورة وتوسع فيها هو المفسر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور<sup>(٢)</sup>، وقد نص على ذلك في مقدمته لكتابه "التحرير والتنوير". وكذلك من أكثر المطبين لإثبات "التناسق الموضوعي" أو "الوحدة الموضوعية" في القرآن، واستدل لها، وعمد إلى إبرازها تطبيقياً الدكتور/ محمد عبد الله دراز في كتابه "النبا العظيم" بين حسن التأليف في السورة الواحدة التي تتنوع فيها الموضوعات باعتباره وجهاً من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم.

ويعد كتاب سيد إبراهيم قطب<sup>(٣)</sup> "في ظلال القرآن" من أحسن ما كتب في هذا المجال، وقد تميز في إظهار التناسب الموضوعي في موضوعات السورة والتناسق الفني في صياغتها صياغة أدبية راقية. كما امتاز في عرضه للموضوعات القرآنية بصياغتها بما يظهر الاعتزاز بالإسلام وصلاحيته للتطبيق في الحياة المعاصرة وفي كل زمان ومكان.

وقد التزم المؤلف في كتابه هذا بأن يقدم بين يدي السورة بمقدمته تتحدث عن أغراضها ومحورها الرئيس، وبعض القضايا المهمة التي تشير إليها الآيات مما له مساس بواقع الأمة، ثم يعرض السورة عرضاً إجمالياً، ثم يقسمها لمقاطع يتحدث عن كل مقطع بالتفصيل.

(١) هو: مصطفى صادق بن عبد الرازق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي: عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتابي. أصله من طرابلس الشام، ومولده في بهتيم سنة: (١٢٩٨هـ) ووفاته في طنطا (مصر) سنة: (١٣٥٦هـ) أصيب بصمم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به. شعره نقي الديباجة، على جفاف في أكثره. ونثره من الطراز الأول. له (ديوان شعر) ثلاثة أجزاء، و (تاريخ آداب العرب) جزآن، ثالثهما (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) و (تحت راية القرآن) وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ٢٣٥).

(٢) هو: محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها مقاصد الشريعة الإسلامية والتحرير والتنوير، توفي سنة ١٣٩٣هـ، انظر: الأعلام، للزركلي: (٦/ ١٧٤).

(٣) هو: سيد قطب بن إبراهيم: من مواليد قرية (موشا) في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣ هـ وعمل في جريدة الأهرام. وكتب في مجلتي (الرسالة) و (الثقافة)، انضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها، ومن كتبه (مشاهد القيامة في القرآن) و (الإسلام ومشكلات الحضارة) و (المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق) أعدم شتقاً سنة ١٣٨٧هـ. الأعلام للزركلي (٣/ ١٤٧).

وقد صدرت مؤخرا موسوعة علمية رائعة باسم (التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم "، من إعداد : نخبة من أساتذة التفسير وعلوم القرآن ، بإشراف أ.د. مصطفى مسلم. وهي من إصدارات جامعة الشارقة ، وقد بين المشرف في المقدمة منهج العمل فيه وهو باختصار كما يلي :

أ- ذكر مقدمة بين يدي السورة للتعريف بأسمائها وفضائلها ومكيها ومدنيها وعدد آياتها ومحور السورة ومناسباتها ، وذلك على أن لا تزيد الكتابة فيها عن خمس صفحات.

ب- تفسير مقاطع السورة تفسيرا إجماليا ، وبيان الهداية المستنبطة منها ، وذلك على أن لا تزيد الكتابة في تفسير المقطع وبيان الهدايات المستنبطة منه عن سبع صفحات .

وهنا أحب أن أشير إلى أن التناسق الموضوعي للسورة القرآنية شيء ، والتفسير الموضوعي لها شيء آخر كما هو واضح جلي للمتخصص.

### بيان الفرق بين التفسير الموضوعي والتناسق الموضوعي ودواعي الكتابة فيه:

هناك فرق بين الدراسة الموضوعية والتناسق وذلك من عدة أمور:

أولاً: أن التفسير الموضوعي يعالج قضايا عامة في السورة القرآنية، أما التناسق الموضوعي فهو يعني بالربط بين مواضع السورة الكريمة.

ثانياً: كانت تأليف العلماء السابقين رحمهم الله تعتبر تابعة والبعض منها مجرد جمع لمن سبقه، ومع ذلك فقد كان لها حظ من القبول والانتشار، ولم يمنع ذلك التكرار والنقل والجمع من الاستمرار في التأليف.

ثالثاً: أن لكل كاتب قلمه الذي يمليه عليه فكره الذي هو حصيلة دراسات وبحوث وقراءات متنوعة في شتى أنواع ومجالات العلم النظرية والتطبيقية، فقلم العالم الداعية سيد قطب يختلف عن قلم المفسر العالم الطاهر ابن عاشور وهكذا دواليك، كما أن لكل طبقة من طبقات الزمان مشاربها الفكرية المختلفة عما قبلها من الأزمنة، ولهذا كانت الكتابة في هذا الضرب من التأليف إضافة حسنة مقبولة.

رابعاً: أن التناسق الموضوعي له سمته التي يتميز فيها بالربط بين المواضيع الفرعية ببعضها البعض ومع الموضوع والمحور الأساس للسورة الكريمة، وذلك بعد إبراز تلك المواضيع الفرعية والموضوع الأساس وبيانها.



## خامساً: منهج البحث

- سأعتمد في دراستي هذه على المناهج المعتمدة في البحث العلمي وهي المنهج الوصفي والمنهج التحليلي والمنهج الإستقرائي.
- أ - المنهج الوصفي: وذلك في دراسة المصطلحات الأساسية والمفردات المتعلقة بهذه الدراسة، والقيام بوصفها وصفاً شاملاً، والاقتصار على ترجمة الأعلام غير المشهورين.
- ب - المنهج التحليل: وذلك لتحليل الموضوعات التي اشتملت عليها السورة وبيان تناسبها .
- ج - المنهج الإستقرائي: وذلك بكل ما يختص بالموضوع من جميع جوانبه وخاصة البيانية والتي تخدم موضوع الربط بين كلمات وجمل وآيات ومواضيع السورة الكريمة.

## سادساً: طريقة السير في البحث

- ١- التعريف الكامل بالسورة، وبيان اختصاصها بما اختصت به، وسبب ذلك.
  - ٢- تقسيم السورة إلى موضوعات ، ووضع عنوان مناسب لكل موضوع .
  - ٣- كتابة الآيات الخاصة بالموضوع، وذكر الروايات التي قيلت إنها من أسباب النزول، وترجيح الرواية الصحيحة والصريحة في ذلك، ومحاولة معرفة المناسبة بين كل موضوع وآخر، وربط كل موضوع بما قبله وما بعده.
  - ٤- تفسير آيات الموضوع تفسيراً وسطاً ليس بالإيجاز المخل، ولا بالإطناب الممل.
- وقد راعيت في هذا التفسير ما يلي :
- ١- بيان معاني مفردات الآية.
  - ٢- بيان الصلة والتناسق بين جمل الآية الواحدة بإيجاز.
  - ٣- بيان الصلة والتناسق بين آيات الموضوع الواحد.
  - ٤- بيان بلاغة التعبير القرآني في الموضوع الذي يخدم هدف السورة، أو محورها من محاورها.
  - ٥- التعرض بالتوسع للقضايا البارزة في آيات الموضوع الواحد.
  - ٦- ختم آيات كل موضوع من موضوعات السورة بعنصر يحمل العنوان التالي : ما ترشد إليه الآيات، وتحت هذا العنوان أركز على أهم الحقائق والدلالات والإرشادات التي تتضمنها تلك الآيات، وربطها بواقع الأمة الإسلامية.
  - ٧- ذكر الأحكام الواردة في السورة وذلك بالرجوع إلى المصادر والمراجع الأصلية من أمهات كتب التفسير، والحديث، والفقه وغيرها مما له صلة بموضوع البحث.
  - ٨- استخراج أقوال الأئمة الفقهاء من كتبهم المعتمدة، وتبعية آراء وفتاوى علماء العصر، في المسائل المستجدة لبيان الحكم الشرعي فيها، مع ذكر الترجيح بينها، استناداً إلى الدليل، وعند العجز عنها الاكتفاء بذكر أقوال الفقهاء وسردها.
  - ٩- مناقشة الموضوعات الرئيسية في السورة من خلال الأدلة والاستعانة بآراء العلماء.

## سابعاً: هيكل البحث

يشتمل البحث على : (( مقدمة وتمهيد وباين وخاتمة )) .

المقدمة: وتشتمل على:

- بيان أهمية الموضوع وأهدافه .
- بيان أسباب اختيار الموضوع .
- بيان الجهود والدراسات السابقة .
- خطة البحث .

التمهيد : التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة لغةً واصطلاحاً .

### الباب الأول: بين يدي السورة الكريمة

ويشتمل على سبعة فصول:

الفصل الأول: التعريف بالسورة وما اشتهر لها من أسماء، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالسورة لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني: اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء .

الفصل الثاني: ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أهمية معرفة فضائل السور، وما قاله العلماء في ذلك.

المبحث الثاني: ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها .

الفصل الثالث: عدد آيات السورة، وتاريخ نزولها، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: عدد آيات السورة واختلاف علماء العد في ذلك.

المبحث الثاني: تاريخ نزول السورة.

الفصل الرابع: تعريف المكي والمدني وفائدة معرفتهما، وثبوت مكة السورة، ومناسباتها لما قبلها وما بعدها، ووجه اختصاصها بما اختصت به، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المكي والمدني من السورة وفائدة معرفته، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المكي والمدني من السورة .

المطلب الثاني: فائدة معرفة المكي والمدني في القرآن .

المطلب الثالث: المكي والمدني في السورة .

المبحث الثاني: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفائدة من معرفة المناسبات بين السور والآيات .

المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما بعدها.

المبحث الثالث: وجه اختصاص السورة بما اختصت به من موضوعات.

الفصل الخامس: مقاصد السورة وأهدافها .

الفصل السادس: الوحدة الموضوعية.

الفصل السابع: مناسبات السورة الكريمة ، ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مناسبة اسم السورة لموضوعاتها.

المبحث الثاني : مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها.

المبحث الثالث : مناسبة فاتحة السورة لخاتمها .

الباب الثاني: موضوعات السورة الكريمة وتناسقها

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: وقوع البعث، أهواله، وأقسام الناس فيه: ويشمل الآيات

(١-٥٦). وفيه مبحثان:

**المبحث الأول :** وقوع البعث، أهواله، وإظهار تناسق آيات المقطع مع المطلع، وفيه خمسة مطالب:

**المطلب الأول:** تناسق آيات المقطع مع المطلع وهو ما يسمى ببراعة الاستهلال.

**المطلب الثاني:** ربط الموضوع بالمحور الأساس للسورة.

**المطلب الثالث:** التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

**المطلب الرابع:** المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

**المطلب الخامس:** أهم ما ترشد إليه الآيات.

**المبحث الثاني:** أقسام الناس يوم البعث بحسب أعمالهم، وفيه خمسة مطالب:

**المطلب الأول:** ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

**المطلب الثاني:** التناسق والرابطة بين موضوعات الآيات والموضوع السابق.

**المطلب الثالث:** التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

**المطلب الرابع:** المعنى الإجمالي للآيات .

**المطلب الخامس:** أهم ما ترشد إليه الآيات .

**الفصل الثاني:** إثبات البعث بالأدلة العقلية الحسية، والقسم بشرف

**القرآن الكريم وحقيقته:** ويشمل الآيات (٥٧-٨٠) وفيه مبحثان:

**المبحث الأول:** إبراز مظاهر توحيد الله وقدرته على البعث من خلال إثبات أدلة قدرته على بدء الخلق وإنبات الزرع وإنزال الماء وإنشاء النار ، وفيه خمسة مطالب:

**المطلب الأول:** ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

**المطلب الثاني:** التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والموضوع السابق.

**المطلب الثالث:** التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الرابع : المعنى الإجمالي للآيات .

المطلب الخامس : أهم ما ترشد إليه الآيات .

**المبحث الثاني:** القسم العظيم من الرب العظيم على شرف كلامه العظيم وصدقه، وفيه خمسة مطالب.

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والموضوع السابق.

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي للآيات .

المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه الآيات .

**الفصل الثالث : وصف حال الإنسان عند الموت، وأحوال الناس بعد**

**الموت ومآلهم:** ويشمل الآيات (٨١-٩٦). وفيه مبحثان:

**المبحث الأول:** وصف حال الإنسان عند الموت، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والتي قبلها.

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي للآيات .

المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه الآيات .

**المبحث الثاني:** أحوال الناس بعد الموت ومآلهم، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الأساسي للسورة.

المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والتي قبلها.

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي للآيات .

المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه الآيات

## الخاتمة

وتشتمل على :

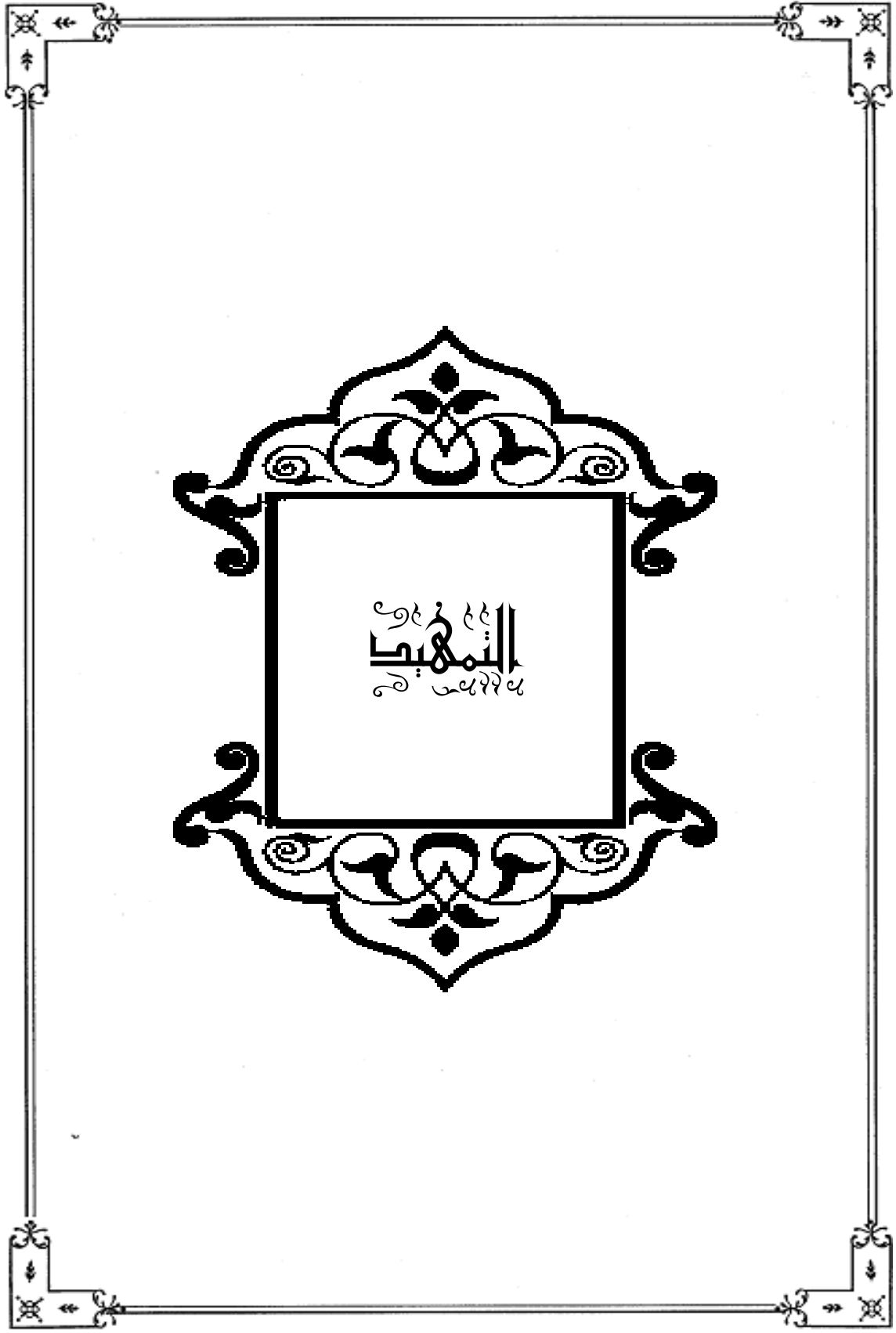
- ١- نتائج البحث .
- ٢- توصيات الباحث .

## الفهارس

وتتكون من :

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية والآثار .
- فهرس الأعلام .
- قائمة المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين





# التمهيد

التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحاً

## التمهيد: التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة

### أولاً: تعريف التناسق:

التناسق في اللغة: من نسق، والنسق يأتي على مفهوم الانتظام، «فالنسق من كل شيء ما كان على نظام واحد عام في الأشياء، ونسقته نسقا ونسقته تنسيقا ونقول انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت<sup>(١)</sup>».

كما يأتي بمعنى التابع، «فالنون والسين والقاف من نسق أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء، وكلام نسق جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض، وأصله قولهم ثغر نسق إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية، وخرز نسق منظم قال أبو زبيد<sup>(٢)</sup>:

بجيدٍ ريمٍ كريمٍ زانُهُ نَسَقٌ يكاد يُلهِبُهُ الياقوتُ إلهاباً<sup>(٣)</sup>

وقد وردت اللفظة في كلام العلماء والمؤلفين في شتى العلوم، فقد استعملها علماء اللغة في النحو، «فالنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطف عليه شيئاً بعده جرى مجرى واحدا<sup>(٤)</sup>»، فالتناسق لغة يرجع إلى معنى الانتظام والتتابع والعطف وهو من لازم التابع.

### ثانياً: تعريف الموضوعي:

الموضوعي في اللغة: «وضع: الوضع: ضد الرفع، وضعه يضعه وضعا و موضوعا<sup>(٥)</sup>».

فالموضوع: هو الحط وجعل الشيء في مكان ما، والوضع أعم من الحط ومنه الموضوع قال تعالى

(١) كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال (٨١/٥)

(٢) أبو زبيد الطائي الشاعر المشهور له إدراك واختلاف في إسلامه، قيل اسمه المنذر بن حرملة والصحيح حرملة بن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة بن النعمان بن طيء، ينظر: الأغاني (١٥٠/١٢)، الإصابة (١٦٢/٧)

(٣) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار النشر: دار الجليل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية (٤٢٠/٥)

(٤) لسان العرب لابن منظور المصري (٣٥٣/١٠).

(٥) المصدر السابق (٣٩٦/٨)

( يحرفون الكلم من بعد مواضعه )، ويقول سبحانه ( والأرض وضعها للأنام ) فهذا بمعنى الخلق والإيجاد<sup>(١)</sup>.

### الموضوعي في الاصطلاح:

وفي اصطلاح العلماء يختلف من علم لآخر فهو عند المحدثين: «المختلق المصنوع»<sup>(٢)</sup>. وعند المفسرين: «القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن الكريم، ولها وجهة واحدة تجمعها، عن طريق المعنى الواحد، أو الغاية الواحدة»<sup>(٣)</sup>، وقيل: «ما التفسير الموضوعي إلا تفسير القرآن بالقرآن»<sup>(٤)</sup>، فيمكن أن يقال أن الموضوع هو الوحدة الموضوعة ذات حيادية ومعنى ووجهة واحدة مستقلة بذاتها.

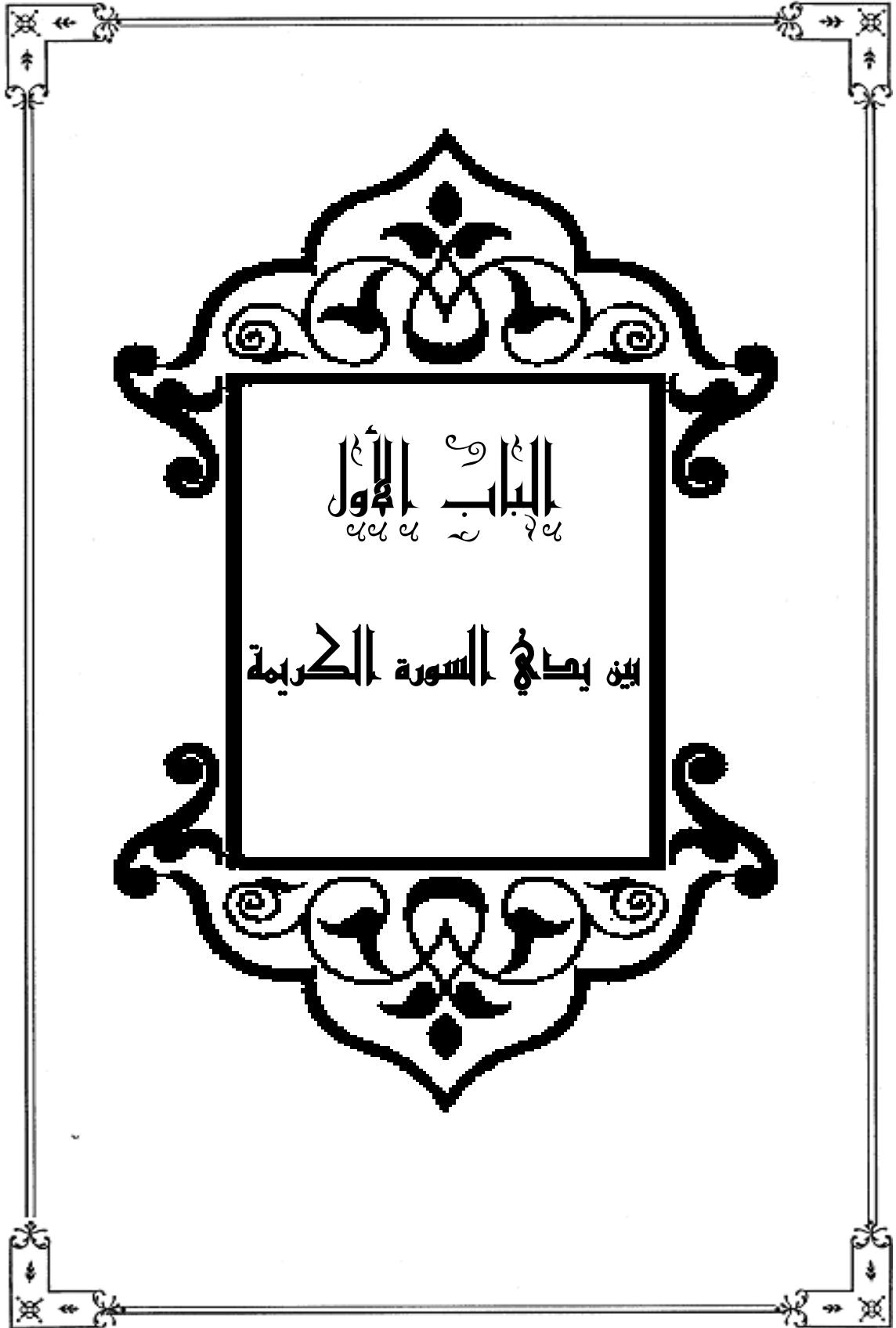
### **ثالثاً: تعريف التناسق الموضوعي (المركب الوصفي):**

بعد إيضاح معنى التناسق والموضوعي يحسن بنا أن نضع للتناسق الموضوعي تعريفاً يوضح معناه ومقصوده هنا فنقول:

التناسق الموضوعي: انتظام موضوعات السورة الواحدة وتتابعها من خلال غرض السورة ومقصدها<sup>(٥)</sup>.



- (١) ( ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ١/٥٢٦ )
- (٢) المقنع في علوم الحديث، لسراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري، دار النشر: دار فواز للنشر - السعودية - ١٤١٣هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، (١/٢٣٢)
- (٣) المدخل إلى التفسير الموضوعي، للدكتور عبدالستار فتح الله سعيد، دار النشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية - بور سعيد - ١٤١١هـ - ١٩٩١م، الطبعة الثانية، (ص ٢٠)
- (٤) خاطرات حول التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (محاضرة ألقاها الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا) محرك البحث قوقل، موقع إسلاميات، نافذة القرآن الكريم. [www.islamiyyat.com](http://www.islamiyyat.com)
- (٥) استفدت في صياغة التعريف من الشيخ الاستاذ الدكتور: عبدالعزيز عزت أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى سابقاً والمشرف على الرسالة في أولها قبل أن يترك العمل بالجامعة.



الباب الأول  
٤٤ ٤ ٤٤

بين يضي السورة الحريمة

# الفصل الأول

التعريف بالسورة وما اشتهر لها من أسماء

---

ويشتمل على مبحثين: -

المبحث الأول: التعريف بالسورة لغة واصطلاحاً. 

المبحث الثاني: اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء. 

\* \* \* \* \*

# المبحث الأول

التعريف بالسورة لغة واصطلاحاً

---

\* \* \* \* \*

## التعريف بالسورة لغة واصطلاحاً

قال الله تبارك وتعالى في سورة النور: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup> وفي آيات أخر، فتسميتها بالسورة تسمية ربانية.

كما وردت تسميتها في السنة فعن أبي مسعود البديري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "من قرأ الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه"<sup>(٢)</sup>، فسمى النبي ﷺ البقرة بالسورة. **والسورة لغة:** تطلق على عدة معان ذكرها أهل اللغة:

فتطلق ويراد بها المنزلة: «فالسور جمع سورة وهي كل منزلة من البناء»<sup>(٣)</sup>، والسورة مهموزة وغير مهموزة، فمهموزة من أسارت سُوراً أي أفضلت فضلاً، ولما كثر الكلام فيها ترك الهمز، فهي بمعنى القطعة والبقية من القرآن، وفي وصية بعض العرب لبنيه: إذا شربتم فأسئروا، أي أبقوا في الإناء فإنه أجمل<sup>(٤)</sup>، وغير مهموزة تجمع سُوراً؛ مثل عُزْفة وغرف، قال تعالى: ﴿قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ﴾<sup>(٥)</sup>، فالسُورة من سُورِ الْقُرْآنِ قِطْعَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ سَبَقَ وَحْدَانُهَا جَمْعُهَا كَمَا أَنَّ الْعُرْفَةَ سَابِقٌ لِلْعُرْفِ. وَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ الْقُرْآنَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَجَعَلَهُ مَفْصَلًا، وَبَيَّنَّ كُلَّ سُورَةٍ مِنْهَا بِخَاتَمَتِهَا وَبَادِيَتِهَا، وَمَيَّزَهَا مِنَ الَّتِي تَلِيهَا<sup>(٦)</sup>.

ولها عدة معان سوى ذلك منها: الوثبة، والشرف، والعلامة، وغير ذلك: فقيل: السورة: الوثبة، وقد سرت إليه: وثبت، والسورة: الشرف والفضل والرفعة، قيل: وبه سميت سورة القرآن؛

(١) سورة النور: الآية (١)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، برقم: (٤٠٠٨)، (٤/١٤٧٢).

(٣) مقاييس اللغة: (١١٥/٣)

(٤) ينظر: جمهرة اللغة (٧٢٣/٢)، مقاييس اللغة: (١١٥/٣).

(٥) سورة هود: الآية (١٣)

(٦) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣٧-٣٦/١٣)

لإجلاله ورفعته، وهو قول ابن الأعرابي<sup>(١)</sup>، وعنه أيضا السورة العلامة<sup>(٢)</sup>.  
**وفي الاصطلاح:** «قال الزركشي<sup>(٣)</sup>: قال الجعبري<sup>(٤)</sup>: حد السورة قرآن يشتمل على آي  
ذوات فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات<sup>(٥)</sup>».  
ويمكن تعريف السورة اصطلاحا بما يلي:  
هي طائفة وقطعة مستقلة من آي القرآن الكريم معلومة العدد ذات فاتحة وخاتمة.

- (١) أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي صاحب التصانيف، سمع الحسن الزعفراني وأبا داود وخلقا عمل لهم معجما، ولد سنة ست وأربعين ومائتين ومات في ذي القعدة سنة أربعين وثلاثمائة، ينظر: طبقات الحفاظ للسيوطي، (٣٥٤-٣٥٣/١).
- (٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار النشر: دار الهداية، ١٢/١٠٠-١٠٢).
- (٣) هو: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقهِ الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) و (لقطة العجلان) في أصول الفقه، و (البحر المحيط) ثلاث مجلدات في أصول الفقه، ولد (٧٤٥) وتوفي (٧٩٤ هـ) ينظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبه: (١٦٧/٣)، رقم: (٧٠٠)، والأعلام للزركلي (٦/٦٠).
- (٤) هو: إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري، له شرح للشاطبية وقصيدة لامية في القراءات العشر وأخرى في الرسم وأخرى في العدد، توفي سنة ٧٣٢ هـ، انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، ص (٣٩٧)، الطبقة الثامنة عشرة، رقم: (٣). وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: (٢١/١)، والأعلام للزركلي (١/٥٥).
- (٥) البرهان في علوم القرآن، اسم المؤلف: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله الوفاة: ٧٩٤ هـ، دار النشر: دار المعرفة- بيروت- ١٣٩١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ج ١ ص ٢٦٣-٢٦٥)



## المبحث الثاني

اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء

---

\* \* \* \* \*

## اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء

سمى النبي صلى الله عليه وسلم السورة بالواقعة، فقد روى الترمذي <sup>(١)</sup> عن ابن عباس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد شئت، قال: "شيتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت" <sup>(٢)</sup>، وهذه التسمية هي التي تعارف عليها الصحابة رضوان الله عليهم كما سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم، روى الإمام أحمد <sup>(٣)</sup>: «عن جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الصلوات كنعو من صلواتكم التي تصلون اليوم ولكنه كان يخفف، كانت صلواته أخف من صلواتكم وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور <sup>(٤)</sup>»، فتسميتها بالواقعة توقيفي، ولا يعرف لها تسمية غير ذلك لا في المصاحف ولا في كتب السنة <sup>(٥)</sup>.

وسبب تسميتها بالواقعة ظاهر حيث افتتحت بها، وقد بين العلماء أن أسباب تسمية السور إما بمفتتحها أو بما اشتملت عليه من أبرز موضوعاتها، يقول الزركشي في البرهان: "فينبغي النظر

(١) هو: الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، أبو عيسى الترمذي، الحافظ العلم الإمام البار، صاحب الجامع وكتاب العلل، وغير ذلك، مات سنة ٢٧٩هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٢٧٠/١٣).

(٢) رواه الترمذي في جامعه: كتاب التفسير، باب "ومن سورة الواقعة"، حديث رقم: (٣٢٩٧) (٤٠٢/٥)، وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، ورواه الحاكم في مستدركه: كتاب التفسير، حديث (٣٣١٤) ٣٤٣/٢، وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، قال الشيخ الألباني: وهو كما قال يعني الحاكم والذهبي، ذكره في السلسلة الصحيحة (٦٣٩/٢) حديث (٩٥٥).

(٣) هو: أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي، أحد أعلام الإسلام، تُوفي عام: ٢٠٤هـ، وله ٧٧ الطبقات الكبرى: ٣٥٤/٧، صفة الصفوة: ٥٣٦/١، طبقات الحنابلة: ٣/١-٢١.

(٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه: (١١٥/٢)، ورواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن: حديث رقم: (٢١٠٣٣) ١٠٤/٥، والطبراني في الأوسط: (٢٢٢/٢)، والبيهقي في سننه الكبرى: (١١٩/٣)، وابن خزيمة في صحيحه: حديث رقم: (٥٣١) ٢٦٥/١، وابن حبان في صحيحه: حديث رقم (١٨٢٣) ١٣١/٥، والحاكم في مستدركه وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم.. ووافقه الذهبي على ذلك: حديث رقم: (٨٧٥)، (٣٦٦/١).

(٥) (ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٧/٢٧٩)

في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به ولا شك أن العرب تراعى في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء<sup>(١)</sup>.



(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي: (٢٧٠/١)

# الفصل الثاني

ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها

ويشتمل على مبحثين: -

المبحث الأول: أهمية معرفة فضائل السور، وما قاله العلماء في ذلك.

المبحث الثاني: ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها.

\* \* \* \* \*

## المبحث الأول

أهمية معرفة فضائل السور، وما قاله العلماء في ذلك

---

\* \* \* \* \*

## أهمية معرفة فضائل السور، ما قاله العلماء في ذلك

ذكر الإمام السيوطي اهتمام ثلة من العلماء بالتأليف في فضائل القرآن جملة وفي سورة على وجه الخصوص، وفيه دليل على المكانة الكبيرة لهذا العلم وأهميته، فقال عند الحديث عن فضائل القرآن: «أفرده بالتصنيف أبو بكر بن أبي شيبة<sup>(١)</sup> والنسائي<sup>(٢)</sup> وأبو عبيد القاسم بن سلام<sup>(٣)</sup> وابن الضريس<sup>(٤)</sup> وآخرون وقد صح فيه أحاديث باعتبار الجملة وفي بعض السور على التعيين ووضع في فضائل القرآن أحاديث كثيرة ولذلك صنفت كتابا سميته (خمائل الزهر في فضائل السور) حررت فيه ما ليس بموضوع<sup>(٥)</sup>».

ومما لا شك فيه أن معرفة فضل شيءٍ مَّا يفضي إلى الاهتمام به وحظوته بمزيد من العناية والتقدير وهذا عام في كل شيء، فكيف بكلام الله المجيد، فهو مقدس كله، ومعظم بتعظيم من هو كلامه، وهو يعلوا ولا يعلى عليه، يقول الحق سبحانه وقوله العزيز: ﴿وَإِنَّهُ لَكُنُوبٌ عَزِيزٌ﴾<sup>(٦)</sup>. وقال جل من قائل في هذه السورة التي نحن بصدد البحث فيها، قال سبحانه بعد قسمه العظيم على شرف القرآن وعلو قدره ومكانته وحقيقته قال وهو الكريم: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾

(١) هو: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، مولاهم، الكوفي، أبو بكر، حافظ للحديث. له فيه كتب منها "المسند" المصنف في الأحاديث والآثار "خمسة أجزاء، و" الإيمان"، توفي سنة ٢٣٥هـ. الأعلام للزركلي (٤/١١٧).

(٢) هو: الإمام الحافظ الثبت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، صاحب السنن، توفي سنة ٣٠٣هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٤/١٢٥).

(٣) هو: القاسم بن سلام الهروي البغدادي، أبو عبيد، من علماء بغداد المحدثين، والعلماء بالقراءات، إمام أهل دهره في جميع العلوم، من كتبه: "غريب الحديث"، و"كتاب القراءات"، و"غريب المصنف"، تُوفي عام: ٢٢٢هـ، وقيل: ٢٢٤، تاريخ بغداد: ٤٠٣/١٢، معرفة القراء الكبار: ١/١٧٠.

(٤) هو: محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس البجلي الرازي، أبو عبد الله: من حفاظ الحديث. ولد: سنة: (٢٠٠) ومات بالري سنة: (٢٩٤هـ). له كتاب (فضائل القرآن) انظر: الأعلام للزركلي (٦/٤٦)

(٥) الإتقان في علوم القرآن: (٤/٤٠٨-٤٠٧)

(٦) سورة فصلت: بعض من الآية (٤١)

كريم ﴿١﴾. وقال وقوله المجيد: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ (٢) في بيان فضله وقدره واضح معلوم.

ولأهمية معرفة فضائل السور نذكر ما يلي:

١ - التماس الفضائل التي وردت كما وردت ، فمثلا الفاتحة رقية، وخواتيم سورة البقرة ذكر أنها نور مع سورة الفاتحة ومن قرأها في ليلة كفتاه، والمداومة على قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة سبب في دخول الجنة ومن قرأها في ليلة لم يزل عليه حافظ حتى يصبح، فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم لو أتيتهم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء فأتوهم فقالوا يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شيء فقال بعضهم نعم والله إني لأرقي ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فكأما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبه، قال فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم اقسما فقال الذي رقى لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له، فقال: "وما يدريك أنها رقية؟" ثم قال: "قد أصبتم اقسما واضربوا لي معكم سهما" فضحك رسول الله ﷺ (٣)، وروى مسلم (٤) رحمه الله عن ابن عباس قال

(١) سورة الواقعة: الآية (٧٧)

(٢) سورة البروج: الآية (٢١)

(٣) صحيح البخاري باب ما يعطي في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب حديث رقم ٢١٥٦ (٢/٧٩٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار (٤/١٧٢٧)

(٤) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين: حافظ، من أئمة المحدثين، ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور، أشهر كتبه (صحيح مسلم). ومن كتبه (المسند الكبير) رتبته على الرجال، و (الجامع) مرتب على الأبواب، توفي سنة ٢٦١هـ. الأعلام للزركلي (٧/٢٢١).

بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال: "هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته" (١)، وفي فضل آية الكرسي روي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت" (٢).

٢ - المداومة على تلاوة سورة ورد فيها الفضل سبيل إلى حفظها عن ظهر قلب، ولا يخفى فضل حفظ آيات وسور القرآن الكريم.

٣ - في المحافظة على سور ورد فيها الحفظ من الشرور كالمعوذات وبها «يوجه المسلم إلى السلاح الذي يجارب به أعداءه وأولهم الشيطان، ويعينه على مجابهة المضار والشرور التي تخفى عليه من حوله حاضرا أو مستقبلا» (٣).

٤ - «فيه بيان مدى منزلة النبي ﷺ وكرامة أمته بما اختصه واختصهم بهذا الكتاب العظيم وما فيه من آيات وسور مخصوصة ليست في غيره من الكتب السماوية قبله» (٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، برقم: (٨٠٦)، (٥٥٤/١).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ثواب من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة، برقم: (٩٩٢٨)، (٣٠/٦)، والطبراني في مسند الشاميين، برقم: (٨٢٤)، (٩/٢)، وفي الأوسط برقم: (٨٠٦٨)، (٩٣/٨)، وفي الكبير برقم: (٧٥٣٢)، (١١٤/٨)، وذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٦/٣) وقال: الحديث صحيح وله طرق متعددة.

(٣) ينظر: موسوعة فضائل وسور وآيات القرآن (٨/١)

(٤) المصدر السابق بنفس الصفحة.



## المبحث الثاني

ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها

---

\* \* \* \* \*

## ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها

عدد «كلماتها ثلاثمائة وست وسبعون، وحروفها ألف وستمائة وثلاث وستون»<sup>(١)</sup>.  
يقول مسروق: «من سره أن يعلم علم الأولين والآخرين، وعلم الدنيا والآخرة، فليقرأ سورة الواقعة»<sup>(٢)</sup>.

وللسورة فضيلة خاصة تفردت بها واختصت بها عما سواها من السور الكريمة ومن ذلك:  
أولاً: سبق الحديث في المبحث السابق أن السورة الكريمة ومثيلاتها كالمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت كانت سبباً في ظهور الشيب على رسول الله ﷺ وهو ما يدل على اختصاصها بقوة التأثير في نفس رسول الله ﷺ حتى أثرت في نفسه الشريفة عليه الصلاة والسلام وشاب شعره بسببها<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: أنها من سور المفصل<sup>(٤)</sup> الذي اختص به النبي ﷺ وقُضِلَّ به نافلة على سائر الأنبياء عليهم السلام، فعن واثلة بن الأسقع<sup>(٥)</sup> رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أعطيت مكان

(١) الناسخ والمنسوخ للكرمي (٢٠٠/١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، في كتاب الزهد، كلام مسروق رحمه الله، برقم: (٣٦٠٢٠)، (١٤٨/٧) بسند كلهم ثقات، إلا أن عبيدة بن حميد المعروف بالحذاء قال عنه ابن حجر: صدوق ربما أخطأ وروى له أصحاب الكتب الستة ما عدا مسلم.

(٣) ينظر: صفحة: (٣٧) من هذا البحث.

(٤) سميت بالمفصل لكثرة الفصول التي بين السور بسم الله الرحمن الرحيم، وقيل لقلة المنسوخ فيه، وآخره سورة الناس وأصح ما قيل في أوله أنه يبدأ من سورة ق (ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٤٥/١-٢٤٦).

(٥) واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل الكناني اللبني، صحابي من أصحاب الصفة، أسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يتجهز إلى تبوك فغزا معه، قيل خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين، سكن البصرة ثم الشام وشهد غزواتها، له ٧٦ حديثاً، توفي بعد أن عمي بدمشق وقيل بالقدس سنة ٨٣هـ وله مائة وخمس سنين. (ينظر: أسد الغابة ٤/٦٥٢-٦٥٣، الإصابة ٦/٣١٠، الأعلام للزركلي ٨/١٠٧).

التوراة السبع الطول<sup>(١)</sup>، ومكان الزبور المئين<sup>(٢)</sup>، ومكان الإنجيل المثاني<sup>(٣)</sup>، وفضلت بالمفصل<sup>(٤)</sup>، وكان الرسول ﷺ يقرن بها في صلاة الليل، فقد ورد في الصحيح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إني لأعلم النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهما، سورتين في كل ركعة، وقد سأله عنها علقمة<sup>(٥)</sup> فأخبر بعد إجابته له فقال: قد أخبرني بها: الرحمن والنجم في ركعة، واقتربت والحاقة في ركعة، والطور والذاريات في ركعة، وإذا وقعت ون في ركعة، وسأل سائل والنازعات في ركعة، وهل أتى ولا أقسم بيوم القيامة في ركعة، وعم يتساءلون والمرسلات في ركعة، والدخان وإذا الشمس كورت في ركعة»<sup>(٦)</sup>.

وأما ما ورد من أحاديث في فضل قراءة سورة الواقعة كل ليلة، أو أنها أمانٌ من الفقر ومجلبةٌ

(١) السبع الطول: هن سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف وبراءة عند من يرى الأنفال وبراءة سورة واحدة، وحكي عن سعيد بن جبير سورة يونس بدلا من الأنفال وبراءة، وقد وردت عند الطبراني وغيره السبع الطول جمع طول كالكبر جمع كبرى أفعل تفضيل ولعله الأرجح لأنها طولى من غيرها. (ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٤٤/١).

(٢) المئون: ما ولي السبع الطول، سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها (ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٤٤/١).

(٣) المثاني: ما ولي المئين (ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٤٥/١).

(٤) أخرجه الطيالسي في مسنده: برقم: (١١٠٥)، (٣٥١/٢)، وأحمد (١٠٧/٤)، والطبري في تفسيره: برقم: (١٢٦) (٣٤/١)، والطبراني (٧٦/٢٢)، والحديث حسن لشواهده (ينظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن لمحمد رزق طرهوني ١٢٨/١-١٣١).

(٥) علقمة بن قيس بن عبدالله أبو شبل النخعي الكوفي، عم الأسود وعبدالله ابني يزيد، وخال إبراهيم التيمي روى عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وغيرهم، روى عنه الشعبي والنخعي وابن سيرين، شهد حرب الخوارج بالنهروان وكان من العلماء الريانيين، مقدا في الحديث والفقه والزهد والورع وكان يُسَبَّهُ بابن مسعود، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن على ابن مسعود، توفي بالكوفة سنة اثنتين وستين، قال بعض الحفاظ أحسن وأصح الأسانيد منصور عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود، قال أبو نعيم النخعي عاش تسعين سنة. (ينظر: صفة الصفوة ٢٨/٣، معرفة القراء الكبار ٥١/١، سير أعلام النبلاء ٦٠/٤).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب الجمع بين السورتين في ركعة، حديث (٧٤٢) ٢٦٩/١، وباب كيف نزول الوحي وأول ما نزل حديث (٤٧١٠) ١٩١١/٤، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيب القراءة واجتناب الهد (٥٦٣/١-٥٦٥).

للرزق، كحديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: "من قرأ في كل ليلة ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ لم تصبه فاقة أبدا" (١) وما في معناه فأسانيدها ضعيفة (٢).



(١) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة، (٢/٧٢٦)، وفي مسند الحارث (٢/٧٢٩)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، برقم: (٢٤٩٧)، (٢/٤٩١). قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، (١/٤٥٧): هذا سند ضعيف.

(٢) (ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٧/٢٧٩، والسلسلة الضعيفة للشيخ الألباني حديث رقم ٢٨٩، ١/٤٥٧)

# الفصل الثالث

عدد آيات السورة، وتاريخ نزولها

ويشتمل على مبحثين: -

المبحث الأول: عدد آيات السورة واختلاف علماء العدد في ذلك

المبحث الثاني: تاريخ نزول السورة.

\* \* \* \* \*

# المبحث الأول

عدد آيات السورة واختلاف علماء العد في ذلك

---

\* \* \* \* \*

## عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك

اهتم العلماء من القراء وغيرهم بعلم العد لأهمية هذا العلم وعظيم منفعته وفائدته، وقد نشأ اختلاف عدد الآيات بين علماء العدد أخذاً من الصحابة رضوان الله عليهم بسبب أن بعضاً منهم سمع النبي ﷺ يقف في مواضع يحسن الوقف عليها لتمام المعنى أو انقطاع النفس ونحو ذلك ولم تكن رأس آية فظن أحدهم أنها رأس آية والآخر فهم خلاف ذلك، قال الزركشي: «واعلم أن سبب اختلاف العلماء في عد الآي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع أنها ليست فاصلة»<sup>(١)</sup>، يقول الداني<sup>(٢)</sup>: «من عد شيئاً فلكونه:

١- جملة مستقلة وكلاماً تاماً منقطعاً.

٢- أو لكونه محمولاً على ما قبله أو ما بعده من رؤوس الآي من طريق التشاكل بوقوع الحروف التي رؤوس الآي مبنية عليها قبل الحرف الذي آخر الكلمة التي هي الفاصلة.

٣- أو لأن مثله ونظيره قد عد بإجماع.

ومن لم يعد ذلك فلكونه:

١- كلاماً متصلًا بما بعده ومتعلقاً به على ما يحتمله من توجيه المعنى وتقدير الإعراب.

٢- أو لكونه مخالفاً لما قبله أو لما بعده من رؤوس الآي غير مشبه ولا مساو ولا مشاكل

له في زنة ولا بنية.

٣- ولأن مثله ونظيره لم يعد باتفاق»<sup>(٣)</sup>.

(١) البرهان في علوم القرآن (١/٢٥١-٢٥٢).

(٢) هو: أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني القرطبي، أحد الأئمة في علم القرآن، من أهل الحفظ والذكاء والتفطن، دِينًا فاضلاً ورعًا سنيًا، توفي سنة ٤٤٤ هـ، انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، ص: (٢٢٦)، الطبقة العاشرة، رقم: (٣٤).

(٣) البيان في عد آي القرآن (ص: ١١٤).

وينبغي أن يعلم بالضرورة أنه ليس هناك نقص أو زيادة في كلام الله، بل هو ليس في مقدور أحد الزيادة فيه أو النقص قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾<sup>(١)</sup> فالاختلاف إنما هو اختلاف تسمية لا اختلاف زيادة أو نقص فإن الزيادة والنقص في كتاب الله كفر<sup>(٢)</sup>.

قال الداني: أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك، فمنهم من لم يزد ومنهم من قال: ومائتا آية وأربع آيات. وقيل: وأربع عشرة. وقيل: وتسع عشرة. وقيل: وخمس وعشرون. وقيل: وست وثلاثون<sup>(٣)</sup>.

وبالنسبة لعدد آيات السورة الكريمة في مصحف المدينة النبوية هو ست وتسعون آية، والمعتبر فيه عدد الكوفيين، وأما عند البصريين فسبع وتسعون آية، وتسع وتسعون آية عند الباقيين، والآيات التي اختلفت في عددها أربع عشرة آية وقيل خمس عشرة<sup>(٤)</sup>، وهي كما يلي:

١- ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ لفظ الميمنة الموضع الأول عددها الجميع آية سوى الكوفي وقيل<sup>(٥)</sup> وافقه المكِّي، والموضع الثاني معدود اتفاقاً.

٢- ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ لفظ المشأمة الموضع الأول عددها الجميع آية سوى الكوفي وحده، والموضع الثاني معدود اتفاقاً.

٣- ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾<sup>(١٥)</sup> عددها الجميع آية ما عدا البصري والشامي.

٤- ﴿ وَأَبَارِقَ ﴾<sup>(١٨)</sup> عددها المدني الثاني والمكِّي آية ولم يعددها الباقيون.

٥- ﴿ وَحُورٍ عِينٌ ﴾<sup>(٢٢)</sup> عددها المدني الأول والكوفي آية ولم يعددها الباقيون.

٦- ﴿ وَلَا تَأْتِيَمًا ﴾<sup>(٢٥)</sup> عددها الجميع آية ما عدا المدني الأول والمكِّي.

(١) سورة الحجر، آية: ٩.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين الفيروزآبادي ١/٥٥٨-٥٥٩، وللاستزادة ينظر شرح

المخللاتي المسمى بالقول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز على ناظمة الزهر للإمام الشاطبي تأليف أبي عيد رضوان بن محمد

سليمان، ص(١٤١-١٥٥)

(٣) ينظر: الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي ١/١٨٩

(٤) ينظر: نفائس البيان لعبدالفتاح القاضي ص(٦٤)

(٥) ينظر: جمال القراء وكمال الإقراء ١/٢١٩



٧- ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ لفظ اليمين الموضوع الأول عددها الجميع آية ولم يعدها المدني الثاني والكوفي، والمواضع الأربع الباقية<sup>(١)</sup> معدودة اتفاقاً.

٨- ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴾<sup>(٣٥)</sup> عددها الجميع آية سوى البصري.

٩- ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾<sup>(٤١)</sup> لفظ الشمال الموضوع الأول عددها الجميع آية سوى الكوفي، والموضع الثاني معدود اتفاقاً.

١٠- ﴿ فِي سُمُورٍ وَحَمِيرٍ ﴾<sup>(٤٢)</sup> عددها الجميع آية سوى المكي.

١١- ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ ﴾ عددها المكي آية وقيل<sup>(٢)</sup> الحمصي معه، ولم يعدها الباقون.

١٢- ﴿ أَوَّأَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ ﴾<sup>(٤٨)</sup> عددها الجميع آية سوى الحمصي<sup>(٣)</sup>.

١٣- ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴾<sup>(٤٩)</sup> عددها الجميع آية ما عدا المدني الثاني والشامي<sup>(٤)</sup>.

١٤- ﴿ لَمَجْبُوعُونَ ﴾ عددها المدني الثاني والشامي آية ولم يعدها الباقون.

١٥- ﴿ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ ﴾ عددها الشامي آية وقيل<sup>(٥)</sup> الدمشقي فقط، ولم يعدها الباقون<sup>(٦)</sup>.  
دليله من نظم الفرائد الحسان قول الناظم<sup>(٧)</sup> رحمه الله:

(١) لفظ اليمين وقعت في السورة في خمسة مواضع؛ المذكور في المتن والذي يليه وهو قوله: { ما أصحاب اليمين } آية:

(٢٧)، وقوله: { لأصحاب اليمين } آية (٣٨)، وقوله: { من أصحاب اليمين } موضعين: آية (٩٠) وآية (٩١).

(٢) نفائس البيان لعبدالفتاح القاضي (ص ٦٤)

(٣) موضع الاختلاف هذا انفرد بذكره المصدر السابق من نفس الصفحة.

(٤) وقيل عددها المدني الأول والثاني والكوفي والبصري (ينظر: نفائس البيان ٢٢٠/١)

(٥) (ينظر: نفائس البيان ٢٢٠/١).

(٦) (ينظر: البيان في عد آي القرآن: ٢٣٩/١)

(٧) نظم الفرائد الحسان للشيخ القارئ عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، عالم مبرز في القراءات وعلومها وفي

العلوم الشرعية والعربية من أفاضل علماء الأزهر، من مؤلفاته: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، والفرائد الحسان

في عد آي القرآن، توفي بالقاهرة عام ١٩٨٢م، انظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (٢/٦٥٩) وموقع مشيخة

الأزهر: <http://on.alazhar.eg>.

كوفٍ وحمصٍ أول الميمنة  
 موضونةٍ للبصرِ والشامي ارددِ  
 وأولُ والكوفِ عينُ رويَا  
 أولى اليمينِ الكوفِ معه الثانِ ردِ  
 أولى الشمالِ يُسقطُ الكويُّ  
 واعددُ يقولون لمكٍ حمصي  
 والآخرين اعدده لمكي  
 عدَّ لمجوعون ثانٍ شامهم  
 وعن دمشقٍ وربحانٍ وُسِم<sup>(١)</sup>

قد أسقطا كأول المشأمة  
 للثانِ والمكي أباريق اعدد  
 تأثيماً أولٌ ومكٍ نفياً  
 وليس إنشاءً لبصريُّ يُعد  
 أولى حميمٍ يتركُ المكى  
 والأولون عنه دغٍ بالنصِ  
 والكوفِ والأول والبصري  
 وعدَّ لمجوعون ثانٍ شامهم

(١) من البيت: (٩٣) إلى: (١٠٠)، (١٤-١٥).

# المبحث الثاني

## تاريخ نزول السورة

---

\* \* \* \* \*

## تاريخ نزول السورة

قيل نزلت السورة الكريمة في مكة بعد سورة طه وقبل سورة الشعراء، يقول محمد عزة دروزة<sup>(١)</sup> في تفسيره التفسير الحديث الذي رتبته على نزول سور القرآن: «ويلفت النظر إلى مظهر يمكن أن يكون قرينة على صحة نزول هذه السورة بعد سورة طه، وهو أن سورة طه انتهت بإبعاد الكفار وإنذارهم وإنظارهم إلى اليوم= الذي يعلمون فيه علم اليقين من هو المهتدي ومن هو الضال، فجاءت هذه السورة تصف ذلك اليوم وتصف مصائر الناس فيه حسب مواقفهم وأعمالهم في الدنيا<sup>(٢)</sup>».

وترتيب السورة بين السور المكية نزولاً الخامسة والأربعون<sup>(٣)</sup>، وقيل السادسة والأربعون<sup>(٤)</sup>. هذا وقد أورد كثير من المفسرين ترتيب نزول السور في تفاسيرهم، والترتيب المذكور هو في الحقيقة قائم على الظن لا القطع وذلك لعدة أمور منها: أن الروايات التي وردت في حق ذلك الترتيب فيها تقدم وتأخير، بل إنها تخالف ما هو معروف من أن نزول سورة المدثر كان من أوائل السور وعدها كثير من العلماء بعد فواتح سورة العلق كما ورد في الروايات الصحيحة، في حين أن روايات الترتيب المذكورة تكاد تجمع على أن سورة العلق أول ما نزل ثم المزمّل ثم المدثر<sup>(٥)</sup>، كما أنه معلوم أن سور القرآن نزلت نجومًا ولم تنزل جملة، والترتيب الموجود في المصاحف التي بين

(١) هو: محمد عزة بن عبد الهادي دروزة، مفكر وكاتب ومناضل قومي عربي فلسطيني، كان أديبًا ومؤرخًا وصحفيًا مترجمًا ومفسرًا للقرآن، له مؤلفات كثيرة من أشهرها: (التفسير الحديث)، و(سيرة الرسول ﷺ صورة مقتبسة من القرآن)، ولد سنة: ١٣٠٥هـ، وتوفي بدمشق سنة ١٤٠٤هـ، انظر: مقالة بعنوان: (المجاهد البحاثة) بقلم: إسماعيل الكيلاني في مجلة الأمة ١٤٠٥ شهر ربيع الأول السنة الخامسة - العدد الثالث.

(٢) التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة (٢٣٤/٣)

(٣) (ينظر: تنزيل القرآن لابن شهاب الزهري ٢٦/١، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٩٩/١).

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٨٠/٢٧)

(٥) للاستزادة ينظر بحث في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية دولة الإمارات العربية المتحدة، العدد السادس عشر

١٤١٩هـ ١٩٩٨م، بعنوان ترتيب نزول القرآن للأستاذ الدكتور محمد علي الحسن أستاذ التفسير وعلوم القرآن.

أيدينا ترتيب أجمعت عليه الأمة وتلقته بالقبول وهو ترتيب توقيفي على الأصح من أقوال العلماء.

وحيث أن الحقبة المكية اهتمت وركزت في مطلع الدعوة الإسلامية على إثبات وحدانية الله وقدرته على البعث وإحياء الأموات فقد جاءت السورة تقرر واقعية ذلك إخبارا لما سيحدث واستدلالات بالمحسوسات المشاهدة على ذلك، وربط الخبر الغيبي بالدليل المشاهد بذكر لحظة اجتماعهما وذلك عند احتضار الإنسان وخروجه من حياته المحسوسه إلى الغيب المخبر عنه، وهو ما صورته السورة الكريمة في ختامها تصويرا بديعا في الربط والترتيب.

## الفصل الرابع

تعريف المكي والمدني وفائدة معرفتهما وثبوت  
مكية السورة، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، ووجه  
اختصاصها بما اختصت به

ويشتمل على ثلاثة مباحث: -

المبحث الأول: المكي والمدني من السورة وفائدة معرفتهما. 

المبحث الثاني: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها. 

المبحث الثالث: وجه اختصاص السورة بما اختصت به من 

موضوعات.

\* \* \* \* \*


## المبحث الأول

المكي والمدني من السورة وفائدة معرفتهما

وفيه ثلاثة مطالب: -

المطلب الأول: تعريف المكي والمدني من السورة. 

المطلب الثاني: فائدة معرفة المكي والمدني في القرآن. 

المطلب الثالث: المكي والمدني في السورة. 

\* \* \* \* \*

## المطلب الأول: تعريف المكي والمدني من السورة

تنوعت تعريف العلماء للمكي والمدني على حسب اعتبار الزمان أو المكان أو المخاطب. فباعتبار الزمان عرف ثلة من العلماء المكي بما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة. وباعتبار المكان عرف بعض العلماء المكي بما نزل بمكة أو قريبا منها، والمدني ما نزل بالمدينة أو قريبا منها.

وباعتبار المخاطب عرف بعضهم المكي والمدني بأن ما كان خطابا لأهل مكة فهو مكي ويعرف بخطاب عموم البشر بـ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ و ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ﴾ ، وما كان خطابا لأهل المدينة فهو مدني ويعرف ببناء الخصوص لأهل الإيمان بـ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. وقد ذهب أكثر العلماء إلى القول باعتبار الزمان وهو التعريف الأول وذلك لأنه يشمل حصر جميع سور القرآن تحت ضابطه بخلاف التعريفين الآخرين الذين يؤخذ على تعريفهما عدم الضبط والحصر فإن التعريف باعتبار المكان يؤخذ عليه عدم حصره للسور التي نزلت خارج مكة والمدينة كسورة التوبة نزل منها آيات كثيرة والرسول صلى الله عليه وسلم عائد من تبوك، وسورة الفتح نزلت وهو عائد من صلح الحديبية، كما يؤخذ على التعريف باعتبار المخاطب أن هناك سورا مكية ورد فيها خطابا خاصا بأهل الإيمان بـ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، كما ورد في السور المدنية خطابا عاما للناس بـ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ (١).

(١) (ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/١٧٨-١٩١، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/٣٥، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ١٨/٨، ومناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبدالعظيم الزرقاني ١/١٣٥-١٣٧).



## المطلب الثاني: فائدة معرفة المكي والمدني في القرآن

لمعرفة المكي والمدني فوائد جلييلة استفاد منها العلماء في تفسير القرآن، ومعرفته من أولويات المشتغل بعلوم القرآن وتفسيره، فهو من أساسيات علم التفسير، وقد ذكر العلماء له عدة فوائد منها:

- ١ - أنه يعرف به الناسخ من المنسوخ، أو المخصص، إذ المتأخر ناسخ أو مخصص للمتقدم.
- ٢ - يعين على فهم الآيات بمعرفة الحوادث المصاحبة لنزولها، مما يساعد على فهم وتفسير القرآن الكريم.
- ٣ - استنباط حكمة التدرج في تشريع الأحكام ومعرفة مواطن وأزمنة الأوامر والنواهي والأحكام.
- ٤ - بيان مدى اهتمام المسلمين بكتاب ربهم في جميع ما يختص به من أحوال النزول ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.



(١) (ينظر: فهم القرآن ومعانيه للحرث بن أسد المحاسبي ٣٩٤/١، الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ٢١/١، ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١٣٧/١).

## المطلب الثالث: المكي والمدني في السورة

السورة مكية كلها كما ذكر ذلك كثير من المفسرين وفي مقدمتهم إمام المفسرين ابن جرير الطبري (١)(٢)، وذكر بعض المفسرين أن السورة مكية استثنى منها ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٩) ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (٤٠) وقوله ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْجِعِ الْجُومِ﴾ (٧٥) ﴿تَكْذِبُونَ﴾ (٣) لما أخرجه مسلم في سبب نزولها.

«فعن زيد بن خالد الجهني (٤)، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحدبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: "هل تدرون ماذا قال ربكم؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب (٥)"، «وعن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي

(١) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل أمل طبرستان، طلب العلم بعد الأربعين ومائتين وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، قل أن ترى العيون مثله، توفي عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاث مائة، ودفن في داره برحبة يعقوب يعني: ببغداد. ينظر سير أعلام النبلاء (١٤ / ٢٦٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري ١٦٥/٢٧، وتفسير القرآن العزيز المعروف بتفسير ابن أبي زمنين: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ٣٣٦/٤، والكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي: لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ١٩٩/٩، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي: لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي الفارسي ٢٨٣/٥.

(٣) ينظر: النكت والعيون المعروف بتفسير الماوردي لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ٤٤٥/٥، والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤٥٤/٤، الإتيان في علوم القرآن للسيوطي: ٥٤/١.

(٤) زيد بن خالد الجهني المدني: صحابي. شهد الحدبية. وكان معه لواء جهينة يوم الفتح. له ٨١ حديثا. توفي في المدينة عام: (٧٨) عن ٨٥ سنة. ينظر: الإصابة ١: ٥٦٥، الأعلام للزركلي (٣ / ٥٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، برقم: (٤٦٨)، (١ / ١٦٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، برقم: (١٢٥)، (١ / ٨٣).

ﷺ: "أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا" قال فنزلت هذه الآية ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (١).

قال القرطبي (٢): «مكية في قول الحسن (٣) وعكرمة (٤) وجابر (٥) وعطاء (٦) وقال ابن عباس (٧) وقتادة (٨): إلا آية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، برقم: (١٢٧)، (٨٤/١)  
 (٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فُرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه "الجامع لأحكام القرآن، يعرف بتفسير القرطبي، و" قمع الحرص بالزهد والقناعة " و " الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى " توفي سنة ٦٧١هـ. ينظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٣٢٢).

(٣) الحسن البصري أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، وُلِدَ سَنَةَ: ٢١هـ، سَيِّدُ أَهْلِ زَمَانِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا، كَانَ إِمَامًا كَبِيرَ الشَّانِ، لَهُ: (التفسير) ورواه عنه جماعة، و(كتابه إلى عبد الملك بن مروان في الرد على القدرية) تُوفِّيَ عام: ١١٠هـ، يُنظَرُ: سير أعلام النبلاء: ٤٤٦/٥، طبقات المفسرين للداوودي: ١٠٦.

(٤) عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله - مولى ابن عباس - ثقة، ثبَّتْ، عالم بالتفسير، روى عن ابن عباس، وعلي، وأبي هريرة، قال الشافعي: "ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة"، تُوفِّيَ عام: ١٠٤هـ، البداية والنهاية: ٢٧٥/٩، تهذيب التهذيب: ٥٤٧/٤-٥٥٥.

(٥) جابر بن زيد الأزدي اليمامي البصري، أبو الشعثاء، عالم، مفسر، مفتي، من التابعين، صحب ابن عباس رضي الله عنهما، نُسب إليه فقه الإباضية، تُوفِّيَ عام: ٩٣هـ، يُنظَرُ: سير أعلام النبلاء: ٣٩٠/٥.

(٦) عطاء بن أبي رباح، أبو محمد المكي أحد موالي قريش، وُلِدَ سَنَةَ: ٢٧هـ، وهو من كبار التابعين، روى عن ابن عباس وابن عمر وغيرهما، ثقة، فقيه، فاضل، انتهت إليه الفتوى في مكة، تُوفِّيَ عام: ١١٤هـ، يُنظَرُ: تهذيب التهذيب: ٤٨٨/٤-٤٩٠، نيل السائر في طبقات المفسرين: ٣٣.

(٧) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ، كُتِبَ بَابِ الْعَبَّاسِ، حَبْرُ الْأُمَّةِ، وترجمان القرآن، سمع من النبي ﷺ وجماعة من الصحابة، روى عنه سعيد بن جبیر، وابن المسيب، وجماعة من التابعين، تُوفِّيَ عام: ٦٨هـ بالطائف، يُنظَرُ: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ١٨٦/٣، طبقات المفسرين للداوودي: ١٦٧.

(٨) قتادة بن دعامة السدوسي، العلامة، أبو الخطاب البصري، المفسر، الحافظ، أخرج له جماعة، كان رأساً في العربية والنسب، حجة بالإجماع، تُوفِّيَ عام: ١١٧هـ، وقيل: ١١٨هـ، يُنظَرُ: ميزان الاعتدال: ٤٦٦/٤، طبقات المفسرين للداوودي: ٣٢٢.

وقال الكلبي<sup>(١)</sup>: مكية إلا أربع آيات منها آيتان ﴿ أَفِيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴿ نزلتا في سفره إلى مكة، وقوله تعالى: ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴿ نزلتا في سفره إلى المدينة<sup>(٢)</sup> ».

فمن يرى أن قول الصحابي ( فنزلت هذه الآية ) بعد ذكر الحادثة تعتبر صيغة صريحة في السببية فيكون التوجيه على أن الآيات الكريمة التي وردت على أنها مدنية تكون من المدني الذي وضع في المكى، ومن يرى أن قول الصحابي بتلك العبارة لا يعتبر صيغة صريحة في السببية فتكون السورة الكريمة كلها مكية وإنما ذكر الصحابي مثل ذلك للبيان والتفسير وهذا المعنى يتكرر كثيرا.

وبالنظر في قول من قال بمدنية قول الله تعالى: ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ فإن اعتمادهم في ذلك على روايات في أسانيدنا نظر وبعضها مرسل ولا يثبت، بل ليس في بعضها نص صريح أو حتى غير صريح على كونها نزلت في المدينة أو بعد الهجرة<sup>(٣)</sup>، ومثل ذلك قول من قال في الآيتين: ﴿ أَفِيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴿ أنهما مدنيتان، فإن النص على نزولهما في المدينة لا يصح لأنه وهم من بعض من لم يفهم عبارة الصحابة في قولهم: نزلت هذه الآية في كذا، على أنه سبب نزول والمعهود أن الصحابة رضي الله عنهم يطلقون لفظ: نزلت هذه الآية في كذا، على البيان والتفسير ولا يقصدون دائماً النص على السببية، كما أنهما منسجمتان سبكا وموضوعا مع ما قبلهما وما بعدهما، والنفس تطمئن إلى أن السورة الكريمة كلها مكية لعدم قيام دليل صحيح صريح يؤكد مدنية ما استثني منها<sup>(٤)</sup>.

(١) محمد بن السائب بن الكلبي أبو النضر الكوفي النسابة المفسر، متهم بالكذب، ورمي بالرَّفْض، وله تفسير مشهور، و(تفسير الآي الذي نزل في أقوام بأعيانهم)، و( ناسخ القرآن ومنسوخه)، تُوفيَّ عام: ١٤٦هـ، تهذيب الكمال: ٢٥/٢٤٦، طبقات المفسرين للداوودي: ٣٩٩، نيل السائر في طبقات المفسرين: ٤٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/١٩٤)

(٣) (ينظر: باب النقول للسيوطي ١/ ٢٥١، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ٥/٢٣٨)

(٤) (ينظر: موقع إسلاميات: [www.islamiyyat.com](http://www.islamiyyat.com) الصفحة الرئيسية، القرآن الكريم وعلومه، حلقات برنامج التفسير المباشر، الحلقة ١٥٠ سورة الواقعة، للدكتور إبراهيم بن علي الحسن الأستاذ المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ٣/٢٢٥، المفصل في موضوعات سور القرآن جمع وإعداد الباحث علي نايف الشحود: ص: (١١٦٢).

## المبحث الثاني

### مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

وفيه ثلاثة مطالب: -

المطلب الأول: الفائدة من معرفة المناسبات بين السور والآيات.

المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما بعدها.

\* \* \* \* \*

## المطلب الأول: الفائدة من معرفة المناسبات بين السور والآيات

عني المفسرون بذكر المناسبة بين جمل الآية الواحدة وبين آيات السورة وبين كل سورتين، وقد حث ثلة من العلماء ورغبوا في سبر ترابط الآيات وتراكيب جملها ومقاطعها وحكمة تتابعها في الآية والسورة، واستنباط مناسبات الآيات والسور تدبرا لكلام الله جل وعلا واستنباطا لبعض مقاصد الذكر الحكيم في ذلك.

قال النووي<sup>(١)</sup>: «فصل: وينبغي لمن أراد السؤال عن تقديم آية على آية في المصحف أو مناسبة هذه الآية في هذا الموضوع ونحو ذلك أن يقول ما الحكمة في كذا<sup>(٢)</sup>»، وقال الزركشي: «قال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف وحافظ القرآن العظيم لو استفتي في أحكام متعددة أو ناظر فيها أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى ولا كما نزل مفرقا بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة<sup>(٣)</sup>».

وجدير بنا أن نذكر هنا بعضا من المنافع والفوائد التي ذكرها بعض العلماء والتي تستنبط من معرفة هذا العلم العظيم ومنها:

أولا: ترابط الآيات والسور ببعضها على جهة البيان والتوضيح والتفسير بالتأكيد والتأييد أو التفصيل أو الإجمال ونحو ذلك من معاني الترابط والتناسق مما يعين على زيادة التدبر والفهم، قال الزركشي بعد تعريفه للمناسبة: «ولهذا قيل المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته

(١) هو: يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث، وفاته سنة ٦٧٦هـ. من كتبه: "تهذيب الأسماء واللغات" و "منهاج الطالبين" و "الدقائق" و "تصحيح التنبيه". التنبيه على ما في التنبيه، و "المنهاج في شرح صحيح مسلم" وغيرها، انظر: طبقات الشافعية للسبكي (١٦٥ / ١) والأعلام للزركلي (١٥٠ / ٨).

(٢) التبيين في آداب حملة القرآن: لأبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي (٨٧/١)

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٧/١)

بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها والله أعلم إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعللة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر... وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء<sup>(١)</sup>».

ثانياً: إظهار بديع نظم كلام الله وتآلفه وتناسقه في تتابع آياته وسوره وترتيبها ترتيباً يقرر في النفوس إعجازه البياني البلاغي مع تنوع أغراضه وتعدد مواضعه وتنجيم نزوله، قال فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير عند ذكره مسائل في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾<sup>(٢)</sup> فذكر جميل ترتيب الأمر بالحكم بالعدل بعد الأمر بالأمانة فقال: «فما أحسن هذا الترتيب، لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط<sup>(٣)</sup>»، فتناسق آياته وترتيب سوره بصورة محكمة إحكاماً بليغاً ومترابطة ترابطاً فريداً بلغ حد الإعجاز، حتى لا يكاد أحد أن يظهر الفرق بين السورة التي نزلت منجمة والتي نزلت جملة واحدة، يقول الزرقاني<sup>(٤)</sup>: «وإذا القرآن كله بعد ذلك يكمل ويتم وينتظم ويتآخى ويأتلف وينسجم ولا يؤخذ عليه شيء من التخاذل والتفاوت بل كان من ضروب إعجازه ما فيه من انسجام ووحدة وترابط حتى إن الناظر فيه دون أن يعلم بتنجيم نزوله لا يخطر على باله أنه نزل منجماً وحتى إنك مهما أمعنت النظر وبجئت لا تستطيع أن تجد فرقا بين السور التي نزلت جملة والسور التي نزلت منجمة من حيث إحكام الربط في كل منهما فسورة البقرة مثلاً وقد نزلت بضعة وثمانين نجماً في تسع سنين لا تجد فرقا بينها وبين سورة الأنعام التي نزلت دفعة واحدة<sup>(٥)</sup>».

ثالثاً: زيادة الإيمان بالقرآن الكريم وبعظمتته وأنه تنزيل من حكيم حميد، «وفيه آية من آيات

(١) البرهان في علوم القرآن: للزركشي (١/ ٣٦)

(٢) سورة النساء، آية: (٥٨).

(٣) التفسير الكبير للرازي (١٠/ ١٤٥).

(٤) هو: محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة سنة: ١٣٦٧ هـ . الأعلام للزركلي - (٦ / ٢١٠).

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن: للزرقاني (٢/ ٢٤٥).

صدق المصطفى ﷺ وثبوت نبوته بما جاء به من كلام فريد متناسق متآلف ليس في مقدور البشر<sup>(١)</sup>».

رابعاً: بيان حكمة التشريع وتدرجه، ويتضح ذلك في مناسبات كثيرة ومنها على سبيل المثال في سورة النور الأمر بحفظ الفرج بعد غض البصر لترابطهما قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فإطلاق البصر سبب في إثارة شهوة الفرج مما يكون سبباً في ضعف التحكم في حفظ الفرج، كما سبق هذه الآية آيات التأدب بأداب الاستئذان وفي ذلك من الترابط والتلازم بين حكم وأحكام التشريع في آيات الذكر الحكيم ما يُظهر روعة البيان وقوته.

(١) علم المناسبات في السور والآيات للدكتور محمد بن عمر بازمول (٣٩)

(٢) سورة النور، آية: (٣٠).



## المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها

إن بين سورتي الرحمن والواقعة ترابطا وتناسبا ظاهرا في آياتهما ذكره العلماء وأظهروا بعض جوانبه البديعة؛ قال ابن الزبير في البرهان: «لَمَّا تَقَدَّمَ الإِعْذَارُ فِي السُّورَتَيْنِ الْمُتَقَدِّمَتَيْنِ وَالتَّقْرِيرُ عَلَى عَظِيمِ الْبِرَاهِينِ وَأَعْلَمَ فِي آخِرِ سُورَةِ الْقَمَرِ أَنَّ كُلَّ وَاقِعٍ فِي الْعَالَمِ فَبِقَضَائِهِ سَبْحَانَهُ وَقَدْرُهُ: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ وَأَعْلَمَهُمْ سَبْحَانَهُ فِي الْوَاقِعَةِ بِانْقِسَامِهِمُ الْآخِرِيُّ فَافْتَتَحَ بِذِكْرِ السَّاعَةِ ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾﴾ فَتَجَرَّدَتِ هَذِهِ السُّورَةُ لِلتَّعْرِيفِ بِأَحْوَالِهِمُ الْآخِرِيَّةِ وَصَدْرَتِ بِذَلِكَ عَمَّا جَرَدَ فِي السُّورَتَيْنِ قَبْلَ التَّعْرِيفِ بِحَالِهِمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ... (١)».

يقول الرازي: «تتعلق هذه السورة بما قبلها، من وجوه:

أحدها: أن تلك السورة مشتملة على تعديد النعم على الإنسان ومطالبته بالشكر ومنعه عن التكذيب كما مر، وهذه السورة مشتملة على ذكر الجزاء بالخير لمن شكر وبالشر لمن كفر. ثانيها: أن تلك السورة متضمنة للتنبيهات بذكر الآلاء في حق العباد، وهذه السورة كذلك لذكر الجزاء في حقهم يوم التناد.

ثالثها: أن تلك السورة سورة إظهار الرحمة وهذه السورة سورة إظهار الهيبة على عكس تلك السورة مع ما قبلها، وأما تعلق الأول بالآخر ففي آخر تلك السورة إشارة إلى الصفات من باب النفي والإثبات، وفي أول هذه السورة إلى القيامة وإلى ما فيها من المثوبات والعقوبات، وكل واحد منهما يدل على علو اسمه وعظمة شأنه، وكمال قدرته وعز سلطانه (٢)».

ولما صنف سبحانه الناس في تلك إلى ثلاث أصناف: مجرمين وسابقين ولاحقين، وختم بعلة ذلك وهو أنه ذو الانتقام والإكرام، شرح أحوالهم في هذه السورة وبين الوقت الذي يظهر

(١) البرهان في تناسب سور القرآن لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ٦٢٧-٧٠٧، تحقيق د. سعيد بن جمعة الفلاح، تقديم

د. عبدالله عبدالمحسن التركي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى محرم ١٣٢٨هـ، (٣٢٨).

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٤٠/٢٩).

فيه إكرامه وانتقامه بما ذكر في الرحمن غاية الظهور فقال بانياً على ما أرشده السياق إلى أن تقديره: يكون ذلك كله كوناً يشترك في علمه الخاص والعام.

فهذه السورة متآخية مع سورة الرحمن في أن كلا منهما في وصف القيامة والجنة والنار وانظر

إلى اتصال قوله هنا ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١﴾ بقوله هناك ﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ ۝١﴾<sup>(١)</sup> ولهذا

اقتصر في الرحمن على ذكر انشقاق السماء وفي الواقعة على ذكر رج الأرض فكأن السورتين لتلازمهما واتحادهما سورة واحدة ولهذا عكس في الترتيب فذكر في أول هذه السورة ما ذكره في آخر تلك وفي آخر هذه ما في أول تلك، فافتتح الرحمن بذكر القرآن ثم ذكر الشمس والقمر ثم ذكر النبات ثم خلق الإنسان والجان من نار ثم صفة القيامة ثم صفة النار ثم صفة الجنة وابتدأ هذه بذكر القيامة ثم صفة الجنة ثم صفة النار ثم خلق الإنسان ثم النبات ثم الماء ثم النار ثم النجوم ولم يذكرها في الرحمن كما لم يذكر هنا الشمس والقمر ثم ذكر القرآن، فكانت هذه السورة كالمقابلة لتلك وكرد العجز على الصدر<sup>(٢)</sup>.

يقول سعيد حوى في وصف بديع لترابط السورتين الكريمتين: «والصلة بين سورة الواقعة وسورة الرحمن في المكان الأعلى، فمن وسط سورة الرحمن إلى وسط سورة الواقعة يكاد يكون الكلام ذا مضمون واحد، ثم إن الكلام عن الكافرين والمقربين وأهل اليمين يبدأ بسورة الرحمن بقوله: ﴿ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ ۝١﴾ وتبدأ سورة الواقعة بقوله تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١﴾ مما يشعر أن سورة الواقعة تكاد تكون استمراراً لسورة الرحمن ومكملة لمعانيها<sup>(٣)</sup>».

وسورة الرحمن فصلت في حال الجننتين اللتين أعدهما الله لعباده المؤمنين ووصفت عذاب الصنف الخاسر، والواقعة فصلت في أصحاب الجننتين، المقربين وأصحاب اليمين، ثم ذكرت الصنف الثالث الخاسر ووصفته، فتلك تصف العذاب والنعيم، وهذه تصف أصحاب النعيم وأصحاب العذاب ومآل كل صنف من أصناف الناس الثلاثة يوم القيامة والمذكورة في فاتحة السورة الكريمة.

(١) سورة الرحمن، آية: (٣٧).

(٢) (ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٤٠٢/٧، وأسرار ترتيب القرآن للسيوطي ١٣٤/١-١٣٥)

(٣) الأساس في التفسير لسعيد حوى (١٠/٥٦٧٩)

## المطلب الثالث: مناسبة السورة لما بعدها

قال ابن الزبير: «لما تقدم قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ (٥٧) وفيه من التقريع والتوبيخ لمن قرع به ما لا خفاء به، ثم أتبع بقوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ (٥٨) ... الآيات إلى قوله: ﴿ وَمَتَعَا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧٣) فندروا ووبخوا على سوء جهلهم وقبح ضلالهم ثم قال بعد ذلك ﴿ أَفِيهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾ (٨١) واستمر توبيخهم إلى قوله: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٨٧) فلما أشارت هذه الآيات إلى قبائح مرتكبائهم أعقب تعالى ذلك بتنزيهه عز وجل من سوء ما انتحلوه وضلالهم فيما جهلوه فقال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (٩٦) أى نزّهه عن عظيم ضلالهم وسوء اجترامهم ، ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿ سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١) ثم أتبع ذلك بقوله له: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٢) فبين تعالى انفراده بصفة الجلال ونعوت الكمال ، وأنه المنفرد بالملك والحمد ، وأنه الأول والآخر والظاهر والباطن إلى قوله: ﴿ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٦) (٣) فتضمنت هذه الآي إرغام من أشير إلى حاله في الآي المتقدمة في سورة الواقعة وقطع ضلالهم والتعريف بما جهلوه من صفاته العلى وأسمائه الحسنى جل وتعالى، والتحمت آي السورتين واتصلت معانيها (٤)».

كما ترتبط السورة الكريمة بسورة الحديد ارتباط وثيقا من حيث اشتمال سورة الحديد على إبراز تنزيه الله جل وعلا عما قاله المشركون في حق الله من اتخاذ الشريك في سورة الواقعة وعمّا افتروه عليه من عجزه عن إعادة الحياة بعد الممات تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، ويظهر

(١) سورة الحديد، آية: (١).

(٢) سورة الحديد، آية: (٢).

(٣) سورة الحديد، آية: (٦).

(٤) البرهان في تناسق سور القرآن لأحمد بن إبراهيم بن الزبير (١٨١-١٨٢)

اتصال السورة الكريمة بسورة الحديد بصورة واضحة ووثيقة من حيث طرفيهما، عجز هذه وصدر تلك، فهذه ختمت بالأمر بالتسبيح وتلك بتأكيده على المكلفين من خلال إخباره سبحانه أن كل ما في السموات والأرض يسبحونه وعبر بـ {ما} لتشمل العموم لكل شيء فتشمل العاقل وغيره، فأول سورة الحديد واقع موقع العلة للأمر به وكأنه قيل ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (٩٦) لأنه ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، ويحتمل أن يكون المراد فسبح واذكر ربك باسمه الأعظم، ثم ذكر تسبيح كل ما في السموات والأرض لله وذكر أيضا جملة من أسماء الله الحسنى، وقد ورد عن ابن عباس أن اسم الله الأعظم موجود في ست آيات من أول سورة الحديد<sup>(١)</sup>.

قال السيوطي: «ظهر لي لطيفة أخرى وهي أنه إذا وقعت سورة مكية بعد سورة مدنية افتتح أولها بالثناء على الله كالأنعام بعد المائدة والإسراء بعد النحل وهذه-يعني الفرقان- بعد النور وسبأ بعد الأحزاب والحديد بعد الواقعة وتبارك بعد التحريم لما في ذلك من الإشارة إلى نوع استقلال وإلى الانتقال من نوع إلى نوع<sup>(٢)</sup>».

هذا وإن جرى ذلك في بعض السور إلا أن الأكثر من السور المدنية التي تتبعها مكية على غير ذلك فلا تبتديء بالثناء فقد وقعت سور مكية بعد مدنية ولم تفتتح بالثناء على الله كسورة يونس عليه السلام بعد سورة التوبة وسورة إبراهيم عليه السلام بعد سورة الرعد وسورة المؤمنون بعد سورة الحج وغيرهن كثير، فعلى هذا لا يكون مقصودا ابتداء الثناء في السور المكية لأنها تبعت سوراً مدنية بقدر ما فيه تميز ابتداء بعض السور المكية بالثناء على الله فحسب، وذلك ليناسب تنزيه الله عز وجل عما كان عليه المشركون في مكة من الشرك وعبادة الأوثان والثناء على آلهتهم والتعدي على جناب الله جل وعلا بالتنقيص أو الذم تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ٢٥٥/٥، التفسير الكبير لفخر الدين الرازي

٢٩/٢٠٥، البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢١٦/٨، أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ١/١٣٥)

(٢) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي (١/١٢٠)

## المبحث الثالث

وجه اختصاص السورة بما اختصت به من موضوعات

---

\* \* \* \* \*

## وجه اختصاص السورة بما اختصت به من موضوعات

انفردت السورة الكريمة بأسلوب تميز عن باقي السور المكية واختصت به دون سواها خاصة وأن نزولها كان في بداية مراحل الدعوة، فكان مما اختصت السورة الكريمة به ما يلي:

١- من السور التي سميت باسم من أسماء يوم القيامة، وافتتحت بأسلوب الشرط (إِذَا) في سبع سور<sup>(١)</sup> في القرآن افتتحت بالشرط من سور المفصل هي أولها، وفي أسلوب الشرط طاقة بلاغية قوية من إثارة الانتباه والترقب والتطلع إلى جواب الشرط بعد استرسال النفس في إدراك معاني فعل الشرط<sup>(٢)</sup>.

٢- بيان العدل الإلهي في تقسيم الناس يوم الجزاء حسب أعمالهم في الدنيا، إلى ثلاثة أصناف سابقين وأصحاب يمين وأصحاب شمال، ووصف كل قسم وصفا بديعا ترغيبا وترهيبا.

٣- اختصت السورة الكريمة بأسلوب التشويق الاستفهامي المتكرر، والمتمثل في أدوات الاستفهام: (ما، والهمزة) كما في قوله ( مَا أَحْصَبُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ ) والهمزة كما في قوله ( ءَأَنْتُمْ

تَخْلُقُونَهُمْ ) وهو من أساليب الخطاب البليغة عند العرب في لفت الانتباه والتشويق وتحويل أمر المستفهم عنه، ومعلوم ما في هذا الأسلوب من تشويق لإشعال الفكر واستدعاء الذهن ليبحث عن الجواب فيجيب نفسه، مع إهمال الجواب تارة ليذهب الذهن في الجواب كل مذهب، والإجابة للبعض الآخر لإقامة الحجة، وأسلوب الاستفهام هذا هو في مقابل استفهام المنكرين

(١) وهي على التوالي بعد هذه السورة سورة المنافقون والتكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة والنصر (ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/١٨٠)

(٢) (ينظر: مجلة الوعي الإسلامي، مقال باسم: مع سورة الواقعة، للدكتور عبدالغني الراجحي، العدد ٢٧٣، رمضان ١٤٠٧هـ ص ٧٤).

للبعث في قولهم: ( أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ ) و ( أَوَّابًاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ) فيكون من باب المقابلة.

٤- من السور التي خلت من لفظ الجلالة، و عوض الاسم العظيم بالضمير المعظم للذات الإلهية بقوله ( نَحْنُ ) وبالربوبية بقوله ( رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ ) وقوله: ( فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ) ، وذلك والله أعلم لتعظيم شأن الخالق الرب العظيم في النفوس وخاصة المنكرين الجاحدين منهم.

٥- اختصت بالقسم العظيم من الرب العظيم على شرف وصدق كلامه العظيم، وأنه نزل من رب العالمين.

٦- تكرار الأمر بتنزيه الله باسمه العظيم سبحانه عما افتراه عليه المشركون من اتخاذ الشريك، ومن عدم قدرته على البعث والمعاد وإعادة الخلق من جديد ( فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ) .

٩- تفردت السورة بذكر لفظ ﴿ مَخْضُودٍ ﴾ في قول الله تعالى ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ وهي وحيدة في القرآن صيغة ومادة، وهي من خضد الشجر فهو مخضود وخضيد بمعنى مقطوع الشوك، فتختص الكلمة القرآنية بدلالة التشذيب والتجريد من الشوك دون التصريح بلفظ الشوك، على حين لو قلنا سدر مكسور أو مقطوع لكان حتما تقيدهما بلفظ الشوك، كقولك قطع شوكه أو كسر شوكه، وكله من الشرح للكلمة القرآنية التي لا يؤيدها سواها: مخضود<sup>(١)</sup>.

(١) لفظ ( مخضود ) ينظر: الإعجاز البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبدالرحمن المعروفة ببنت الشاطيء (٣٩٢)

# الفصل الخامس

## مقاصد السورة وأهدافها

---

\* \* \* \* \*



## مقاصد السورة وأهدافها

يرى البقاعي أن مقصود السورة الكريمة هو: الدلالة على تمام قدرة الله لإثبات وصفه بالعظمة بجميع الكمال من الجمال والجلال من خلال شرح أحوال الأقسام الثلاثة المذكورة في سورة الرحمن السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال<sup>(١)</sup>.

ويعدد الطاهر بن عاشور ما اشتملت عليه السورة من مواضع بقوله:  
«أغراض هذه السورة: التذكير بيوم القيامة وتحقيق وقوعه.

ووصف ما يعرض وهذا العالم الأرضي عند ساعة القيامة، ثم صفة أهل الجنة وبعض نعيمهم .  
وصفة أهل النار وما هم فيه من العذاب وأن ذلك لتكذيبهم بالبعث . وإثبات الحشر والجزاء والاستدلال على إمكان الخلق الثاني بما أبدعه الله من الموجودات بعد أن لم تكن، والاستدلال بدلائل قدرة الله تعالى، والاستدلال بنزع الله الأرواح من الأجساد والناس كارهون لا يستطيع أحد منعها من الخروج، على أن الذي قدر على نزعها بدون مدافع قادر على إرجاعها متى أراد على أن يميتهم، وتأكيد أن القرآن منزل من عند الله وأنه نعمة أنعم الله بها عليهم فلم يشكروها وكذبوا بما فيه<sup>(٢)</sup>».

ويقول سيد قطب إن القضية الأولى التي تعالجها السورة الكريمة هي قضية النشأة الآخرة<sup>(٣)</sup>، وقد استنبط سعيد حوى أن مقصد السورة التهييج على العبادة والتقوى والعمل الصالح، من خلال التذكير بيوم القيامة، وبنى استنباطه ذلك على التأمل في السور المبدوءة بإذا وأن تلك السور يكون ذلك مقصودها<sup>(٤)</sup>.

ويمكن الربط والتوفيق بين ما ذكره علماء التفسير من مقاصد السورة الكريمة آنفا في أنها

(١) نظم الدرر للبقاعي (٤٠٢/٧) بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٢٨٠-٢٨١)

(٣) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ٦ / ٣٤٦١.

(٤) ينظر: الأساس في التفسير لسعيد حوى ٥٦٨١-٥٦٩٠

تهدف إلى تقرير حقيقة وقوع القيامة التي سماها بالواقعة تحقيقاً لوقوعها بهذه التسمية وذلك إثباتاً لحقيقة البعث والمعاد وتقريراً للجزاء والحساب من جنة ونار بغية الوصول إلى تقرير إفراد الله بالعبادة وتوحيده بالألوهية من خلال الإخبار بالأمور الغيبية التي تحدث في يوم البعث من انقسام الناس حسب أعمالهم للجزاء والحساب ومن خلال التذكير ببعض الأمور الفطرية المشاهدة في الحياة اليومية المقررة فطرة بتوحيد الله في ربوبيته، وتلك الأمور الإيمانية الواجبة وما فيها من أخبار غيبية وأحداث عينية جاءت في كلام الله الكريم فهو كرم القدر رفيع المنزلة مصدق فما أخبر به وحكاه، ثم تقرير حقيقة الضعف البشري عند الاحتضار في مقابل القدرة الإلهية المطلقة في خلق النطفة، وربط حتمية انتهاء حياة الإنسان المحسوسة بحتمية بدء حياته الغيبية للجزاء والحساب، والحتم بتنزيه الرب العظيم الخالق الباعث المحيي المميت القدير المستحق للعبادة والتوحيد.

كما يمكن إيراد ما اشتملت عليه السورة الكريمة من مقاصد وأهداف كلية في نقاط على النحو التالي:

- تقرير حقيقة وقوع يوم القيامة وأهواله، وتصوير أحداثه كالعيان لتأكيد وقوعه.
- تقرير حقيقة العدل الإلهي في خلقه المتمثل في مجازاة كل أحد على حسب عمله، وفيه إظهار الحكمة في خلق الخلق من حيث تفاوت أعمالهم ليظهر بذلك تفرد الخالق في أفعاله عن غيره وتنزيهها عن العبيثية.
- تقرير حقيقة البعث والنشور والمعاد، وأنها من المسلمات تسليم إيجاد الإنسان من العدم وامتداد سلالته، وحاجته لأسباب حياته من ماء ونبات ونار.
- تقرير حقيقة تفرد الله جل وعلا واستحقاقه الألوهية والعبادة دون سواه بتقرير حقيقة تفرد الربوبية والخلق والإيجاد والإنشاء من العدم والتي لا تنكرها الفطر السليمة.
- تقرير حقيقة صدق القرآن وأنه كلام الله المنزل على رسوله، المعجز بلفظه وبلاغته وفصاحته، وفيه رد على المنكرين لكلام الله المنتقصين له، المتهمين باختلاقه، الطاعنين في نسبه لله جل وعلا.

- تقرير حقيقة الموت الحتمية للجميع وربط أحداثها المشاهدة بالأحداث الغيبية التي ينكرها أهل الإلحاد والجحود للرد عليهم وبيان ضعفهم وعجزهم عند الاحتضار.



# الفصل السادس

## الوحدة الموضوعية

---

\* \* \* \* \*

## الوحدة الموضوعية

مما لاشك فيه أن كل كلام له هدف وغاية وموضوع مستقل يحمل، وما لا يكون مشتقاً على موضوع وغاية فإنه إما أن يكون عبثاً أو خلطاً من الكلام لا يحصل منه مقصود وهدف وغاية.

وبما أن لكل كلام موضوعاً وغاية يهدف منها سياقه فإن كلام الله المجيد أحق أن يكون له هدف وموضوع تنتظم من خلاله مواضيع السورة، ولقد اشتمل القرآن المجيد على ترتيب ونظم بديع معجز في نظمه العام ونظم سورته وتتابعها ونظم مقاطع آيات السورة الواحدة ونظم تراكيب جمل الآيات والكلمات في كل مقطع وترابطها وترابط المقاطع في وحدة موضوعية تختص بها السورة كسمة بارزة لها من بين السور الكريمة وقد تشترك في الموضوع وبعض المضمون مع سور أخرى إلا أنها حتما تبرز فيها ملامح تميزها عن غيرها في مطلعها وسياقها وخاتمها.

وبالنظر في سياق السورة الكريمة وحسبما ورد من كلام أهل التأويل يتجلى مقصدها الأعظم وهو تقرير حقيقة البعث والنشور للجزاء والحساب وهو الذي افتتحت به السورة الكريمة بلفظ يؤكد تحققه ووقوعه ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِقَوْمِهَا كَذِبٌ ۝٢﴾ ، تكديداً لمن أنكره ونفاه من الكفرة المشركين بقولهم ﴿وَكَاوُوا يُصْرُونَ عَلَى الْغَنِيِّ الْعَظِيمِ ۝٤٦ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيُّنَا لَمَبْعُوثُونَ ۝٤٧ أَوَّابًا وَأَنَا الْأَوَّلُونَ ۝٤٨ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٥٠﴾ ، فالسورة الكريمة تؤكد ذلك المقصد حيث تذكر أحداث يوم البعث والنشور للجزاء والحساب بدءاً بتأكيد وقوعه بتأكيدات متعددة ومتنوعة، ثم بيان غاية وقوعه من انقسام الناس فيه حسب أعمالهم للجزاء والحساب، والاستدلال بالدلائل الحسية على وقوعه تأكيداً له وإقامة للحجة على من أنكره ونفاه، وتأكيد ذلك بالقسم العظيم على صدق وكرامة اللفظ الذي نزل فيه خبر البعث والنشور والمعاد، وربط ذلك بنهاية الإنسان الحتمية التي سوف ينتقل بعدها للجزاء بحسب عمله الذي عمله في الدنيا، وفي تلك الموضوعات تكوين

للوحدة الموضوعية للسورة الكريمة التي تعنى بإثبات البعث نقلا وعقلا بلاغا وحجة. وفي انسباك آيات السورة مع بعضها نجدتها تعالج موضوع البعث، مقسمة إلى الأقسام الآتية: مقدمة وثلاثة مقاطع هي فصول ثلاثة وخاتمة.

أما المقدمة فتحدث عن نهاية العالم وعن التغيير الذي سيحدث للكون، ثم يأتي المقطع الثاني وهو يقسم الناس إلى أقسام ثلاثة وهم: أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسابقون، ويذكر جزء كل قسم وسبب استحقاقهم هذا الجزء، وينتهي هذا المقطع بقوله تعالى: ﴿ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ

### الدِّينِ ﴿٥٦﴾

المقطع الثالث: يناقش المنكرين للبعث، ويسوق أدلة واضحة على البعث وهي

- ١- خلق الجنين: وكيف أن الله تعالى يكونه في بطن أم بدون تدخل من أحد.
- ٢- الزرع: وكيف أن الله تعالى هو الذي تولى زرع وحفظه.
- ٣- الماء: وكيف أن الله تعالى يسوقه إلى البلد الميت وينزله غيثا.
- ٤- النار: ومظهر قدرة الله تعالى فيها كبير حيث أنشأها من الشجر الأخضر.

وأمام دلائل تلك القدرة العظيمة بسرعة يأمر القرآن العاقل أن يسبح ﴿ فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ

### الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

المقطع الرابع: ويبدأ بالقسم بمواقع النجوم على تكريم القرآن وتعظيمه ونزوله من عند الله تعالى، ثم يتكلم القرآن عن الروح مظهرا ضعف الدنيا أمام سرها العجيب وعجز الناس عن عودة الروح إلى الجسد كاف في أثبات البعث والجزاء، ثم تأتي الخاتمة وهي ترد العجز إلى الصدر، وتقسم الناس مرة أخرى إلى ثلاثة أقسام<sup>(١)</sup>.

(١) من محاضرات الأستاذ الشيخ محمود غريب، موقع نداء الإيمان [www.Al-eman.com](http://www.Al-eman.com) برعاية ( المجموعة

الوطنية للتقنية ) الصفحة الرئيسية، شجرة التصنيفات، كتاب الحاوي في تفسير القرآن الكريم، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ص ٢١٤٩٤ - بتصرف.

# الفصل السابع

## مناسبات السورة الكريمة

ويشتمل على ثلاثة مباحث: -

المبحث الأول: مناسبة اسم السورة لموضوعاتها. 

المبحث الثاني: مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها. 

المبحث الثالث: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها. 

\* \* \* \* \*

# المبحث الأول

مناسبة اسم السورة لموضوعاتها

---

\* \* \* \* \*



## مناسبة اسم السورة لموضوعاتها

سبق الاستشهاد بقول الزركشي في تناسب اسم السورة لمضمونها في مبحث اسم السورة<sup>(١)</sup>، وقد قال بعد ذلك: «واعلم أن تسمية سائر سور القرآن يجرى فيها من رعى التسمية ما ذكرنا وانظر سورة ﴿ق﴾ لما تكرر فيها من ذكر الكلمات بلفظ القاف ومن ذلك السور المفتوحة بالحروف المقطعة ووجه اختصاص كل واحدة بما وليته حتى لم تكن لتزد ﴿آل﴾ في موضع ﴿آل﴾ ولا ﴿حم﴾ في موضع ﴿طس﴾ لا سيما إذا قلنا إنها أعلام لها وأسماء عليها<sup>(٢)</sup>».

### لم سميت بالواقعة؟

سميت الواقعة لأنه لا بد من وقوعها والعرب تسمي كل متوقع لا بد منه واقعا، وإيدانا بتحقيق وقوعها، ولكثرة ما يقع فيها من الشدائد، وقيل: لأنها تقع على غفلة من الناس، وقيل: سميت واقعة لأنها تقع عن قرب<sup>(٣)</sup>.

وأصل الواقعة من وقع، والوقوع ثبوت الشيء وسقوطه، يقال وقع الطائر وقوعا، والواقعة لا تقال إلا في الشدة والمكروه، قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۗ لَيْسَ لَوْعَعِهَا كَاذِبَةٌ ۗ﴾، وقال سبحانه: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۗ﴾<sup>(٤)</sup>، ووقوع القول حصول متضمنه، قال تعالى: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا ۗ﴾<sup>(٥)</sup>، أي وجب العذاب الذي وعدوا لظلمهم، وقال سبحانه:

(١) ينظر صفحة: (٣٧) من هذا البحث.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٢٧١)

(٣) (ينظر: النكت للماوردي ٥/٤٤٥، تفسير القرآن للسمعاني ٥/٣٤١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/١٩٤،

روح المعاني للآلوسي ٢٧/١٢٩).

(٤) سورة المعارج: آية: (١).

(٥) سورة النمل، آية: (٨٥)

﴿ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup> ، واستعمال لفظة الوقوع ههنا تأكيد للوجوب<sup>(٢)</sup> .

يقول البقاعي: «إن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه ، وذلك هو الذي أنبأ به آدم عليه الصلاة والسلام عند العرض على الملائكة عليهم الصلاة والسلام ، ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها<sup>(٣)</sup>»، وقال في سورة الواقعة: «واسمها الواقعة دال على ذلك بتأمل آياته وما يتعلق الظرف به<sup>(٤)</sup>».

وذكرنا سابقاً<sup>(٥)</sup> أن موضوع السورة الرئيس هو إثبات البعث والمعاد الدال عليه مسمى الواقعة الذي هو اسمها وهو من أسماء يوم القيامة، وفيها تتقرر حقائق القدرة على البعث والمعاد والجزاء والحساب وعلى صدق كلامه المجيد سبحانه وعلى ضعف الإنسان عند موته ومآله، والتي هي أبرز الموضوعات المتفرعة عن الموضوع الرئيس للسورة الكريمة، ومعلوم ما بين موضوع السورة الرئيس وما تفرع منه من ترابط وتناسق، فحقائق البعث والنشور والمعاد وما يحصل في ذلك اليوم من أهوال وفزع وخراب الدنيا وما فيها، وانقسام الناس فيه جزاء أعمالهم ترغيباً وترهيباً، وإثبات تلك الحقيقة وتلك الأحداث بدلائل القدرة المحسوسة التي يعيشها المنكرون وبها أساس حياتهم، والقسم العظيم من العظيم على صدق ما أنزل من كلام عظيم وصفه سبحانه بأنه كريم عالي القدر والمكانة لتأكيد صدقه وحقيقته ليستقر تصديق النفوس بأخباره وتلك الحقائق، وحقيقة الموت والاحتضار وضعف الإنسان ومن حوله عندئذ، ثم تأكيد مصير الإنسان للأحوال المآلية التي ذكرت مطلع السورة، هو مرتبط بإثبات حقيقة وقوع يوم القيامة للجزاء والحساب وأن الحقيقة التي ترومها السورة الكريمة وتتضمنها موضوعاتها ضمناً هي نفي العيشة في خلق الله

(١) سورة النساء، آية: (١٠٠)

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (١/٥٣٠)

(٣) نظم الدرر للبقاعي (١/٢٧٠)

(٤) المصدر السابق (٧/٤٠٢)

(٥) ينظر صفحة: (٧٤) ، (٧٨) من هذا البحث.

للخلق على العموم والإنسان على الخصوص وأن الحكمة العليا في خلق الإنسان هي توحيد الله في عبادته كما قال جل شأنه ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾<sup>(١)</sup> وهو الهدف البعيد الذي ترمي السورة الكريمة لرسمه في الأذهان وترسيخه في النفوس ضمنا من خلال ذكر انقسام الناس يوم القيامة نتيجة تفاوت أعمالهم وهو ضمنا كذلك في قدرة الخالق في جعل النطفة سببا في سلالة الإنسان بل قدرته بإيجاد أصله من العدم وقدرته في إنبات الزرع وإنزال المطر وإنشاء النار.



(١) سورة الذاريات، آية: (٥٦).

## المبحث الثاني

مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها

---

\* \* \* \* \*

## مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها

افتتحت السورة الكريمة باسم من أسماء يوم القيامة وهو الواقعة، والواقعة هي تقرير حقيقة البعث والمعاد الذي هو موضوعها الرئيس، وقد اشتملت السورة الكريمة على مواضيع تفرعت من محورها الأساس وهي مرتبطة به ارتباط الفرع لأصله.

يقول صاحب الظلال: «هذا المطلع واضح فيه التهويل في عرض هذا الحدث الهائل . وهو يتبع أسلوبا خاصا يلحظ فيه هذا المعنى ، ويتناسق مع مدلولات العبارة . فمرتين يبدأ بإذا الشرطية يذكر شرطها ولا يذكر جوابها . . . فكأنما هذا الهول كله مقدمة ، لا يذكر نتائجها ، لأن نتائجها أهول من أن يحيط بها اللفظ ، أو تعبر عنها العبارة !

هذا الأسلوب الخاص يتناسب مع الصورة المروعة المفزعة التي يرسمها هذا المطلع بذاته . فالواقعة بمعناها وبجرس اللفظ ذاته - بما فيه من مد ثم سكون - تلقى في الحس كأنما هي ثقل ضخم ينقض من عل ثم يستقر ، لغير ما زحزحة بعد ذلك ولا زوال !»<sup>(١)</sup>.

فافتتاح السورة الكريمة باسم من أسماء يوم القيامة يدل على حقيقة وقوعها، فالحق سبحانه أكد وقوعها بلفظ الوقوع ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾<sup>(١)</sup> وينفي تكذيب الوقوع ردا على من كذب بوقوعها بقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ لَوْقَعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> على أن كاذبة مصدر والضمير في لوقعتها: القيامة، أي ليس لوقوع القيامة تكذيب، كما أكد وقوعها قبل ذلك بالمعنى الذي ضمنه معنى الجملة الشرطية والذي يدل على انتهاء زمن التكذيب والانتقال لزمن الحدث المستقبل المخبر عنه بذكر أحداثه ضمنا في فعل الشرط وجوابه، ومعلوم ما في ذلك من براعة الاستهلال قال الطاهر ابن عاشور: «افتتاح السورة بالظرف المتضمن الشرط افتتاح بديع لأنه يسترعي الأبواب لترقب ما

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/ ٣٤٦٢)

بعد هذا الشرط الزماني مع ما في الاسم المسند إليه من التهويل بتوقع حدث عظيم يحدث<sup>(١)</sup>. ويظهر تناسق استهلال السورة البديع بمواضيعها المتتالية عندما ربط جواب الشرط بالشرط بجمل اعتراضية ذكر فيها ما يحصل عند قيام الساعة من أحداث عظام توحى بانتهاء الحياة المشاهدة بخرابها وفي ذلك الخراب بدء الحياة الغيبية الجديدة، حياة الجزاء والحساب بتصنيف الناس يوم القيامة إلى أصناف ثلاثة لا رابع لهم، وانقسام الناس في ذلك اليوم إلى تلك الأصناف حسب أعمالهم.

وحيث إن تلك الأخبار الغيبية التي تحدث يوم القيامة فيها معنى إثبات قدرة الله جل وعلا على البعث والنشور والمخاطبون يجحدون ذلك ولهذا فقد جاءت الآيات بعد فتعرضت لإثباته بالدلائل الحسية، فعرضته بأسلوب الاستفهام البليغ، الاستفهام المتضمن معنى الجواب، بهدف إثارة المعرفة الفطرية تذكيرا لهم وإقامة للحجة عليهم، وذلك في الاستفهام عن الموجد لأصل الإنسان وسبب سلالته، وفي الموجد لأسباب حياته التي لا يستغني عنها بحال، من إنبات الزرع الذي منه طعامه وطعام أنعامه، وإنزال المطر الذي منه شرابه وشراب أنعامه، وإنشاء النار التي فيها منافعه المتعددة.

ولأن الأخبار تحتاج إلى تأكيد عادة وخاصة الغيبية منها التي ستحصل في المستقبل، والمخاطبون جاحدون ومنكرون أشد الإنكار جاء القسم العظيم ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ مؤكدا عظمتها بالجملة الاعتراضية ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ ﴿٧٦﴾ على صدق القرآن وأخباره وأنه كريم عالي القدر والمكانة، أنزله رب العالمين بشيرا ونذيرا، ولتأكيد محبة الله في هدايتهم وإقامة الحجة على من أعرض جاء القسم العظيم، وإلا فالعظيم غني عن تأكيد كلامه وما فيه من خبر بالقسم لخلقهم وهم المحتاجون إليه وهو الغني الحميد.

كما يظهر تناسق افتتاح السورة بواقعة القيامة الكبرى مع خاتمتها بواقعة القيامة الصغرى الحتمية للإنسان عند موته، وذلك حين ذكّر المكذبين بأكثر لحظات ضعفهم عند خروج الإنسان من الدنيا وربط تلك اللحظات المشاهدة المحسوسة بالإشارة بإجازا إلى مآله في أحد الأصناف الثلاثة المفصل ذكرها في مطلع السورة، في ربط الصدر بالعجز ربطا بليغا، وتناسقا

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٢٨١)

لآيات السورة الكريمة تناسقا بديعا، ونظما وتسلسلا فريدا لغايات السورة الكريمة وأهدافها. كما يحسن أن نورد ما ذكره سعيد حوى عن ترابط سياق السورة واتصاله حيث قال: «فالسورة بدأت بالحديث عن وقوع يوم القيامة وأقسام الناس فيه، ثم جاءت المجموعة الثانية فأقامت الحجة على فساد مواقف أهل الشمال في الدنيا، وعلى سلامة سير المقربين وأهل اليمين، ثم تأتي المجموعة الثالثة والأخيرة فتقيم حجة وتذكر وتعود للحديث عن أقسام الناس عند الله: مقربين وأهل يمين وأهل شمال<sup>(١)</sup>».

يقول محمد عزت دروزة: «وفصول السورة بمجموعها صورة من صور النضال الشديد الذي كان يقع بين النبي ﷺ والكفار، وبخاصة في صدد تكذيب البعث والجزاء الأخرويين<sup>(٢)</sup>».

(١) الأساس في التفسير لسعيد حوى (٥٦٩٩/١٠)

(٢) التفسير الحديث لمحمد دروزة (٢٤٠/٣)

## المبحث الثالث

مناسبة فاتحة السورة لخاتمها

---

\* \* \* \* \*



## مناسبة فاتحة السورة لخاتمها

كان التناسق البديع بين الفاتحة والخاتمة في السورة الكريمة من أبداع التناسق براعة بين سور القرآن الكريم، حيث ذكر سبحانه الأصناف الثلاثة المفصل عنها بفاتحة السورة في خاتمها إشارة دون تفصيل مراعاة لمقتضى الحال من ذكر المآل بعد الممات وقد سبق التفصيل فلم يحتج لإعادته، ولما فيه من ربط نهاية الإنسان عند موته بمآله ومصيره المذكور في أول السورة الكريمة، وربط قيامته الصغرى بقيامته الكبرى، يقول الطاهر ابن عاشور: «لما اقتضى الكلام بحذافيره أن الإنسان صاحب الروح صائر إلى الجزاء فرع عليه إجمال أحوال الجزاء في مراتب الناس إجمالاً لما سبق تفصيله بقوله: ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ (٧) إلى قوله: ﴿ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ (٤٤) ليكون هذا فذلحة للسورة وردا لعجزها على صدرها ..... ثم قال: وقد ذكر لكل صنف من هؤلاء جزاء لم يذكر له فيما تقدم ليضم إلى ما أعد له فيما تقدم على طريقة القرآن في توزيع القصة<sup>(١)</sup>».

هذا وقد أعاد في ختام السورة ذكر الأزواج الثلاثة التي في أولها بعبارة أخرى، سوى أصحاب اليمين، فوصف السابقين في ختام السورة بالمقرنين، ووصف أصحاب الشمال في الختام بالمكذابين الضالين، وفيه من الحكمة ما ذكر منها الرازي فقال: «أما السابق فله حالتان إحداهما في الأولى، والأخرى في الآخرة، فذكره في المرة الأولى بماله في الحالة الأولى، وفي الثانية بماله في الحالة الآخرة، وليس له حالة هي واسطة بين الوقوف للعرض وبين الحساب، بل هو ينقل من الدنيا إلى أعلى عليين، ثم ذكر أصحاب اليمين بلفظين متقاربين، لأن حالهم قريبة من حال السابقين، وذكر الكفار بألفاظ ثلاثة كأنهم في الدنيا ضحكوا عليهم بأنهم أصحاب موضع شؤم، فوصفهم بموضع الشؤم، فإن المشأمة مفعلة وهي الموضع، ثم قال: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ (٤١) فإنهم في الآخرة يؤتون كتابهم بشمالهم، ويقفون في موضع هو

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣٤٧)

شمال، لأجل كونهم من أهل النار، ثم إنه تعالى لما ذكر حالهم في أول الحشر بكونهم من أصحاب الشمال ذكر ما يكون لهم من السموم والحميم، ثم لم يقتصر عليه، ثم ذكر السبب فيه، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ فذكر سبب العقاب لما بينا مرارا أن العادل يذكر للعقاب سببا، والمتفضل لا يذكر للإنعام والتفضل سببا، فذكرهم في الآخرة ما عملوه في الدنيا، فقال: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ﴾ ليكون ترتيب العقاب على تكذيب الكتاب فظهر العدل، وغير ذلك ظاهر<sup>(١)</sup>.

كما أن هناك تناسقا بديعا فيما ابتدئت السورة به من وصف الحدث المخبر عنه وصفا يشعر بوقوعه على الحقيقة وهو ما تضمنته معنى الجملة الشرطية التي تهدف للوصول إلى تقرير حقيقة الوقوع ليوم القيامة يوم البعث والنشور والجزاء والحساب معايشة للحدث للوصول إلى أعلى درجات اليقين الذي هو حق اليقين، وهو ما ذكره الله في ختام السورة الكريمة بقوله ﴿إِنَّ هَذَا لَهُو حَقُّ الْيَقِينِ﴾ ﴿١٥﴾ «أي إن هذا الذي أخبرتكم به أيها الناس من الخبر عن المقربين وأصحاب اليمين وعن المكذبين الضالين وما إليه صائرة أمورهم لهو حق اليقين يقول لهو الحق من الخبر اليقين لا شك فيه<sup>(٢)</sup>»، فحقيق أن ينزه الرب باسمه العظيم عن التهمة بعدم القدرة في البعث والنقص في ألوهيته وقد أبدع هذا التناسق والتلازم البديع بين ختام وفتحة هذه السورة الكريمة بصورة أعجزت أهل البلاغة الفصحاء من العرب وجعلتهم حيارى أمام تلك البلاغة وذلك النسق التناسب البديع.

يقول صاحب التفسير الحديث: «وطابع الختام بارز على هذا الفصل مما تكرر في سور أخرى، وفيه عود على بدء حيث تتشابه خاتمة السورة مع فاتحتها مما فيه صور من صور النظم القرآني كما هو المتبادر<sup>(٣)</sup>».

(١) التفسير الكبير للرازي (٢٩/٢٠٤).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٧/٢١٤).

(٣) التفسير الحديث لمحمد دروزة (٣/٢٤٠).



الباب الثاني

موضوعات السورة

الكرامة وثباتها

# الفصل الأول

وقوع البعث، أهواله، وأقسام الناس فيه: ويشمل

الآيات (٥٦-١)

ويشتمل على مبحثين: -

المبحث الأول: وقوع البعث وأهواله. 

المبحث الثاني: أقسام الناس يوم القيامة. 

\* \* \* \* \*

## المبحث الأول

### وقوع البعث، وأهواله ويشمل الآيات ( ١ - ٦ )

#### وفيه خمسة مطالب: -

المطلب الأول: تناسق آيات المقطع مع المطلع وهو ما يسمى ببراعة الاستهلال.

المطلب الثاني: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة.

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه الآيات.

\* \* \* \* \*

## المطلب الأول: تناسق آيات المقطع مع المطلع وهو ما يسمى ببراعة الاستهلال

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لَوْقَعِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذْ أَرْجَتْ الْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ ﴾

﴿ ۝٤ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ۝٦ ﴾

«قال أهل البيان :- إن من البلاغة حسن الابتداء، وقالوا :- وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، والابتداء الحسن يسمى ببراعة الاستهلال:- وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه<sup>(١)</sup>».

وافتتحت السورة الكريمة بالظرف { إذا } المتضمن معنى الشرط قال تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ

الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لَوْقَعِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذْ أَرْجَتْ الْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ ﴾ ومعلوم

ما في الجملة الشرطية التي تكررت في الآيتين الأولى والرابعة من تشويق لمعرفة جواب الشرط حتى تتعلق النفوس لمعرفة، وحتى يأتي الجواب تكون الأذهان والنفوس قد ذهبت في تحليل جواب الشرط كل مذهب، وقبل جواب الشرط وردت جمل اعتراضية بيانية للأحداث التي تقع في ذلك اليوم تهيولا لعظمته وتأكيدا لوقوعه، واستثارة للانتباه.

وتتجلى ببراعة الاستهلال في افتتاح السورة الكريمة والحديث عن يوم القيامة بإذا الظرفية المتضمنة معنى الشرط لتتنقل المخاطب إلى زمن الحدث المراد تقريره فتجعل حاضره الذي يعيشه الآن وكأنه أصبح ماضيا في حين أنه انتقل ليعيش الحدث المستقبلي بأهواله ليكون ذلك أكثر وقعا في النفوس وأشد وطئا عليها وأبلغ أسلوبا في تقرير حقيقة البعث، وهو في نفس الوقت لا يلتفت إلى المنكرين لوقوع ذلك اليوم، فالبعث أمر واقع مفروغ منه وهذه أحداثه العظيمة الرهيبة، فافتتاح السورة بالظرف المتضمن الشرط ، افتتاح بديع لأنه يسترعي الألباب لترقب ما بعد هذا الشرط الزماني مع ما في الاسم المسند إليه من التهويل بتوقع حدث عظيم يحدث<sup>(٢)</sup>.

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢٨٣/٣)

(٢) (ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٧/٢٨١)

وما من سورة إلا وابتدأت ببراعة يعجز عن مضاهاتها الثقلان وإن اجتمعوا، فاستهلال السورة الكريمة فيه من عظمة البراعة البلاغية ما يأسر القلب ويغلب اللب، وقد بدئت بإذا الشرطية التي تلفت انتباه السامع والقارئ لسماع وقراءة جوابها، والمشعرة بحقيقة مشروطها، اثباتا للبعث وتأكيذا لوقوعه، والمتضمنة كذلك معنى التهديد والسخرية بمن كذب به أو أنكره أو شك في وقوعه، تؤكد الآية الثانية ذلك المعنى وتنفي التكذيب بالبعث نفيا قاطعا لا مجال للشك فيه، وقد بدئت ب ﴿لَيْسَ﴾ المختصة بنفي الجملة الأسمية، في قوله سبحانه ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾، ثم يستطرد السياق في ذكر أحداث تلك الواقعة الرهيبة بما يشعر الإنسان بهول الموقف ورهبته تناسقا بين مطلع السورة وموضوع الآيات، ويتابع السياق فيذكر أثر هذا اليوم على الناس فيخفض بعضهم أسفل الدرجات ويرفع البعض أعلى الدرجات ويغير نظام الكون فلا الأرض الأرض التي يعرف ولا السماء سماء، ثم تتوالى الأحداث التي تؤكد خراب الحياة الدنيا ومادتها وتؤذن ببدء الحياة الحقيقية الباقية، فمن مواد الحياة الدنيا هذه الأرض التي يعيش عليها المنكرون، فها هي ذي تضطرب وتتلاشى ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ وها هي الجبال الشامخة تزول كذلك وتفتت حتى تصير بعد شموخها ورسوها وصلابتها ذرات من الهباء المنتشر في الهواء ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ ثم يأتي الوعد بالمجازاة على الأعمال وبانقسام الناس حسب أعمالهم ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ويبدأ التهويل في شأن كل قسم، تناسقا بديعا مع مطلع السورة وموضوع الآيات تحقيقا للغاية التي من أجلها انشأ الله الخلق.

## المطلب الثاني: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة

من أسماء اليوم الآخر الواقعة وهو اسم بجرسه اللفظي يلقي في الحس الخوف والتوجس من هذا اليوم وكأن العين والقلب يريانه وكأنه جسم ثقيل ألقى به من أعلى على هذا الكون فارتجت منه الارض رجا وتحولت منه الجبال هباء منبثا.  
ومن أسمائه الحاقا والقارعة والطامة والصاخة والواقعة كما ورد آفءا، فبين هذه الأسماء والمعاني التي دلت عليها تناسق فني.  
وفي تعدد الأسماء للمسمى إشعار بأهميته وعظم شأنه، فمن حكمة الله في تعدد أسماء يوم البعث تقريره في النفوس وحتمية وقوعه.

وقد اشتمل الموضوع على ذكر أهوال الواقعة الكبرى من خفض ورفع، ومن رج للارض واضطراب، ومن بس للجبال ونسف حتى تصبح هباء منثورا، وفي ذلك مزيد تأكيد لحقيقة البعث والنشور والمعاد، فالسياق يصور الأحداث واقعة مشاهدة معيشة تناسقا فنيا بين موضوع الآيات ومحور السورة وهذا هو التناسق الفني في أجلى صورته وأوضح معانيه.

### المناسبة بين المقطع وبين محور السورة:

أحداث هذا المقطع دائرة حول ثلاث قضايا:

١/ إثبات البعث وهو داخل في مسمى الواقعة.

٢/ استقامة موازين يوم البعث على الحق والعدل.

٣/ تغيير نظام الكون برج الأرض وإزاحة الجبال مؤذن بزوال الدنيا.

وهذه المحاور الثلاثة مرتبطة بالبعث الموضوع الأساسي للسورة، فالعلاقة بين محاور المقطع وبين موضوع السورة الأساسي علاقة مترابطة حيث أن ذكر أحداث يوم البعث تقرير لوقوعه.



### المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذْ ارْجَحَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝٤ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ۝٦ ﴾

قوله سبحانه: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ ﴾

هناك فرق بين التعبير بإذا والتعبير بإن، (فإذا) إذا استعملت شرطا فهي في الأصل ظرفية، ولهذا كانت تستعمل عند العرب لما هو متيقن الوقوع، بخلاف إن فإنها تستعمل لما هو محتمل الوقوع، فتقول سأتيك إذا طلعت الشمس ولا تقول إن طلعت لأن طلوعها متيقن، وتقول سأتيك إن جاء زيد لأن مجيء زيد محتمل، فإذا فيها معنى الظرفية فلا بد من وقوع ظرفها، وعليه فنقول أنه سبحانه عبر بها في مطلع السورة الكريمة في الآية الأولى بقوله سبحانه: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ ﴾ وذلك تأكيدا وتحقيقا لوقوعها.

#### الأقوال في ﴿ إِذَا ﴾:

١ - أنها في موضع نصب ظرف زمان والعامل فيها فعل ﴿ وَقَعَتِ ﴾ فهي تشبه حروف الشرط فيعمل فيها ما بعدها<sup>(١)</sup>.

٢ - انتصاب إذا بالعامل ﴿ لَيْسَ ﴾ في قوله ﴿ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ ﴾ كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل<sup>(٢)</sup>، وقيل بضعفه لأن (ليس) مثل (ما) النافية فلا حدث فيها فكيف يعمل في الظرف من غير حدث، ولأنها بذلك تسلب الدلالة على الشرطية الغالبة عليها، ولوجوب الفاء في ليس إذا لم تجرد عن الشرطية<sup>(٣)</sup>، وأجيب عنه أن لزوم الفاء مع الأفعال

(١) (ينظر: إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٤/٣٢١، مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي ٢/٧٠٩، البحر المحيط لأبي حيان ٨/٢٠٣).

(٢) (ينظر: الكشاف للزمخشري ٤/٤٥٤، التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٤١).

(٣) (ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ٨/٢٠٣).

الجمادة إنما هو في جواب إن الشرطية لعملها وأما {إذا} فأدخلوا الفاء في جوابها على خلاف الأصل<sup>(١)</sup>

٣ - انتصاب إذا بمحذوف، يعني: إذا وقعت كان كيت وكيت، وذلك لتذهب النفس في الجواب كل مذهب فيكون أهول في النفس<sup>(٢)</sup>.

٤ - أن انتصاب إذا بفعل متقدم يجعلها مفعولاً به لا ظرفاً وهو بإضمار اذكر أو اذكروا<sup>(٣)</sup>.

٥ - العامل في إذا يخفض قوم ويرفع قوم وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

٦ - أنها ظرف مضمن معنى الشرط منصوب بجزائه جوابها العامل فيها وهو ﴿فَأَصْحَابُ

الْيَمِينَةِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينَةِ﴾<sup>(٥)</sup> أي في يوم وقوع القيامة وقيامها وحصول هذه الأحوال العظيمة ظهرت منزلة أصحاب اليمين وأصحاب المشأمة<sup>(٥)</sup>.

٧ - وقيل إنها جواب لسؤال المشركين عندما قالوا متى هذا الوعد ومتى هذا الفتح فالمعنى يكون إذا وقعت الواقعة<sup>(٦)</sup>، وهو جواب لسؤال مفاده أن إذا للوقت فكيف وجه البداية بها في

أول السورة؟ فجوابه ماسبق وهو أنهم كانوا يسألونه متى الساعة فقال: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾...  
الآيات كأنه تعالى قال: لا سبيل إلى تعيينه بحسب وقته ولكني أعينه بحسب علاماته.  
وورد غير ذلك من الأقوال<sup>(٧)</sup>.

والذي يتبع السياق القرآني الكريم يجد أن إذا الشرطية إذا جاء بعدها الفاء البيانية فإنها

(١) (ينظر: روح المعاني للآلوسي ١٢٩/٢٧)

(٢) (ينظر: الكشاف للزمخشري ٤/٤٥٤، التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٤١)، نظم الدرر للبقاعي ٧/٤٠٣، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/١٨٨).

(٣) (ينظر: الكشاف للزمخشري ٤/٤٥٤، التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٤١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/١٩٤، فتح القدير للشوكاني ٥/١٤٧)

(٤) (ينظر: التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٤١)

(٥) (ينظر: التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٤١، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٧/٢٨١، أضواء البيان لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ٧/٥٠٨)

(٦) (ينظر: زاد المسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ٨/١٣٠)

(٧) (ينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٨/٣٦٩-٣٧١)

تكون جوابا لها، كما أنه يغلب على جواب إذا الشرطية أن يعترض جوابها جمل متنوعة إما بيانية أو مؤكدة لها أو لغرض مزيد اهتمام ولفت نظر لخدمة الهدف المسوق من أجله مضمون الشرط أو الشرط وجوابه، ويظهر ذلك جليا في مواضع كثيرة من كتاب الله كسورة النصر فجواب إذا الشرطية في قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ (١) هو ﴿ فَسَيَحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ... ﴾ فجواب الشرط لم يأت مباشرة بل سبق بجملة معطوفة على الشرط، فعلى هذا يكون العامل في إذا ما دل عليه جواب الفاء في قوله: ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ .. ﴾ والله أعلم بحقائق كلامه المجيد.

### المعاني الواردة في المراد بالواقعة:

أولا: على أنها صفة محذوف معين ذكر العلماء منه ما يلي:

١ - هي النفخة الأولى وتسمى نفخة الصعق، يعني إذا وقعت الصيحة صيحة القيامة، وذلك حين ينفخ في الصور لقيام الساعة<sup>(١)</sup>.

٢ - النفخة الثانية وهي نفخة بعث الناس من قبورهم لرب العالمين، وسميت القيامة {الواقعة} لصوتها<sup>(٢)</sup>.

فتعدد تفسيرها عند العلماء فمنهم من وصفها بالصيحة يعني نفخة الصعق ومنهم من وصفها بالساعة والأكثر على أنها القيامة، وقال بعض المفسرين الواقعة صخرة بيت المقدس تقع عند القيامة<sup>(٣)</sup>، وهو قول لم أقف له على أصل، واستبعده بعض المفسرين<sup>(٤)</sup>.

ثانيا: على أنها صفة محذوف غير معين والمراد التهويل، فيكون في تأنيثها بناء التأنيث إشارة

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١١، جامع البيان للطبري ٢٧/١٦٦

(٢) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي ٣/٣٦٩، الكشف والبيان للثعلبي ٩/١٩٩، تفسير القرآن لأبي المظفر محمد بن منصور بن عبد الجبار السمعاني ٥/٣٤١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/١٩٤، نظم الدرر للبقاعي ٧/٤٠٢، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/١٨٨، فتح القدير للشوكاني ٥/١٤٧، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٧/٢٨١، أضواء البيان للشنقيطي ٧/٥٠٨

(٣) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٢٣٨

(٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل للكلي ٤/٨٧، روح المعاني للآلوسي ٢٧/١٢٩

إلى شدة الأمر الواقع وهوله، فالهاء للمبالغة<sup>(١)</sup>.

والواقعة «قد أطلقت إطلاق الأعلام كأنها لا تحتاج إلى موصوف مقدر ولذا قيل: إنها من أسماء القيامة في القرآن كالحاقة و القارعة و الغاشية<sup>(٢)</sup>»، ووصف الطاهر ابن عاشور الآية بأنها محسن التحنيس باعتبار أن المراد من الواقعة القيامة<sup>(٣)</sup>.

ولتأكيد وقوعها والرد على المكذبين بما يواصل السياق فيقول الحق سبحانه:

﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾<sup>(٤)</sup>

فجاءت هذه الآية على نسق الآية الأولى في تأنيث لفظ الوقوع لزيادة التهويل والمبالغة<sup>(٤)</sup>.

والآية استئناف بياني ناشئ عن قوله ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ وهو اعتراض بين إذا الشرطية وجوابها<sup>(٥)</sup>.

وارتباط هذه الآية الكريمة بالآية الأولى قبلها من حيث إنها مؤكدة لمعناها، فهي «جملة اعتراض مقرر لمضمون الشرط على أن الكاذبة مصدر كالعافية أي ليس لأجل وقوعها وفي حقاها كذب أصلا بل كل ما ورد في شأنها من الأخبار حق صادق لا ريب فيه<sup>(٦)</sup>».

وعبر بلفظ الوقعة فقال {لوقعتها} ولم يقل لوقوعها وفيه إشارة إلى أنها تقع دفعة واحدة

فالوقعة للمرة الواحدة<sup>(٧)</sup>، واللام مثلها في قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾<sup>(٨)</sup> وهذا الأسلوب مطرد في كتاب الله، ولو تتبعنا معاني هذه اللام وورودها في القرآن لأطلقنا الحديث ولا صلة لهذا ببحثنا<sup>(٩)</sup>.

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري ٤/٤٥٤، التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٤١

(٢) الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي (١٩/١٢٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٢٨٢)

(٤) ينظر: التفسير الكبير للرازي ٢٦/٩٠.

(٥) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ٨/٨٧، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٧/٢٨١

(٦) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٨/١٨٨)

(٧) ينظر: التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٤١

(٨) سورة الغاشية، آية: (٢٤).

(٩) ينظر: الكشاف للزمخشري ٤/٤٥٤، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٧/٢٨٣

وكما سبق فقد عبر بتأنيث كاذبة موافقة لتأنيث الواقعة فنسب الكذب إلى نفس الفعل للمبالغة.

﴿كَاذِبَةٌ﴾: أورد المفسرون في معناها عدة أقوال منها:

الأول: كاذبة مصدر بمعنى الكذب مثل العاقبة والعافية، وعليه يكون المعنى:

١ - ليس لوقعة الواقعة كذب أو تكذيب ولا مردودية ولا مثنوية، وبمعنى لا ينبغي أن

يكذب بها أحد نحو قول الله تعالى: ﴿خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾<sup>(١)</sup> (٢).

٢ - ليس الإخبار عن وقوعها كذبا<sup>(٣)</sup>.

الثاني: كاذبة اسم فاعل صفة لموصوف محذوف تقديره:

١ - ليس لوقعتها نفس كاذبة<sup>(٤)</sup>.

٢ - ليس لوقعتها مقالة كاذبة أو حال كاذبة<sup>(٥)</sup>.

قال الطاهر بن عاشور: «إذا وقعت القيامة تحقق منكروها ذلك فأقلعوا عن اعتقادهم أنها لا تقع وعلموا أنهم ضلوا في استدلالهم وهذا وعيد بتحذير المنكرين للقيامه من خزي الخيبة وسفاهة الرأي بين أهل الحشر، وإطلاق وصف الكذب في جميع هذا استعارة بتشبيه السبب للفعل غير المثمر بالمخبر بحديث كذب أو تشبيه التسبب بالقول<sup>(٦)</sup>».

وبالتمعن والنظر في الآيتين الكريميتين نجد أن الآيتين قد اشتملتا على تأكيدات متعددة بقصد

تقرير حقيقة وقوع القيامة والبعث والمعاد الذي هو محور السورة الكريمة نذكر منها سبعا:

فأولها: الافتتاح بإذا الدال معناها على الانتقال لزمن الحدث وإلختصاصها بالامر المقطوع به

(١) سورة غافر، آية: (١٩).

(٢) (ينظر: جامع البيان للطبري ١٦٦/٢٧، فتح القدير للشوكاني ١٤٧/٥، الدر المصون لابن السمين الحلبي ٥٣٦٤/١، أضواء البيان للشنقيطي ٥٠٨/٧)

(٣) (ينظر: زاد المسير لابن الجوزي ١٣١/٨، تفسير العز بن عبد السلام ٢٧٢/٣)

(٤) (ينظر: الكشاف للزخشري ٤٥٤/٤، تفسير الجلالين ٧١٣/١، روح المعاني للآلوسي ١٢٩/٢٧، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٨٢/٢٧، الدر المصون لابن السمين الحلبي ٥٣٦٤/١)

(٥) (ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٢٣٨/٥)

(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٨٢/٢٧)

«فهي تختص بدخولها على المتيقن والمظنون والكثير الوقوع<sup>(١)</sup>». والثاني: لفظ الواقعة الدال على معناه وهو الوقوع «واستعمال لفظة الوقوع ههنا تأكيد للوجوب كاستعمال قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿<sup>(٥)</sup>». والثالث: تعريفها بالألف واللام وتأنيتها بلفظ الواقعة «أي التي لا بد من وقوعها ولا واقع يستحق أن يسمى الواقعة بلام الكمال وتاء المبالغة غيرها<sup>(٦)</sup>»، «والعرب تسمي كل متوقع لا بد منه واقعا<sup>(٧)</sup>».

والرابع: نفي تكذيب وقوعها بأداة النفي ليس وبدء الآية بها مبالغة في الرد على المكذبين. والخامس: لام الاختصاص المؤكدة التي للتوقيت في {لوقعتها}. والسادس: اختار لفظ وقعتها فقال (لوقعتها) ولم يقل لوقوعها، إشارة إلى أنها تقع مرة واحدة وهذا تهويل لشأنها ومفاجأتها للخلق. والسابع: مضمون الجملة المنفية بليس مع تأنيث لفظ الكذب بقوله {كاذبة} «أي كذب وهو مصدر عبر عنه باسم الفاعل للمبالغة بأنه ليس في أحوالها شيء يمكن أن ينسب إليه كذب ولا يمشي فيها كذب أصلا ولا يقر عليه<sup>(٨)</sup>».

(١) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (٤٣٤/٢)

(٢) سورة الروم، آية: (٤٧).

(٣) سورة يونس، آية: (١٠٣).

(٤) سورة ص، آية: (٧٢).

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب (٥٣٠/١)

(٦) نظم الدرر للبقاعي (٤٠٢/٧)

(٧) تفسير القرآن للسمعاني (٣٤١/٥)

(٨) نظم الدرر للبقاعي (٤٠٣/٧)

ثم بين أهم أحداث وقوع البعث وهو ما يحصل فيه من قلب للموازن المختلفة حتى تستقيم فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ ﴾

«بإضمار مبتدأ والتقدير الواقعة خافضة رافعة<sup>(١)</sup>» وقيل «على إضمار وقعت خافضة رافعة<sup>(٢)</sup>».

وتناسق الآية بما قبلها ظاهر «فخافضة رافعة معطوف على { كاذبة } نسقا، فيكون كما يقول القائل: ليس لي في الأمر شك ولا خطأ، أي لا قدرة لأحد على رفع المنخفض ولا خفض المرتفع<sup>(٣)</sup>».

«وقرر عظمتها وحقق بعث الأمور فيها بقوله مخبرا عن مبتدأ محذوف: { خافضة } أي هي لمن يشاء الله خفضه من عظماء أهل النار وغيرهم مما يشاؤه<sup>(٤)</sup>».

وفي الآية الكريمة عظيم تأمل في مجيئها جوابا للشرط عند من يرى ذلك لبيان الغاية من البعث والمعاد الذي سيأتي تفصيله بعد ذلك.

### المعاني التي وردت في الآية الكريمة:

- ١ - خافضة أسمعت القريب، رافعة أسمعت البعيد، فصارت صيحة واحدة<sup>(٥)</sup>.
- ٢ - خافضة أقواما بالعدل كانوا في الدنيا اعزاء مرتفعين إلى النار في عذاب الله، ورافعة أقواما بالفضل كانوا في الدنيا وضعاء مستضعفين إلى الجنة في رحمة الله وكرامته، وجل المفسرين على ذلك<sup>(٦)</sup>، وهو أقرب المعاني لتقسيم السورة الناس يوم القيامة حسب أعمالهم.
- ٣ - قيل غير ذلك: فقيل خافضة اسمعت أهل الأرض رافعة أسمعت أهل السماء، وقيل

(١) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (٣٢٢/٤)

(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٧١٠/٢)

(٣) التفسير الكبير للرازي (١٤١/٢٩)

(٤) نظم الدرر للبقاعي (٢٨٧/٧)

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١١، جامع البيان للطبري ٢٧/١٦٦

(٦) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١١، تفسير الصنعاني ٣/٢٦٩، جامع البيان للطبري ٢٧/١٦٦، تفسير

ابن أبي حاتم ١٠/٣٣٢٩، الكشف والبيان للثعلبي ٩/٢٠٠، الوجيز للواحدي ٩/١٠٥٨، تفسير البغوي ٤/٢٧٩.

خففت بالنفخة الأولى من أماتت ورفعت بالنفخة الثانية من أحييت، وقيل خافضة لأهل الشقاوة والشهوة والجحود رافعة لأهل الوفاق والتوحيد والصفوة، وقيل خافضة رافعة بالحسنات والسيئات، وقيل تزلزل الأشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضها وترفع بعضها حيث تسقط السماء كسفا وتنتشر الكواكب كالشظايا شدة الهول والاضطراب<sup>(١)</sup>.

«وفي قوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ ﴿٣﴾ محسن الطباق مع الإغراب بثبوت الضدين لشيء واحد<sup>(٢)</sup>».

وقد عبر بناء التأنيث ولم يقل: الواقعة فيها خفض ورفع أو تخفض وترفع، لموافقة مسماها التأنيثي بالواقعة وللسياق، وقد ذكر سابقا أن تأنيثها للتهويل والتعظيم.

وفي الآية من الترغيب والترهيب ما يبعث على النظر والتأمل والمحاسبة في دار الحرث والعمل، ويبعث على زجر النفس عن الظلم والتعدي وحثها على مخالفة هواها قصد سعادتها والسلامة من سوء العاقبة، ومعرفة أن الميزان الحق ليس في دار الدنيا التي تحتل موازينها بأهواء الناس ورغباتهم فيرتفع من حقه الخفض من أهل الظلم والفسق والفجور حتى تكون الغلبة والرفعة لهم برهة من الزمن فيظهروا في مظهر النجوم حتى يظن الظان بالله غير الحق وأنهم ما ارتفعوا إلا لأحقيتهم ومحبة الله لهم، وينخفض من حقه الرفعة حتى يكونوا مغلوبين مقهورين حقبا من الزمن فيظهروا في مظهر الضعفاء المحرومين فيظن ضعيف الإيمان بوعد الله أنهم ما انخفضوا إلا لعدم أحقيتهم وعدم محبة الله لهم، في حين أن هذه الدار ليست دار جزاء حتى يكرم فيها من حقه التكريم ويهان فيها من حقه الإهانة، بل دار ابتلاء فيبتلى الظالم برفعته حتى يظن أنه على حق لرفعته ويبتلى من يراه من الجهلة فيظنون ظنه، ويبتلى المؤمن بنقص ديناه فيزيده أيمانا وثباتا ويزيد أهل الإيمان والعلم يقينا بوعد الله وأن العاقبة للتقوى، وأن موازين هذه الدار سيظهر زيفها وبطلانها عند إقامة موازين الحق في الدار الباقية عندما يرتفع من حقه الرفعة من أهل الطاعة والتقوى بعد أن استضعفوا وحرموا، وينخفض من حقه الخفض من أهل

(١) (ينظر: النكت والعيون للماوردي ٣٤١/٥، لطائف الإشارات للقشيري ٢٧٣/٣، تفسير القرآن للسمعاني ٣٤١/٥، الكشاف للزمخشري ٤٥٥/٤، المحرر الوجيز لابن عطية ٢٣٩/٥).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٨٣/٢٧).



المعصية والفجور بعد أن تمكنوا واستعلوا، ليعلم عندها أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ليجزيهم على أعمالهم بالعدل والقسط ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ (١) الآية  
وفي الحديث عن أول مظاهر يوم البعث يقول الحق سبحانه:

﴿ إِذَا رَجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴾ (٤)

في الرج عدة معان:

«أحدها : رجفت وزلزلت ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنها ترج بما فيها كما يرج الغربال بما فيه ، قاله الربيع بن أنس (٢) .

فيكون تأويلها على القول الأول أنها ترج بإماتة ما على ظهرها من الأحياء ، وتأويلها على القول الثاني أنها ترج لإخراج من في بطنها من الموتى (٣) .»

ولا يمتنع حمل الآية على المعنيين لأن ألفاظ القرآن الكريم حمالة لمعان كثيرة، فلا يأتي لفظ بمعنى لفظ بعينه، بل يأتي اللفظ الكريم وهو يحمل معان متعددة اللفظ متقاربة المعنى تتوافق بما يناسب السياق.

وناسب ذكر الرج بعد الخفض والرفع فيوافق قول من قال إن المراد بالخفض والرفع كل ما على الأرض من مخلوقات فالخفض والرفع لا يحصل إلا بالرج، ويوافق كذلك من قال إن القصد خفض المستكبرين ورفع المستضعفين ولا يحصل ذلك إلا بعد حصول رج الأرض وأهلها ليعود كل شيء مكانه المناسب الذي وضعه الله فيه فتستقيم سنن الله كما سنها والتي نكسها البشر، ويتحقق عدل الحكيم الخبير فيرتفع ما حقه الرفع بعد انخفاضه، وينخفض ما حقه الإنخفاض بعد ارتفاعه.

«ولما كان في هذا من الهول ما يقطع القلوب الواعية، أكده بقوله وزاد ما يشاء منه أيضا

(١) سورة الأنبياء، آية: (٤٧)

(٢) الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني، تابعي، كان يتشيع، وروى له الأربعة، مات في السجن بعد ما حبس مدة طويلة سنة: (١٣٩) أو (١٤٠) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٦/ ١٦٩).

(٣) النكت والعيون للماوردي (٤٤٦/٥)

بقوله مبدلاً من الظرف الأول بعض ما يدخل في الرفع والخفض : ﴿ إِذَارُجَّتِ الْأَرْضُ ﴾ أي كلها على سعتها وثقلها بأيسر أمر<sup>(١)</sup>.

«وذكر ابن جني<sup>(٢)</sup> في قوله تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ ﴿ إِذَارُجَّتِ ﴾ إن رجت بدل من { وقعت } وكررت { إذا } تأكيداً لشدة امتزاج المضاف بالمضاف إليه<sup>(٣)</sup>».

### الأقوال في { إذا } في قوله تعالى ﴿ إِذَارُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴾<sup>(٤)</sup>

١ - بدل من إذا الأولى في قوله تعالى ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ﴾ وعلى هذا فيكون العامل فيها هو ما سبق ذكره من أقوال في عامل إذا الأولى<sup>(٤)</sup>، «وهو بدل اشتمال<sup>(٥)</sup>».

٢ - أنها ظرف بمعنى وقت وليست شرطية فتكون خبراً للمبتدأ ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ﴾ وعاملها هو ﴿ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾<sup>(٦)</sup> أي خافضة رافعة وقت رج الأرض<sup>(٦)</sup>.

٣ - بيان لقوله ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾<sup>(٧)</sup>.

وقيل غير ذلك<sup>(٨)</sup>.

ونكر { رجا } وجعله منونا تعظيماً لاضطرابها وزلزلتها ورجها، أي رجا لا توصف شدته<sup>(٩)</sup>.

(١) نظم الدرر للبقاعي (٧ / ٢٨٧)

(٢) هو: عثمان بن جني أبو الفتح الموصلية، كان إماماً في العربية، أخذ عن أبي علي الفارسي، ثم حلَّ محلَّه، ولد في الموصل، وتوفيَّ ببغداد، من مصنَّفاته: (الخصائص)، و(سِرُّ صناعة الإعراب)، و(اللُّمَع)، و(شرح ديوان المتنبي)، تُوفيَّ عام: ٣٩٢هـ، إنباه الرُّوَاة: ٣٣٥/٢، وَفَيَات الأعيان: ٢٤٦/٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢ / ٣٨٦)

(٤) (ينظر: الكشاف للزحشري ٤/٤٥٥، التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٢٤، التبيان في إعراب القرآن ٢/١٢٠٢،

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/١٩٦، البحر المحيط لأب حيان ٨/٢٠٤، أضواء البيان للشنقيطي ٧/٥٠٨)

(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٢٨٤)

(٦) (ينظر: الكشاف للزحشري ٤/٤٥٥، التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٤٣، التبيان في إعراب القرآن ٢/١٢٠٢،

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/١٩٦)

(٧) (ينظر: التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٤٣، القرطبي ١٧/١٩٦)

(٨) (ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/١٢٠٢، الباب في علوم الكتاب ١٨/٣٧٣)

(٩) (ينظر: التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٤٢، الميزان في تفسير القرآن ١٩/١٢٠)

«وتأكيده بالمصدر للدلالة على تحققه وليتأتى التنوين المشعر بالتعظيم والتهويل<sup>(١)</sup>»، «وفيه تهويل ليوم البعث وفي طيه تحقق وقوعه فحصل إيجاز في الكلام جامع بين الإنذار والتحذير مما يجري فيه<sup>(٢)</sup>» وفي تكرار إذا الشرطية الجزائية دلالة على تأكيد الإنذار بما سيحصل في جوابها. وفي معنى الرج من الترهيب ما يبعث على استشعار فظاعة الحدث، فرج الأرض وما فيها من جبال وأنهار وأشجار وبحار وخلق مشعر بهول الأمر.

وفي الرج للأرض خرابها فبدأ بذكر حال أوتادها التي كانت سببا في رسوها فقال الحق سبحانه:

﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ۖ ﴾ (٦)

﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۖ ﴾ (٥)

«فيه خمسة أقاويل: أحدها: سألت سيلا، الثاني: هدت هدا، الثالث: سيرت سيرا، الرابع:

قطعت قطعاً، الخامس: إنها بست كما ييس السويق أي بلت، والبسيصة هي الدقيق يلت ويتخذ زادا<sup>(٣)</sup>».

وأظهر الأقوال في بس الجبال ثلاثة أقوال:

الأول: بمعنى التفتيت وعليه أكثر المفسرين ويؤيده قوله سبحانه ﴿ يَوْمَ تَرَجُّفُ الْأَرْضُ

وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ (١٤)<sup>(٤)</sup>.

والثاني: بمعنى التسيير ومنه قوله تعالى ﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ (١٠)<sup>(٥)</sup>.

والثالث: بمعنى النزع ومثله قوله تعالى ﴿ وَاسْأَلُونَا عَنْ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ (٦).

وجميع تلك الأقوال حق يصدق بعضها بعضاً<sup>(٧)</sup>.

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٨٤/٢٧)

(٢) المصدر السابق (٦٦/٣٠)

(٣) النكت والعيون للماوردي (٤٤٦/٥-٤٤٧) بتصرف

(٤) سورة المزمل، آية: (١٤)

(٥) سورة الطور، آية: (١٠)

(٦) سورة طه، آية: (١٠٥)

(٧) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي (٥١١/٧-٥١٢)

والبس يحتمل المعاني الثلاثة، فهو بمعنى التفتيت والتسيير والنزع ولا ترادف في القرآن.

### ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۖ ﴾ (٦)

«وفي المنبث ثلاثة أوجه: أحدها: المتفرق، الثاني: المنتشر، الثالث: المنثور<sup>(١)</sup>»، «وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عنها منفوشا ثم تصير هباء منثورا<sup>(٢)</sup>»، «وفائدة ذكر المصدر هو أنه يفيد أن الفعل كان قولاً معتبراً ولم يكن شيئاً لا يلتفت إليه.... والفاء للترتيب الزمني لأن الأرض ما لم تتحرك والجبال ما لم تنبس لا تكون هباء منبثاً، والهباء هو الهواء المختلط بأجزاء أرضية تظهر في خيال الشمس إذا وقع شعاعها في كوة، وبين الحروف والمعاني مناسبة ذلك أن الهواء إذا خالطه أجزاء ثقيلة أرضية ثقل من لفظه حرف فأبدلت الواو الخفيفة بالباء التي لا ينطق بها إلا بإطباق الشفتين بقوة ما لو في الباء ثقل ما<sup>(٣)</sup>».

ولا يمتنع أن يحتمل لفظ المنبث تلك المعاني كلها لأن ألفاظ القرآن حمالة المعاني المتعددة. وبعد ذكر ارتجاج الأرض يوم القيامة وزوال ما عليها من كائنات ومخلوقات خص بالذكر الجبال الرواسي، فذكر ما يحصل للجبال من تفتت ونسف، وخصها بالذكر لعظم خلقها ولكونها سبب تماسك الأرض واستقرارها كما قال سبحانه: ﴿ وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا ۗ ﴾<sup>(٤)</sup>.

«فلما ذكر حركة الأرض المزعجة أتبعها غايتها فقال: ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ ﴾ أي فتت على صلابتها وعظمتها بأدنى إشارة، وخلط حجرها بترابها حتى صار شيئاً واحداً، وصارت كالعهن المنفوش، وسيرت وكانت تمر مر السحاب { بسا فكانت } بسبب ذلك { منبثاً } أي منتشراً متفرقاً بنفسه من غير حاجة إلى هواء يفرقه فهو كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل في كوة<sup>(٥)</sup>».

«وتفريع ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۖ ﴾ (٦) على { بست الجبال } لائق بمعنيي البس لأن

(١) النكت والعيون للماوردي (٤٤٧/٥) بتصرف يسير

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (١٥٠/٧)

(٣) التفسير الكبير للرازي (١٤٢/٢٩، ١٤٣).

(٤) سورة النبأ، آية: (٧).

(٥) نظم الدرر للبقاعي (٢٨٧/٧) بتصرف يسير

الجبال إذا سيرت وإنما تسير تسييرا يفتتها ويفرقها، أي تسيير بعثرة وارتطام.... والمنبث: اسم فاعل انبث، مطاوع بثه، إذا فرقه، واختير هذا المطاوع لمناسبته مع قوله: ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ ﴾ في أن المبني للنائب معناه كالمطاوعة، وقوله: ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴾ (٦) تشبيهه بليغ، أي فكانت كالهباء المنبث<sup>(١)</sup>، «وتأكيده بقوله: { بسا } كالتأكيد في قوله: { رجا } لإفادة التعظيم بالتنوين<sup>(٢)</sup>».

ثم لما انقضى الوصف المهول لما حصل للدنيا من خراب وفساد بيوم البعث والمعاد بدأ بذكر أحوال الناس في ذلك اليوم وهي الغاية من خلق الدنيا وما فيها فقال الحق سبحانه:

﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ (٧) وسيأتي بيانه في المبحث التالي.

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٢٨٤)

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة.

### المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع

يخبر تعالى بحال الواقعة، التي لا بد من وقوعها، وهي: القيامة التي ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾، أي: لا شك فيها، لأنها قد تظاهرت عليها الأدلة العقلية والنقلية، ودلت عليها حكمته تعالى. وأنها ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ (٣) أي: خافضة لأناس في أسفل سافلين، رافعة لأناس في أعلى عليين، وما صاحب ذلك من أهوال تشيب منه الولدان ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ (٤) أي: حركت واضطربت، ويلزم من اضطراب الأرض وزلزلتها زوال اسباب ثباتها وهي الجبال التي جعلها الله أوتادا ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ (٥) أي: فتت، ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ (٦) فأصبحت ليس عليها جبل ولا معلم، قاعا صاففا، لا ترى فيها عوجا ولا أمثا<sup>(١)</sup>، كل ذلك إثباتا لما أنكره المنكرون وكذب به المكذبون ووجد به الجاحدون من نفي وقوع البعث والمعاد.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (١/٨٣٢) بتصريف

## المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه الآيات

- تقرير حقيقة البعث والمعاد بأحداث الواقعة التي ليس في وقوعها شك، ووقوعها أمر حتمي لا ريب فيه، لا يستطيع أحد تكذيبه عند حدوثه أو رده ودفعه<sup>(١)</sup>.
- تميّز موازين الآخرة عن الدنيا بالنصفة حيث تكون المقاييس العادلة بحسب الأعمال لا الأحساب ولا الأنساب ولا المال ولا الجمال التي هي مقاييس الدنيا الزائفة.
- القيامة ترفع أقواما وهم أولياء الله إلى الجنة، وتخفض آخرين وهم أعداء الله إلى النار، لأن الوقائع الجسام تؤدي إلى التغيير الاجتماعي في تركيب المجتمع، فيعزّ قوم، ويذل آخرون.
- الإيمان والتقوى يرفعان والشرك والمعاصي يضعان ويخفضان<sup>(٢)</sup>.
- إذا وقعت الساعة، زلزلت الأرض وحركت واضطربت، ودمرت من عليها وما فوقها من المباني والقصور والجبال، وتفتتت الجبال، وأصبحت غبارا منتشرا متفرقا، وزالت من أماكنها<sup>(٣)</sup>.
- وفي ذكر تلك التغيرات التي تحدث للعالم إيذان بنهاية الحياة الدنيا، ووقوع القيامة وما فيه من أهوال تحدث في ذلك اليوم إشارة على قدرة الخالق لبعث الاجساد والارواح بعد موتها. اختلال موازين الباطل المعنوية مع اختلال موازين الأرض المادية وفي ترابط الحدثين يظهر ترابط وتناسق بين التراكيب والمعاني في الآيات.

(١) ينظر: التفسير المنير لوهبة الزحيلي ٢٧/٢٤٤، ايسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ٥/٢٣٩

(٢) ينظر: التفسير المنير لوهبة الزحيلي ٢٧/٢٤٤، ايسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ٥/٢٣٩

(٣) ينظر: التفسير المنير لوهبة الزحيلي ٢٧/٢٤٤

## المبحث الثاني

أقسام الناس يوم القيامة جزاء أعمالهم ويشمل الآيات (٧ - ٥٦)

وفيه خمسة مطالب: -

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة.

المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والموضوع السابق.

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه آيات الموضوع.

\* \* \* \* \*



### المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة

الغاية من يوم البعث هو المجازاة لكل أحد بما عمل، ولذلك ذكر الحق سبحانه بعد أحداث ذلك اليوم العظيم المهول انقسام الناس فيه إلى ثلاثة اصناف على حسب اعمالهم، وفي ذكر أقسام الناس تأكيد لوقوع يوم البعث والمعاد الذي هو المحور الأساس للسورة للمجازاة على الاعمال، ففي ذكر غاية الحدث بيان لسبب حدوثه وفي تأكيد وقوعه تحقيق لبلوغ غايته. في الآيات الكريمة تفصيل لمآل تلك الأصناف الثلاثة من الناس كل حسب عمله، وفي التفصيل بما يجازى كل أحد بعمله تفصيلا دقيقا مزيد تأكيد على تقرير حقيقة وقوع البعث والمعاد للجزاء والحساب، وأن يوم البعث من الحقائق المسلم بها عقلا ونقلا لأنه لو لم يكن هناك جزاء وحساب على أعمال العباد فستكون الحياة الدنيا حياة عبثية ليس لها غاية وهدف، وكيف يعقل أن يعتدي القوي على الضعيف والغني على الفقير والعزيز على الذليل ثم لا يكون للمعتدي جزاء على عدوانه وللظالم حساب على ظلمه وللضعيف حق يؤخذ من القوي جزاء استضعافه، ولو لم يكن هناك حساب وجزاء لكانت الحياة عبثية ليس من وراء خلق الناس غاية وهدف، وتعالى الله عن العبث في تدبيره وخلقته، بل ما خلق الله الخلق إلا لغاية سامية وعظيمة لينظر كيف يعملون في حياتهم الدنيا فيجازي كلا بعمله كما بين في تلك الاصناف الثلاثة، والتي في بيان تفاصيلها ترغيبا وترهيبا تأكيد على حقيقة وقوع البعث تقريرا للمنكرين وتأييدا للمصدقين.

## المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والموضوع السابق

ابتدأ المقطع بخطاب من نزل فيهم القرآن، فذكر حال الناس يوم البعث وذكر أهواله ومقدماته، { وكنتم } وفيه تأكيد إثبات بعثهم ومعادهم وهو موضوع السورة الأساس. إن الانتقال بين الحياتين والفصل بينهما أمر عظيم في النفوس وهو الموت بعد الحياة ثم حياة بعد الموت، ولتهويل أمر الحياة الباقية السرمدية التي هي جزاء الأعمال جعل الله لها يوماً عظيماً يحاسب الناس فيه ويعطى كل ذي حق حقه جزاء أعمالهم فمن أحسن فله الحسنى ومن أساء فله السوء، ولذلك كان حتماً قبل الدخول للجزاء وتحديد مصير الأنفس حسب أعمالها من ذكر الأحوال والأهوال الجسام التي تسبق الحساب ويكون بعدها الجزاء ويصنف الناس عند ذلك إلى ثلاث أصناف، فناسب تقديم أهوال اليوم الآخر قبل البدء في تقسيم الناس وتصنيفهم حسب أعمالهم.

وفي بيان أحوال الناس يوم البعث وتصوير حال ومصير كل فريق على طريقة الخبر المفصل تأكيد لموضوع السورة الكريمة وهو البعث.

«فتفصل السورة مصائر هذه الأزواج الثلاثة: السابقين وأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، وتصف ما يلقون من نعيم وعذاب وصفاً مفصلاً أوفى تفصيلاً، يوقع في الحس أن هذا أمر كائن واقع، لا مجال للشك فيه، وهذه أدق تفصيلاته معروضة للعيان. حتى يرى المكذبون رأي العين مصيرهم ومصير المؤمنين، وحتى يقال عنهم هنالك بعد وصف العذاب الأليم الذي هم فيه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصْرُفُونَ عَلَى الْغَنِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِيَّا نَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَّابًا وَأَنَا الْآوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾، وكأن العذاب هو الحاضر والدنيا هي الماضي الذي يذكر للترذيل والتقبيح، ترذيل حالهم في الدنيا وتقبيح ما كانوا عليه من تكذيب! (١)».

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/ ٣٤٦١).

ففي تصوير النعيم والعذاب بتفاصيلهما مزيد تأكيد لوقوع يوم البعث والاستعداد له ولأهواله التي ذكر بعض منها في مطلع السورة الكريمة، وحث على الإيمان به والتصديق والحذر من التكذيب به.



## المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع

قال الله تعالى: ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۗ ﴾ (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾  
 وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي  
 جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِنِينَ  
 عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا  
 يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَنَ مِمَّا يَخْتارُونَ ﴿٢٠﴾ وَلِحَرِطِيرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ  
 عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهِنَّ  
 أَصْوَاتٌ إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا ﴿٢٥﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٦﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾  
 وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهَنَ كَثِيرَةً ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا  
 مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَجَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾  
 لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ  
 الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُمُورٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلِّ مِّن يَّحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ  
 مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْغَنِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا  
 أَعْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَّابًا أَوْنَا الْأُولُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأُولَىٰ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ  
 مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكُونَنَّ مِنْ شَجَرٍ مِّن رَّقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَالْتَوَنَّ مِنْهَا  
 الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَلِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾

قوله سبحانه: ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۗ ﴾ (٧)

الآية الكريمة تذكر منازل الناس يوم القيامة وأصنافهم وأنواعهم، يقال للأصناف التي بعضها مع

بعض أو يذكر بعضها مع بعض: أزواج، وفي جعل الله الخلق ثلاثة أقسام دليل غلبة الرحمة<sup>(١)</sup>.  
«والخطاب في قوله ﴿ وَكُنْتُمْ ﴾ لجميع العالم لأن الموصوفين من ﴿ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾<sup>(٢)</sup>  
ليسوا في أمة محمد صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup>»، أيد ذلك الطاهر ابن عاشور بقوله: «والخطاب  
في: ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ للناس كلهم، وهذا تخلص للمقصود من السورة وهو  
الموعظة<sup>(٤)</sup>»، فهذا قول ثلثة من المفسرين أن الخطاب لجميع الناس<sup>(٥)</sup>.

وقيل للمخاطبين وقت التنزيل على اعتبار أن المراد بالأولين في قوله: ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾  
﴿ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والآخريين من  
جاء بعدهم<sup>(٧)</sup>، "وهو قول أكثر المحققين من المفسرين، فالخطاب للأمة الحاضرة المخاطبة وهي  
الأمة الإسلامية<sup>(٨)</sup>" وهو ما تميل إليه النفس لما ذكر من اعتبار.

والأزواج جمع زوج، «ويحتمل جعلهم أزواجا وجهين: أحدهما: أن ذلك الصنف منهم  
مستكثر ومقصر، فصار زوجا، الثاني: أن في كل صنف منهم رجالا ونساء، فكان زوجا<sup>(٩)</sup>».  
ومقصود السورة الكريمة تقرير حقيقة البعث وغايته إقامة الحق والعدل بين الخلق لمجازاتهم  
فالآية الكريمة جاءت للموعظة بما يحصل للناس من انقسامهم ثلاثة أقسام جزاء على  
أعمالهم<sup>(١٠)</sup>.

فالآية الكريمة دليل على الجزاء يوم البعث، وهي تمهد لذكر الغاية من يوم البعث وهو

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي (١٤٤/٢٩)

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٢٤٠/٥)

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٨٤/٢٧)

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري ١٦٩/٢٧، التسهيل لعلوم التنزيل ٨٨/٤، البحر المحيط لأبي حيان ٢٠٤/٨، إرشاد  
العقل السليم لأبي السعود ١٨٩/٨، فتح القدير ١٤٨/٥، أضواء البيان ٥١٦/٧

(٥) ينظر: التفسير الكبير للرازي ١٤٩/٢٩، الباب في علوم الكتاب لابن عادل ٣٨٣/١٨، إرشاد العقل السليم  
لأبي السعود ١٨٩/٨، فتح القدير للشوكاني ١٤٨/٥

(٦) تفسير سورة الواقعة صور من الإعجاز البياني وإحكام المعاني لمحمد بن محمد أبو شهبه (٢٧)

(٧) النكت والعيون للماوردي (٢٦٩/٥)

(٨) ينظر (الصفحة السابقة)

الجزاء، «فلما ذكر غاية مبادئها المرجفة المرهبة، ذكر مبادئ غاياتها فقال: { وكنتم } أي قسمتم بما كان في جبالكم وطباعكم في الدنيا { أزواجاً ثلاثة } أي أصنافاً لا تكمل حكمة صنف منها إلا بكونها قسمين: أعلى ودونه، ليكون ذلك أدل على تمام القدرة<sup>(١)</sup>».

«وإذ قد وقع قوله: ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ عطفاً على الجمل التي أضيف إليها ( إذا )

من قوله: ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴾<sup>(٤)</sup> كان هو محط القصد من التوقيت ب ( إذا ) الثانية الواقعة بدلا من ( إذا ) الأولى وكتلتاهما مضمن معنى الشرط، فكان هذا في معنى الجزاء<sup>(٢)</sup>».

وبيانا للأزواج الثلاثة التي أجمل عددها شرع في بيان ماهيتها فقال الحق سبحانه:

﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ ﴾

المعاني الواردة في سبب تسمية ﴿ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ بـ ﴿ الْيَمِينِ ﴾ ﴿ وَأَصْحَابُ

الْمَشْأَمَةِ ﴾ بـ ﴿ الشِّمَالِ ﴾:

١ - قيل أصحاب الميمنة لأهم أعطوا كتبهم بأيمانهم، وأصحاب المشأمة لأهم أعطوا كتبهم بشمائلهم<sup>(٣)</sup>

٢ - وقيل لأن اصحاب اليمين أخذ بهم ذات اليمين وهذه علامة في القيامة لمن نجأ، وأصحاب الشمال أخذ بهم ذات الشمال وهي علامة لمن هلك<sup>(٤)</sup>.

٣ - وقيل إن الجنة على يمين الناس يوم القيامة وعلى هذا نعت أصحابها بالميمنة، وإن

(١) نظم الدرر للبقاعي (٤٠٣/٧)

(٢) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٢٠١/٢٧).

(٣) (ينظر: تفسير الطبري ١٧٠/٢٧، إعراب القرآن ٣٢٤/٤، تفسير السمرقندي ٣٦٩/٣، النكت والعيون تفسير الماوردي ٤٤٨/٥، تفسير القشيري ٢٧٤/٣، تفسير الواحدي ١٠٥٨/٢، تفسير البغوي ٢٧٩/٤-٢٨٠، الكشاف ٤/٤٥٥، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/٢٤٠، زاد المسير ٨/١٣٢-١٣٣)

(٤) (ينظر: تفسير الطبري ١٧٠/٢٧، إعراب القرآن ٣٢٤/٤، تفسير السمرقندي ٣٧٠/٣، تفسير الثعلبي ٢٠١/٩، تفسير القشيري ٢٧٤/٣، تفسير البغوي ٢٧٩/٤-٢٨٠، الكشاف ٤/٤٥٦، زاد المسير ٨/١٣٢-١٣٣)

النار على شمال الناس يوم القيامة وعلى هذا نعت أصحابها بالمشأمة<sup>(١)</sup>.

٤ - وقيل أصحاب اليمين يعني الذين كانوا يوم الميثاق على يمين آدم عليه السلام عندما أخرجت الذرية من صلبه وقريب منه من قال أخذوا من شقه الأيمن، وأصحاب الشمال الذين كانوا على شمال آدم عليه السلام أو أخذوا من شقه الأيسر<sup>(٢)</sup>.

٥ - وقيل أصحاب اليمين على يمين العرش، وأصحاب الشمال على شمال العرش<sup>(٣)</sup> وقيل غير ذلك<sup>(٤)</sup>.

فأصحاب «الفاء تدل على التفسير، وبيان ما ورد على التقسيم كأنه قال: أزواجا ثلاثة أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة إلخ، ثم بين حال كل قوم، فقال: ﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ فترك التقسيم أولا واكتفى بما يدل عليه، فإنه ذكر الأقسام الثلاثة مع أحوالها، وسبق قوله تعالى: ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ يغني عن تعديد الأقسام، ثم أعاد كل واحدة لبيان حالها<sup>(٥)</sup>».

«ولك أن تجعل الفاء لربط الجزاء مع التفصيل للإجمال، وتكون جملة ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ جوابا ل ( إذا ) الثانية آيلا إلى كونه جوابا ل ( إذا ) الأولى لأن الثانية مبدلة منها، ولذلك جاز أن يكون هذا هو جواب ( إذا ) الأولى فتكون الفاء مستعملة في معنيها<sup>(٦)</sup>».

«تفيد جوابا للشرط وتفيد تفصيل جملة ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ ، وتكون الفاء مستعملة في معنيين: ربط الجواب ، والتفريع<sup>(٧)</sup>».

(١) ينظر: إعراب القرآن ٤/٣٢٤، تفسير السمرقندي ٣/٣٧٠، تفسير البغوي ٤/٢٧٩-٢٨٠

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي ٣/٣٦٩ و٣٧٠، تفسير الثعلبي ٩/٢٠١، النكت والعيون تفسير الماوردي ٥/٤٤٨،

تفسير القشيري ٣/٢٧٤، تفسير الواحدي ٢/١٠٥٨، تفسير البغوي ٤/٢٧٩-٢٨٠، زاد المسير ٨/١٣٢-١٣٣

(٣) ينظر: تفسير السمرقندي ٣/٣٦٩ و٣٧٠، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/٢٤٠

(٤) ينظر: تفسير ابن زمنين ٤/٣٣٦، تفسير الثعلبي ٩/٢٠١، النكت والعيون تفسير الماوردي ٥/٤٤٨، تفسير

البغوي ٤/٢٧٩-٢٨٠، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/٢٤٠، زاد المسير ٨/١٣٢-١٣٣

(٥) التفسير الكبير للرازي (١٤٣/٢٩).

(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٠١/٢٧)

(٧) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٩٠/٢٧) بتصرف يسير

وعلى هذا تكون الفاء هي جواب الشرط { إذا } في مطلع السورة الكريمة وهو بيان أحوال الناس بالنسبة للجزاء على أعمالهم وهو المقصود من البعث ونتيجة ابتلاء الناس بدار الإبتلاء في الحياة الدنيا.

وقد جاء جواب الشرط هذا بعد سبع آيات تامة من مطلع السورة الكريمة ليس في عدها خلاف عند علماء العدد.

«والله تعالى ذكر الكفار بلفظين مختلفين فقال: ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ وترك لفظ الميسرة واليسار الدال على هُون الأمر<sup>(١)</sup>»، وهذا من التناسق بين اللفظ والمعنى الذي اتسمت به هذه السورة وسائر سور القرآن وخاصة المكية.

«ولما ذكر الناجين، أتبعهم أضدادهم فقال: ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ أي جهة الشؤم وموضعها وأعمالها، ثم عظم ذنبهم فقال: ﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾<sup>(٢)</sup> أي لأنهم أهل لأن يسأل عما أصابهم من الشؤم والشر والسوء بعظيم قدرته التي ساقتهم إلى ما وصلوا إليه من الجزاء الذي لا يفعله بنفسه عاقل بل ولا بهيمة مع ما ركب فيهم من العقول الصحيحة والأفكار العظيمة وصان الأولين عن خذلان هؤلاء فأوصلهم إلى النعيم المقيم<sup>(٣)</sup>».

وأعاد الاسم بما الاستفهامية التي للتعجب لان إعادة الاسم فيه معنى التعظيم بالنسبة لأصحاب اليمين وفيه معنى التحقير بالنسبة لأصحاب الشمال، أي ما تدري ما لأصحاب اليمين من الخير والرفعة والكرامة والنعيم تفخيما لشأنهم وتعظيما لقدرهم ومكانتهم، وما تدري ما لأصحاب المشأمة من الشر والحط والإهانة والعذاب تهويلا ومبالغة في ذمهم وتحقير شأنهم وقدرهم ومكانتهم<sup>(٣)</sup>.

(١) التفسير الكبير للرازي (١٤٦/٢٩).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٤٠٤/٧) بتصرف يسير

(٣) (ينظر: جامع البيان للطبري ١٧٠/٢٧، إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٣٢٤/٤، تفسير السمرقندي ٣٦٩/٣، تفسير ابن زمنين ٣٣٦/٤، الكشف والبيان للثعلبي ٢٠١/٩، مشكل إعراب القرآن ٧١١/٢، تفسير القشيري ٢٧٤/٣، التفسير الكبير ١٤٥/٢٩، تفسير القرطبي ٤١٦/١، البحر المحيط ٢٠٤/٨، البرهان في علوم القرآن ٤٨٦/٢، فتح القدير ١٤٨/٥، روح المعاني ١٣١/٢٧، أضواء البيان ٥١٤/٧).



وجيء بلفظة أصحاب دون غيرها من الألفاظ كأهل ونحو ذلك لبيان ملازمة نتائج أعمالهم لهم من خير أو شر كالصاحب الملازم فكانوا بها أصحاب ميمنة أو أصحاب مشئمة، وقد ورد لفظ الميمنة والمشئمة في سورة البلد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّئِنَّا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ .

وبعد ذكر الصنفين المتضادين بقي ذكر الصنف الثالث تنمة لخبر الآية ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾﴾ فذكرهم الحق سبحانه بعد ذلك بقوله:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾﴾

سبق السابقون بالعمل في الدنيا فكانت لهم الحظوة والعناية يوم البعث، وحصل لهم الحفاوة والمنزلة العالية المقربة من الله جل في علاه.

الأقوال في المراد بالسابقين:

١ - هم الأنبياء<sup>(١)</sup>.

٢ - السابقون إلى الانبياء وإلى صحبتهم كأبي بكر وعلي...، وذكر بعضهم السابق للإيمان بموسى وعيسى عليهم السلام، ويلحق به من قال السابقون إلى الإيمان بالله ورسوله.

٣ - المهاجرون الاولون الذين سبقوا الى الإيمان بالله ورسوله<sup>(٢)</sup>.

٤ - اللذين صلوا الى القبلتين<sup>(٣)</sup>.

٥ - أولهم رواحا الى المساجد وأسرعهم خفوقا في سبيل الله<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: النكت والعيون تفسير الماوردي ٤٤٨/٥-٤٤٩، تفسير البغوي ٤/٢٨٠، زاد المسير ٨/١٣٣، تفسير العز بن عبدالسلام ٣/٢٧٣، تفسير ابن كثير ٤/٢٨٤، تفسير الجلالين ١/٧١٤)

(٢) ينظر: الجامع الكبير للطبري ٢٧/١٧٠، النكت والعيون تفسير الماوردي ٥/٤٤٨-٤٤٩، تفسير القشيري ٣/٢٧٤، تفسير البغوي ٤/٢٨٠، لباب التأويل في معاني التنزيل ٧/١٥)

(٣) ينظر: الجامع الكبير للطبري ٢٧/١٧٠، النكت والعيون تفسير الماوردي ٥/٤٤٨-٤٤٩، زاد المسير ٨/١٣٣، لباب التأويل في معاني التنزيل ٧/١٥، البحر المحيط ٨/٢٠٤/ تفسير أبي السعود ٨/١٨٩، فتح القدير ٥/١٤٨)

(٤) ينظر: الجامع الكبير للطبري ٢٧/١٧٠، النكت والعيون تفسير الماوردي ٥/٤٤٨-٤٤٩، زاد المسير ٨/١٣٣،

وقيل هم العلماء وقيل أهل القرآن المتوجون يوم القيامة، وقيل غير ذلك<sup>(١)</sup>.

ومن الأقوال السابقة يظهر تفاوت القول بخصوصية الخطاب في قوله ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ لهذه الأمة أو عموميتها لسائر الأمم، فمن قال الأنبياء والسابقون إليهم والمسارعون للخيرات والعلماء ونحو ذلك فيعتبر الخطاب عاما لكل الأمم وهو قول كثير من المفسرين في مقدمتهم امام المفسرين الامام الطبري حيث قال: "﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾" أي من كل أمة<sup>(٢)</sup>، ومن قال المهاجرون الأولون والذين صلوا الى القبلتين وأهل القرآن ونحو ذلك فيعتبر الخطاب خاصا لهذه الأمة.

«وحقيقة السبق : وصول أحد مكانا قبل وصول أحد آخر . وهو هنا مستعمل على سبيل الاستعارة ، وقد جمع المعنيين قول النابغة<sup>(٣)</sup> :

سبقت الرجال الباهشين إلى العلا كسبق الجواد اصطاد قبل الطوارد<sup>(٤)</sup>

فيحوز أن يكون ﴿ السَّابِقُونَ ﴾ مستعملا في المبادرة والإسراع إلى الخير في الدين كما

في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾<sup>(٥)</sup> في سورة براءة .

☞ =

لباب التأويل في معاني التنزيل ١٥/٧، البحر المحيط ٢٠٤/٨، الدر المثور ٦/٨، تفسير أبي السعود ١٨٩/٨، فتح القدير ١٤٨/٥

(١) ينظر: تفسير السلمي ٣٠٠/٢، تفسير الثعلبي ٢٠٢/٩، زاد المسير ١٣٣/٨، لباب التأويل في معاني التنزيل

١٥/٧، تفسير البحر المحيط ٢٠٤/٨، تفسير ابن كثير ٢٨٤/٤

(٢) جامع البيان لابن جرير الطبري (١٧٠/٢٧)

(٣) هو: زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر الذيباني الغطفاني، كنيته أبو أمامة، شاعر جاهلي، اشتهر بالنابغة لقوله: فقد نبغت لنا منهم شؤون، وكان شريفا فغض منه الشعر، توفي نحو سنة ١٨ ق. هـ، انظر: طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة، ١٩٩٤ م، ص: (٥٦)، والشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ، ص: (١٦٢)، والأعلام، للزركلي: (٥٤/٣).

(٤) المعاني الكبير في أبيات المعاني، ابن قتيبة، (١/٥٤٩).

(٥) سورة التوبة، آية: (١٠٠).

ويجوز أن يكون مستعملا في المغالبة في تحصيل الخير كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (٦١) (١) في سورة المؤمنين (٢)». «.

«ومفهوم السابق متعلق بمسبوق ، فما لم يعرف ذات المسبوق لم يحسن ذكر السابق من حيث هو سابق (٣)» ولذلك أخرهم في الذكر عن الصنفين السابقين، وصاحب السبق لا يضر تأخير اسمه مادام سابقا.

كما أنه قدم ذكر نعيمهم دون اسمهم، فقدم أصحاب الميمنة عليهم في الذكر اسما وأخر ذكر اسم السابقين قصد البلاغة بتجنب التكرار إذ لو ذكرهم إجمالا في تقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام بعد قوله ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ (٧) ﴿ لا تحتاج إلى إعادة ذكر اسمهم عند البدء بذكر نعيمهم أولا كما هو مرتب في السورة الكريمة وهو أسلوب بليغ من أساليب العرب في الاختصار والتناسق والترابط الذهني، وقد ورد مثله في مواضع عديدة في كتاب الله، كبيان حال من في قلوبهم زيغ فاتبعوا ما تشابه من كلام الله ابتغاء الفتنة، يقول سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٧) (٤) فقدمهم في الذكر على الراسخين في العلم ليتناسق السياق في الذهن لفظا ومعنى، فلما قدم ذكر الآيات المحكمات ثم ذكر القسم الثاني وهن الآيات المتشابهات ناسب ذكر من يتتبع هذه الآيات المتشابهات لقرب ذكرها واخر أولو العلم مع أفضليتهم استقلالاً وتجنباً للتكرار، «فلعل تأخير ذكرهم مع كونهم أسبق الأقسام وأقدمهم في الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم على أن إيرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن إحرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه..... والمترقب عند بيان

(١) سورة المؤمنون، آية: (٦١).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/٢٨٦-٢٨٧)

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٦/٢٤٢)

(٤) سورة آل عمران، آية: (٧).

انقسام الناس إلى الأقسام الثلاثة بيان أنفس الأقسام الثلاثة وأما أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين بعد ذلك بإسنادها إليها والتقدير فأحدها أصحاب الميمنة والآخر أصحاب المشأمة والثالث السابقون خلا أنه لما أخرج بيان أحوال القسمين الأولين عقب كلا منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامي أحوالهما في الخير والشر إنباء إجماليا مشعرا بأن لأحوال كل منهما تفصيلا متقبا... وأما القسم الأخير فحيث قرن بيان محاسن احواله بذكره لم يحتج فيه إلى تقديم<sup>(١)</sup>».

وقيل: «إن الله تعالى ذكر في أول السورة من الأمور الهائلة عند قيام الساعة تخويها لعباده فإما محسن فيزداد رغبة في الثواب وإما مسيء فيرجع عن إساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يجزئهم الفرع الأكبر ليجتهد أصحاب اليمين في القرب منهم<sup>(٢)</sup>».

«وأخر ﴿السَّابِقُونَ﴾ ﴿١٠﴾ في الذكر عن أصحاب اليمين لتشويق السامعين إلى معرفة صنفهم بعد أن ذكر الصنفان الآخران من الأصناف الثلاثة ترغيبا في الاقتداء<sup>(٣)</sup>»، فإنه لما ذكر أصحاب اليمين ثم أصحاب المشأمة بدأ بالتفصيل مباشرة بالسابقين والنفوس متشوقة لمعرفة هذا الصنف لأنه أجمل أولا فقال وكنتم أزواجا ثلاثة فذكر التقسيم المعروف من حيث انقسام الناس إلى صنفين معلومين حسب أعمالهم من خير وشر، ولكن لما ذكر أنهم ينقسمون إلى ثلاثة أصناف تشوقت النفس لمعرفة هذا الصنف، فبدأ بتفصيل حاله ومآله فهو أعظمها وأهمها.

### وفي تكرار السابقين أقوال ذكرها المفسرون ابرزها:

١ - أن الأول مبتدأ والثاني خبره والمعنى السابقون بالخير السابقون إلى الجنة<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير أبي السعود (١٨٩/٨-١٩٠)

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل (١٥/٧)

(٣) التحرير والتنوير (٢٧/٢٨٨)

(٤) (ينظر: التفسير الكبير ١٤٦/٢٩، التبيان في إعراب القرآن ١٢٠٣/٢، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ٢٥٣/٢، تفسير القرطبي ١٩٩/١٧، التسهيل لعلوم التنزيل ٨٨/٤، البحر المحيط ٢٠٤/٨، فتح القدير ١٤٨/٥)

٢ - أن السابقون الثانية نعت للأولى، أو تكرار توكيد وخبره { أولئك } <sup>(١)</sup>.

﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ <sup>(٨)</sup> أعاد ذكرها وكذلك ﴿ الْمَشْئِمَةَ ﴾ ثم قال ﴿ وَالسَّيِّئُونَ ﴾ لأن التقدير عند بعضهم والسابقون ما السابقون فحذف { ما } لدلالة ما قبله عليه وقيل تقديره أزواجاً أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة والسابقون ثم ذكر عقيب كل واحد منهم تعظيماً وتحويلاً فقال ﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ ﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَشْئِمَةِ ﴾ <sup>(٩)</sup> ﴿ وَالسَّيِّئُونَ ﴾ أي هم السابقون والكلام فيه <sup>(٢)</sup>.

﴿ وَمَا لَ جَمَلَةٍ ﴾ ﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ <sup>(٨)</sup> ونظيرتها جملة ﴿ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴾ <sup>(١٠)</sup> هو التعجب من حالهم، وطريقه هو الكناية ولكن بين الكنايتين فرقا بأن إحداها كانت من طريق السؤال عن الوصف، والأخرى من طريق تعذر التعبير بغير ذلك الوصف، والمعنى: أن حالهم بلغت منتهى الفضل والرفعة بحيث لا يجد المتكلم خبراً يخبر به عنهم أدل على مرتبتهم من اسم ﴿ السَّيِّئُونَ ﴾ فهذا الخبر أبلغ في الدلالة على شرف قدرهم من الإخبار بـ { ما } الاستفهامية التعجيبية في قوله: ﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ <sup>(٨)</sup> ... مع ما في اشتقاق لقبهم من ( السبق ) من الدلالة على بلوغهم أقصى ما يطلبه الطالبون، وحذف متعلق ﴿ السَّيِّئُونَ ﴾ في الآية لقصد جعل وصف ﴿ السَّيِّئُونَ ﴾ بمنزلة اللقب لهم، وليفيد العموم، أي أنهم سابقون في كل ميدان تتسابق إليه النفوس الزكية كقوله جل وعلا: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> « <sup>(٤)</sup>.

(١) المراجع السابقة من نفس الصفحة.

(٢) أسرار التكرار في القرآن (١/١٩٩).

(٣) سورة المطففين، آية: (٢٦).

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/١٨٩).

وجوابا بالخبر عن السابقين عرفهم بأعلى مراتب المحبة والاصطفاء وهو القرب من المحبوب وليبيان حبهم له قربهم ووصفهم بذلك فقال الحق سبحانه:

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾

«يقول جل ثناؤه أولئك الذين يقربهم الله منه يوم القيامة إذا أدخلهم الجنة<sup>(١)</sup>».

«﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ يفيد الحصر، فمعناه أنه لا يقرب عند الله إلا السابقون وذلك يدل على أن كمال الفضل منوط بالمسابقة<sup>(٢)</sup>»، وفيه إشارة إلى الرؤية وهو أن الله تعالى في سورة المطففين ذكر الأبرار والفجار ، ثم إنه تعالى قال في حق الفجار : ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ ﴿١٥﴾﴾ وقال في الأبرار : ﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ ولم يذكر في مقابلة المحبوبين ما يدل على مخالفة حال الأبرار حال الفجار في الحجاب والقرب<sup>(٣)</sup>».

«والمقربون عبارة عن أعلى منازل البشر في الآخرة قال جماعة من أهل العلم هذه الآية متضمنة أن العالم يوم القيامة على ثلاثة أصناف<sup>(٤)</sup>».

«وجملة: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ مستأنفة استئنفا بيانيا لأنها

جواب عما يثيره قوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ من تساؤل السامع عن أثر التنويه بهم، وبذلك كان هذا ابتداء تفصيل لجزء الأصناف الثلاثة على طريقة النشر بعد اللف، نشرا مشوشا تشويشا اقتضته مناسبة اتصال المعاني بالنسبة إلى كل صنف أقرب ذكرا، ثم مراعاة الأهم بالنسبة إلى الصنفين الباقيين فكان بعض الكلام آخذا بحجز بعض، والمقرب: أبلغ من القريب لدلالة صيغته على الاصطفاء والاجتباء... ولم يذكر متعلق ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ لظهور أنه مقرب من الله ، أي من عنايته وتفضيله ، وكذلك لم يذكر زمان التقريب ولا مكانه لقصد

(١) جامع البيان للطبري (١٧١/٢٧)

(٢) التفسير الكبير (١٤٧/٤).

(٣) التفسير الكبير (١٣٧/٢٩-١٣٨)

(٤) تفسير الثعالبي (٢٥٠/٤)

تعميم الأزمان والبقاع الاعتبارية في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>».

وفي الإشارة إليهم بأولئك دون غيرها من أسماء الإشارة إلماح إلى بعد منزلتهم عن الأصناف الأخرى وعلو مكانتهم في الدارين، «فلما بين علو شأنهم ونسب السبق إليهم ، ترجمه نازعا للفعل منهم بقوله : ﴿ أَوْلِيَّكَ ﴾ أي العالو الرتبة جدا من الذين هم أصحاب الميمنة<sup>(٢)</sup>».

وحتى لا يظن أن قريهم من الله في غير نعيم الجنة حدد المكان فذكره فقال الحق سبحانه:

﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝١٣ ﴾

"في بساتين النعيم الدائم"<sup>(٣)</sup>، "عرف النعيم باللام ههنا وقال في آخر السورة : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ ﴾ بدون اللام ، والمذكور في آخر السورة هو واحد من السابقين فله جنة من هذه الجنات وهذه معرفة بالإضافة إلى المعرفة ، وتلك غير معرفة والفرق هو أن السابقين معرفون باللام المستغرقة لجنسهم لأنهم معلومون، فجعل موضع المعرفين معرفا ، وأما هناك فهو غير معرف ، لأن قوله: ﴿ إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ ﴾ أي إن كان فردا منهم فجعل موضعه غير معرف... وإضافة الجنة إلى النعيم من إضافة المكان إلى ما يقع في المكان يقال : دار الضيافة ، ودار الدعوة ، ودار العدل ، فكذلك جنة النعيم ، وفائدتها أن الجنة في الدنيا قد تكون للنعيم ، وقد تكون للاشتغال والتعيش بأثمان ثمارها ، بخلاف الجنة في الآخرة فإنها للنعيم لا غير<sup>(٤)</sup>».

ففي الآية الكريمة بيان من الله محل قرب المقربين الذين قريهم وأدناهم منه وأعلى مكانتهم في أعلى عليين في جنات النعيم التي سقفتها عرش الرحمن تبارك وتعالى<sup>(٥)</sup>.

وذكر الجنات بالجمع متناسق مع جمع السابقين الموصوفين بالمقربين فهو جمع يقابل جمعا.

(١) التحرير والتنوير (١٤٨/٢٧)

(٢) نظم الدرر (٤٠٥/٧)

(٣) تفسير الطبري (١٧١/٢٧)

(٤) التفسير الكبير (١٤٧/٢٩-١٤٨) بتصرف.

(٥) ينظر: نظم الدرر للبقاعي (٤٠٥/٧)

وللترغيب في مسلكهم، وبيان ندرة صنفيهم قال الحق سبحانه:

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۚ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٤)

"أجمع المفسرون كلهم على أن لا ناسخ في السورة ولا منسوخ إلا مقاتل بن سليمان (١)

فانه قال فيها من المنسوخ آية واحدة وهو قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۚ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾

نسخها قوله تعالى ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۚ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (٤٠) (٢) والرأي على الإجماع،

"وادعاء النسخها هنا لا وجه له لثلاثة أوجه:

أحدها: أن علماء الناسخ والمنسوخ لم يوافقوا على هذا.

والثاني: أن الكلام في الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ فهو هنا لا وجه له.

والثالث: أن الثلاثة بمعنى الفرقة والفئة قال الزجاج اشتقاقهما من القطعة والثل الكسر والقطع

فعلى هذا قد يجوز أن تكون الثلاثة في معنى القليل (٣).

والثلاثة الجماعة كما سبق بيانه وقد اختلف أهل التفسير في المقصود بالأولين والآخرين على

رأين بارزين:

الأول: أن المراد بالأولين هم من الأمم السابقة والآخرين هم أمة محمد ﷺ فيكون الخطاب

عاما لجميع الأمم (٤).

الثاني: أن المراد بالأولين والآخرين هم من أمة محمد ﷺ، فيكون الخطاب في قوله ﴿وَكُنْتُمْ

(١) مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي، من أعلام المفسرين، من كتبه: (نظائر القرآن)،

و(التفسير الكبير)، و(الناسخ والمنسوخ) وغيرها، توفي عام: ١٥٠هـ، يُنظر: تاريخ بغداد: ١٣/١٦٠، طبقات المفسرين

للداوودي: ٥٢٠، الأعلام للزركلي (٧/٢٨١).. الناسخ والمنسوخ للمقري (١/١٧٢)

(٢) الناسخ والمنسوخ للمقري (١٧٢).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٨/١٤٣)

(٤) ينظر: تفسير مقاتل ٣/٣١٢، جامع البيان للطبري ٢٧/١٧٠، بحر العلوم للسميرقندي ٣/٣٧٠، تفسير ابن

زمين ٤/٣٣٧، الكشف والبيان للثعلبي ٩/٢٠٣، الوجيز للواحدي ٢/١٠٥٩، تفسير البغوي ٤/٢٨٠، التفسير الكبير

للرازي ٢٩/١٤٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢٠٠، تفسير البيضاوي ٥/٢٨٤، تفسير غرائب القرآن

لنيسابوري ٦/٢٤٠، فتح القدير للشوكاني ٥/١٤٩، تفسير السعدي ١/٨٣٣، أضواء البيان ٧/٥١٥-٥١٦



أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ هو لهذه الامة المنزل عليها الكتاب كما سبق ذكره عند بيان الآية الكريمة<sup>(١)</sup>.

والآيات "اعتراض بين جملة ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ﴿١٢﴾ وجملة ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ ﴿١٥﴾.. وهذا الاعتراض يقصد منه التنويه بصنف السابقين وتفضيلهم بطريق الكناية عن ذلك بلفظي { ثلة } و { قليل } المشعرين بأنهم قل من كثير، فيستلزم ذلك أنهم صنف عزيز نفيس لما عهد في العرف من قلة الأشياء النفيسة وكقول السموأل وقيل غيره :

تُعِيرُنَا إِنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فقلت لها: إن الكرام قليل<sup>(٢)</sup>

مع بشارة المسلمين بأن حظهم في هذا الصنف كحظ المؤمنين السالفين أصحاب الرسل<sup>(٣)</sup>

وبعد الجملة المعترضة البيانية لمجموعهم التقديري ابتداء في بيان ماهم فيه من نعيم فوصف محل جلوسهم وتحديثهم مع بعضهم، وأنهم في جنات النعيم على سرر فقال الحق سبحانه:

﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ ﴿١٥﴾

"فوق سرر منسوجة قد أدخل بعضها في بعض كما يوضن حلق الدرع بعضها فوق بعض مضاعفة... أو قيل لها سرر موضونة لأنها مشبكة بالذهب والجوهر<sup>(٤)</sup>"، "والأسرة، واحدها سرير، سميت بذلك لأنها مجلس السرور<sup>(٥)</sup>".

والوضن السبك أي المسبوك بعضها ببعض، وإنما توضح سطوحها وهي ما بين سوقها الأربع حيث تلقى عليها الطنافس أو الزرابي للجلوس والاضطجاع ليكون ذلك الفراش وثيرا فلا يؤلم المضطجع ولا الجالس<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير مجاهد ٦٤٨/٢، التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ٤/٨٨

(٢) العقد الفريد (١/٢٣٦).

(٣) التحرير والتنوير (١٤٣/٢٧)

(٤) جامع البيان للطبري (١٧٢/٢٧)

(٥) النكت والعيون للماوردي (٤٥٠/٥) بتصرف يسير

(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٩٣/٢٧).

"ولما ذكر السابقين في الخير بصنفيهم مشيراً إلى السابقين في الشر، ذكر جزاء أهل الخير ليعلم منه جزاء أولئك ، فقال مبينا أنهم ملوك لكن ملكهم لا ينافس فيه ولا يجاسد ، بل هو كله يقابل بالوداد والصفاء { على سرر } وهو ما يسر الإنسان من المقاعد العالية المصنوعة للراحة والكرامة التي هي آية الملك وهو العرش"<sup>(١)</sup>.

وفي وصفها بالمصفوفة تعبير عن جمال ما في الجنة من دقة الترتيب والتنظيم المحبب للنفوس عادة، وهو بيان إلى أن كل ما في الجنة من نعيم على أعلى مقام من الترتيب والدقة وجمال الهيئة والتنظيم.

وبيانا لحال نعيمهم على تلك السرر المصفوفة بين طريقة جلوسهم عليها وهي الإتكاء التي هي جلسة الأكابر والأسياذ في ممالكهم وجلسة الملوك المنعمين في نعيمهم فقال الحق سبحانه:

﴿ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُنْقَلِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

الاتكاء: اضطجاع مع تباعد أعلى الجنب، والاعتماد على المرفق، وهو الاستناد على طريق التنعم، والتقابل : من تمام النعيم لما فيه من الأناجى بمشاهدة الأصحاب والحديث معهم فهم متكئون جالسون جلوس تمكن وطمانينة، وراحة واستقرار<sup>(٢)</sup>.

متكئين على السرر الموضونة متقابلين بوجوههم لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، فوصفهم بصفاء المودة وتهذب الأخلاق<sup>(٣)</sup>، قيل يكون ذلك عند الزيارة، أي إذا زار بعضهم بعضاً<sup>(٤)</sup>.

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية من كونهم على سرر متقابلين ، أي ينظر بعضهم إلى وجه بعض، كلهم يقابل الآخر بوجهه، جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي

صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مَُّنْقَلِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ وقوله ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ ﴾

(١) نظم الدرر للبقاعي (٤٠٦/٧)

(٢) (ينظر: تفسير السمعاني ٣٤٣/٥، التحرير والتنوير ٢٧/٢٩٣، تفسير السعدي ٨٣٣/١)

(٣) جامع البيان للطبري (١٧٣/٢٧)

(٤) (ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٢، تفسير ابن زنين ٤/٣٣٧، الكشف والبيان للثعلبي ٩/٢٠٤)

(٥) سورة الحجر، آية: (٤٧).

فَوَكَرَهُمْ كُفْرَهُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ (١). (٢)

وفي ذكر تقابلهم الإشارة إلى بقاء أخوة الدين وخلة الخير وان خلتهم هي الخلة الباقية وغيرها لا تدوم؛ كما ذكر ذلك الحق سبحانه في قوله تعالى ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

وأن هذا من كمال النعيم وهو ما جبل الله عليه الانسان من الإستئناس ببني جنسه ومن هو على شاكلته.

"﴿مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا﴾ للتأكيد، والمعنى أنهم كائنون على سرر متكئين عليها متقابلين، ففائدة التأكيد هو أن لا يظن أنهم كائنون على سرر متكئين على غيرها كما يكون حال من يكون على كرسي صغير لا يسعه للاتكاء فيوضع تحته شيء آخر للاتكاء عليه ، فلما قال : على سرر متكئين عليها دل هذا على أن استقرارهم واتكاءهم جميعا على سرر (٣)".

"فلما ذكر السرر وبين عظمتها ، ذكر غايتها فقال : ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ أي متكئين هيئة المتربع أو غيرها من الجنب أو غيرها ﴿عَلَيْهَا﴾ ولما كان الجمع إذا كثر كان ظهور بعض أهله إلى بعض ، أعلم أن جموع أهل الجنة على غير ذلك فقال : ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ فلا بعد ولا مدابرة لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض ولا يكره بعضهم بعضا (٤)".

وبعد وصف متعة جلوس المقربين على السرر المصفوفة ناسب ذكر ما هم فيه من عز وكرامة وسيادة فذكر خدامهم فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾

أعقب الحق سبحانه ذكر تنعم المقربين على السرر، بالإلماح إلى سيادتهم في حالهم تلك بذكر خدامهم وطوافهم عليهم للخدمة وهم الموصوفون بصفات الجمال والحسن طوافا لا

(١) سورة الصافات، آية: (٤١-٤٤).

(٢) (ينظر: أضواء البيان للشنقيطي ٥١٦/٧)

(٣) التفسير الكبير (١٥٠/٢٩)

(٤) نظم الدرر (٤٠٦/٧)

ينقطع ولا يفتر بأنواع الشهوات وأصناف الملذات.  
 والولدان "جمع وليد وهم الوصفاء"<sup>(١)</sup>، وقد عبر بالولدان اختياراً لهذا اللفظ دون غيره موافقة لما جبلت عليه النفوس من محبة الولدان بنوة أو خدماً.  
 ففي الآية الكريمة يذكر المولى جل شأنه خدماً أهل الجنة من المقربين، ويصف عملهم الذي انقطعوا له خاصة وخدمتهم للمقربين بالديمومة التي لا تفتت عنهم في كل وقت ولا تنقطع، وذلك حين عبر عنه بالطواف الذي يعني الدوام والمواصلة والدوران حول المقصود، وفيه معنى انقطاع الخدم عن كل شغل إلا من الطواف بمقصودهم قياماً بخدمة المقربين محبة لهم وطلباً لرضاهم دون فتور أو كلل، كالتأفف بالبيت المعمور ليس له مقصود إلا الطواف به محبة لصاحبه وطلباً لرضاه، فكلموا خلصوا من خدمة عادوا إليهم ليخدموهم من جديد، وكما أن البيت لا ينقطع الطائف عن الإلتفاف والدوران به ولا يخلوا من الطواف به أحد فكذا الولدان لا ينقطعون عن الدوران بأسيادهم لا بمفردهم ولا بمجموعهم، يقول الطاهر ابن عاشور: "الطواف: المشي المكرر حول شيء وهو يقتضي الملازمة للشيء، ووصف الولدان بالمخلدين، أي دائمين على الطواف عليهم ومناولتهم لا ينقطعون عن ذلك وإذ قد ألفوا رؤيتهم فمن النعمة دوامهم معهم"<sup>(٢)</sup>.

وقد وصف الله جل في علاه أولئك الولدان بوصف بديع بليغ، وذلك في سورة الطور وكذا في سورة الإنسان، حيث وصفهم في سورة الطور فقال سبحانه: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَوْنٌ ﴾<sup>(٣)</sup> فوصفهم باللؤلؤ المكنون أي المستور عن الأعين المصون عن الأيدي أن تمسه، "كأنهم لؤلؤ في بياضه وصفائه مكنون يعني مصون في كن فهو أنقى له وأصفى لبياضه"<sup>(٤)</sup>، وفي سورة الإنسان وصفهم باللؤلؤ المنتثر ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا

(١) (ينظر: النكت والعيون للماوردي ٤٥٠/٥، التفسير الكبير للرازي ١٥٠/٢٩)

(٢) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٢٩٣/٢٧)

(٣) سورة الطور، آية: (٢٤).

(٤) جامع البيان للطبري (٢٩/٢٧).

رَأَيْنَهُمْ حَسِبْنَاهُمْ لَوْلَاهُ مَنُورًا ﴿١٩﴾<sup>(١)</sup> والتعبير بالمنثور غاية في البلاغة بوصف حسنهم وصفائهم وكثرتهم وانتشارهم بين يدي أسيادهم<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾<sup>(٣)</sup> أورد المفسرون عدة معان ابرزها:

١ - أنهم الباقون على صغرهم في سن واحدة لا يموتون ولا يتغيرون حسنا ولباسا وهيئة، وهو ما عليه أكثر المفسرين، والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط إنه لمخلد وإنما هو مفاعل من الخلد<sup>(٤)</sup>

٢ - مسورون بالأسورة، مقرطون بالأقراط قال الشاعر:

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن أقاوز الكتبان<sup>(٥)</sup>

"والقرط يسمى خلدا وخلدا وجمعه خلدة كقردة وهي لغة حميرية استعماها العرب كلهم وكانوا يحسنون غلمانهم بالأقراط في الآذان<sup>(٥)</sup>".

فمن قال بأن المقصود هو أنهم مقرطون مسورون ذلك لأن المولى وصفهم بأنهم مخلدون ومن المعروف بدهاة أن لا موت في الجنة فحملوه على المعنى الآخر عند العرب.

وفي وصف خلودهم إشارة إلى بقائهم وعدم فنائهم ولا فناء نشاطهم ولا بهائهم وفيه تأكيد بقاء خدمتهم ببقائهم، وهو نفي للنقص المعروف في خدم الدنيا إما بفنائهم أو فناء نشاطهم أو حسنهم، ومن الصفات التي يبحث عنها الناس في الخدم النشاط المصاحب لصغر السن والحسن والجمال ولذلك وصفهم بالولدان وبالخلود ليشمل تلك الصفات ويكمل النعيم بهم.

(١) سورة الإنسان، آية: (١٩).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري ٢٩/٢٢١، بحر العلوم للسمرقندي ٣/٥٠٦.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري ٢٧/١٧٣-١٧٤، تفسير ابن زنين ٤/٣٣٧، الكشف والبيان للثعلبي ٩/٢٠٤، النكت والعيون للماوردي ٥/٤٥٠، زاد المسير لابن الجوزي ٨/١٣٥، التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٥١، تفسير العز بن عبدالسلام ٣/٢٧٤، الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢٠٢، البحر المحيط لأبي حيان ٨/٢٠٥، نظم الدرر للبقاعي ٧/٤٠٦، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٨/١٩١، فتح القدير للشوكاني ٥/١٤٩.

(٤) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي ٩/٢٠٤، النكت والعيون للماوردي ٥/٤٥٠، الكشف للزخشري ٤/٤٥٦، زاد المسير لابن الجوزي ٨/١٣٥، تفسير العز بن عبدالسلام ٣/٢٧٤، الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢٠٢.

(٥) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٢٧/٢٩٣).

"فأهل الجنة على أتم السرور والنعمة، والنعمة إنما تتم باحتفاف الخدم والولدان بالإنسان<sup>(١)</sup>"  
ولبيان مايقوم به الولدان من خدمة حال طوافهم بالسابقين بين أنهم يحملون أكوابا وأباريق  
وكأسا للشرب يقول الحق سبحانه في ذلك:

﴿ يَا كُؤَابِ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾

الباء متعلقة بالولدان أي: بأيدي الغلمان { أكواب } والأكواب جمع كوب وهي المدورة  
المتسعة الرءوس ليس لها عرى ولا خراطيم، { وأباريق } وهي التي لها عرى، سمي بذلك لبريق  
لونه، هذا على اعتبار أن أصل اللفظة عربي، فقد ذكر غير واحد أنه معرب (آب ريز) أي  
صاب الماء<sup>(٢)</sup>.

﴿ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ "يعني من خمر جار، وكل معين في القرآن فهو جار... وكل شئ في  
القرآن كأس فهو الخمر<sup>(٣)</sup>"، "فالعرب لا تسمى الإناء كأسا حتى يكون فيه الخمر<sup>(٤)</sup>".

والمعين: ظاهر العيون جار، والمراد به الخمر التي لكثرتها تجري كما يجري الماء وليست قليلة  
عزيزة كما هي في الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَأَنْهَرُ مِنْ خَيْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّرِبِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> وليس المراد بالمعين  
الماء لأن الكأس ليست من آنية الماء وإنما آنيتهما الأقداح ، وفي سورة الصافات ﴿ يُطَافُ  
عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بِيَضَاءٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ﴾<sup>(٦)</sup>  
وتلك صفات الخمر<sup>(٧)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠٣/١٧)

(٢) (ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ج ٣/٣١٢-٣١٣، جامع البيان للطبري ٢٧/١٧٤-١٧٥، الكشف والبيان

للتعلي ٩/٢٠٤، روح المعاني للألوسي ٢٧/١٣٦)

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٣١٣)

(٤) تفسير القرآن للسمعاني (٥/٣٤٦)

(٥) سورة محمد، آية: (١٥).

(٦) سورة الصافات، آية: (٤٥-٤٧).

(٧) (ينظر: جامع البيان للطبري ٢٧/١٧٥، التحرير والتنوير ٢٧/١٣٦)

وفي الآيات تناسق بديع فلما ذكر الله جل وعلا الولدان خدام المقربين في الجنة أوضح بعضا مما يقومون به من الخدمة خلال طوافهم بالمقربين فبدأ سبحانه بالأكواب والأباريق وأيضا الكأس التي إذا أطلقت فتعرف أنها للخمر ولذا ذكرها مفردة ولم يجمعها كالأكواب والأباريق، ومعلوم أن ما في الجنة من شراب وطعام إنما هو للتنعم والتلذذ لا للحاجة من عطش أو جوع ولذلك ذكر تنوع الأواني التي لتلك الملذات بقصد التنعم، فإن المنعم يجب تنوع ممتلكاته ومنها الاواني التي التي فيها جمال وزينة.

وكذا في ذكر تنوع آنيتهم إشارة إلى ما يحصل لهم من متعة النظر إلى أشكالها وهو ما يزيد في نعيمهم وفي لذة الشرب فيها، فليست اللذة مقصورة على متعة الإحساس بما فيها من شراب، وهي تؤكد كمال نعيمهم في الشراب بجميع الجوارح التي تباشره.

وحتى يميزها عن نقائص خمر الدنيا نفى عنها ما يكدرها من صداع وألم وزوال العقل فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾ (١٩)

#### القراءات:

قوله ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا ﴾ ذهب أكثر المفسرين إلى ان المعنى لا يلحق رؤوسهم الصداع من شربها الذي يلحق من شرب خمر الدنيا، والصداع هو الداء المعروف الذي يلحق الإنسان في رأسه وهو وجع الرأس من الخمار الناشئ عن السكر، وقيل معناه لا يفرقون عنها بمعنى لا تقطع عنهم لذتهم كما يفرق أهل خمر الدنيا بانواع من التفريق، ومعنى (عنها) مجاوزين لها، أي لا يقع لهم صداع ناشئ عنها، أي فهي منزهة عن ذلك بخلاف خمور الدنيا فاستعملت (عن) في معنى السببية<sup>(١)</sup>.

(١) (ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٢٤٢/٥، فتح القدير للشوكاني ١٤٩/٥-١٥٠، التحرير والتنوير (١٣٦/٢٧))

وقوله ﴿ وَلَا يُزْفُونَ ﴾ (١٩) اختلف القراء في قراءته، فقرأ عاصم (١) وحمزة (٢) والكسائي (٣) { ولا ينزفون } بكسر الزاي ووجه قراءتهم أي لا ينفذ شرابهم كما ينفذ شراب أهل الدنيا والعرب تقول للقوم إذا فني زادهم قد أنزفوا وقال مجاهد { ولا ينزفون } لا يسكرون عن شرابها، وقرأ الباقون بفتح الزاي وتوجيه الفتح يقول لا تذهب عقولهم بشرابها يقال للرجل إذا سكر أنزف عقله وللسكران نزيف، والقراءتان صحيحتان معروفتان (٤).

والمعنى المشهور في الآية "أي لا يعترهم نرف بسببها كما يحصل للشاربين في الدنيا، والنرف: اختلاط العقل" (٥).

فيكرم الله أهل الإيمان والاستجابة لأوامره ونواهيه لمَّا امتثلوا أمره باجتنا نواهيه فحرموا أنفسهم ونهوها عما حرمه الله في الدنيا كالخمر لخبثها؛ يكرمهم بخمر ليس لها شبهة في خمر الدنيا إلا الاسم، ولأنه سبحانه ذكرها في مشروباتهم في الجنة كان حقا ان يبين نزاهتها عما تلبست به في الدنيا من خبث وذن ونزول نعمة العقل وغير ذلك من النواقص والسفالات.

(١) هو: أبو بكر: عاصم بن أبي النجود، الإمام الكبير مقرئ العصر، قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش الأسدي، وحدث عنهما، وعن أبي وائل، ومصعب بن سعد، وطائفة من كبار التابعين، وهو معدود في صغار التابعين، تصدر للإقراء مدة بالكوفة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بعد أبي عبد الرحمن السلمي شيخه، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، توفي سنة (١٢٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/٢٥٦، السبعة في القراءات أحمد بن موسى التميمي البغدادي ١/٧٠.

(٢) هو: أبو عمارة: حمزة بن حبيب الزيات، وكان حمزة ممن تجرد للقراءة ونصب نفسه لها وكان ينحو نحو أصحاب عبد الله لأن قراءة عبد الله انتهت بالكوفة إلى الأعمش ولد سنة ثمانين، وقرأ على ابن أبي ليلى، وكان إمام أهل الكوفة في عصره، وكان لا يأخذ أجرًا على القرآن، توفي سنة (١٥٦هـ). ينظر: السبعة في القراءات ١/٧١، التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ١/٦١، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي ١/٥١.

(٣) هو: أبو الحسن: علي بن حمزة الأسدي بالولاء الكسائي، أحد أئمة القراءة والنحو واللغة، وهو أحد القراء السبعة، ولد بالكوفة، واستوطن بغداد، من مصنفاته: (معاني القرآن)، و(الحروف والمصادر)، و(مايلحن فيه العوام)، تُوفي عام: ١٨٠هـ، إنباه الرُواة: ٢/٢٥٦، بغية الوعاة: ٢/١٦٢.

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري ٢٧/١٧٢، حجة القراءات لابن زنجلة ١/٦٩٤.

(٥) التحرير والتنوير (٢٧/١٣٦)



ثم ذكر بعد نعيم الشراب نعيم الفاكهة التي يتخيرون منها ما يوافق شهواتهم لتوفرها بجميع أنواعها فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ (٢٠)

يقول تعالى ذكره ويطوف هؤلاء الولدان المخلدون على هؤلاء السابقين بفاكهة من الفواكه التي يتخيرونها من الجنة لأنفسهم، يقال تخيرت الشيء إذا أخذت خيره فيأخذون خيره وأفضله (١)، قال: ﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ ولم يقل: مما يختارون مع قرب أحدهما إلى الآخر في المعنى، وهو أن التخير من باب التكلف فتفعل يقتضي تكلفاً، وفيه إشارة إلى حصول لازم التخير، وهو كون المختار في أعلى درجات الحسن، فهي دلالة التزام لا مطابقة، فكأنهم يأخذون ما يكون في نهاية الكمال، وهذا لا يوجد إلا ممن لا يكون له حاجة ولا اضطرار، وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخيير لها وخص التخير بالفاكهة، والشهوة بلحم الطير، لأن الفاكهة تنوع، فناسب التخير، ولقرب الفاكهة منهم في أشجارها كما قال سبحانه: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ (٥٤) والعادة تخير الإنسان فيما قرب منه، وأما ما بعد منه فيشتهيه (٢).

وأكثر المفسرين على عطف الفاكهة على أكواب "فعطف { فاكهة } على { أكواب }"، أي ويطوفون عليهم بفاكهة وذلك أدخل في الدعة وألذ من تناول بأيديهم، على أنهم إن اشتهاوا اقتطافها بالأيدي دنت لهم الأغصان فإن المرء قد يشتهي تناول الثمرة من أغصانها، و﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾: الجنس الذي يختارونه ويشتهونه، أي يطوفون عليهم بفاكهة من الأنواع التي يختارونها، ففعل { يتخيرون } يفيد قوة الاختيار (٣). وفي التخيير دلالة المحبة من الرب الكريم لأولئك الذين تسابقوا طلباً لمحبتة ورضاه والقرب

(١) جامع البيان للطبري (١٧٦/٢٧)

(٢) (ينظر: تفسير البغوي ٢٨١/٤، الكشاف للزمخشري ٤/٤٥٨، التفسير الكبير للرازي ١٥٤/٢٩، تفسير ابن كثير ٢٨٧/٤)

(٣) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٢٨٧/٢٧)

منه، وفيه الإشارة إلى كمال نعيم المقربين بتوفر الفاكهة بأنواعها المعهودة وغير المعهودة مما هو معلوم ومما لا يخطر على بال أحد، ذلك ان المخير هو الله الخالق الموجد المبدع، دل على ذلك تنكير الفاكهة والتنكير يفيد العموم ليشمل كل الفواكه.

وقد ذكر الحق سبحانه ذلك العموم صراحة في نعيم أصحاب الجنتين الرفيعتين في سورة الرحمن حيث قال سبحانه ( فيهما من كل فاكهة زوجان ).

ومن حكم تقديم الفاكهة على اللحم والله أعلم: أن اهل الشرب يميلون إلى تقديم الفاكهة على اللحم ، ولان الفاكهة ألطف وأسرع انحدارا، ولأن الحال في الجنة يشبه حال الشبعان في الدنيا فيميل إلى الفاكهة أكثر فقدمها<sup>(١)</sup>، وأسرار كلام الخبير لا يحيط بها أحد.

ثم أعقب نعيم الفاكهة بنعيم لحوم الطير ووصفه بالشهوة لأن الأنفس في الدنيا تشتتبه ويعز عليها الحصول عليه على الدوام يقول الحق سبحانه في ذلك:

﴿وَلَحْمَ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٢١)

يقول الكريم سبحانه ويطوفون أيضا عليهم بلحم طير مما يشتهون من أنواع الطير الذي تشتتبه نفوسهم ويتمنون<sup>(٢)</sup>، "ولحم الطير: هو أرفع اللحوم وأشهاها وأعزها، وعطف { ولحم طير { على { فاكهة { كعطف { فاكهة { على { أكواب {، والاشتها: مصدر اشتهى، وهو افتعال من الشهوة التي هي محبة نيل شيء مرغوب فيه من محسوسات ومعنويات، يقال: شهى كرضي، وشها كدعا، والأكثر أن يقال: اشتهى ، والافتعال فيه للمبالغة<sup>(٣)</sup>".

ولما كان تحصيل الطير عزيزا في الدنيا ولا يحصل إلا بعناء الاصطياد، وهو من اشهى ما يطلبه الناس في ماكلهم، وافخر ما يقدمونه في ضيافتهم، لطراوة لحمه ومنفعته للجسم بتنوع غذائه خص ذكره من بين سائر اللحوم المأكولة، وفي ذكر الأعلى في صنف من الأصناف فإنه يدخل فيه ما دونه ضمنا.

"ولما ذكر ما جرت العادة بتناوله لمجرد اللذة، أتبعه ما العادة أنه لإقامة البنية وإن كان هناك

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي ١٥٤/٢٩، روح المعاني للألوسي ١٣٧/٢٧

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري ١٧٦/٢٧، الكشاف للزمخشري ٤٥٨/٤

(٣) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٢٨٧/٢٧)

لمجرد اللذة أيضا فقال: { ولحم طير } ولما كان في لحم الطير مما يرغب عنه، احترز عنه بقوله: { مما يشتهون } أي غاية الشهوة بحيث يجدون لآخرة من اللذة ما لأوله<sup>(١)</sup>.

وفي تخصيص لفظ الشهوة للحم الطير بيان أنه بعد اختيار نوع الفاكهة المفضلة تشتهي النفس ما كانت تعودت عليه في الدنيا من اتباع الفاكهة باللحم، وقد يفيد لفظ الإشتهاء توفر هذا اللحم الذي هو عزيز في الدنيا وصعب المنال لكنه في الجنة متوفر بمجرد الإشتهاء. وقد يكون في تقديم الفاكهة على اللحم الإشارة إلى الأنفع والأصلح للإنسان في تقديم الأولى منهما عند توفرهما، وأن الأصل البدء بالفاكهة ثم اللحم، فالتدرج في الطعام والشراب يكون البدء بالشراب ثم الفاكهة فاللحوم.

ويقال في تنكير الطير كما قيل في تنكير الفاكهة من مقصود الشمول لعموم أنواع الطير التي خلقها الله من المعهودة وغير المعهودة ومما لم يخطر على بال بشر وفضل الله عظيم. وبعد نعيم المأكل والمشرب تنهياً النفس لإشباع ما فطرت عليه من الشهوات ومنها حب النساء فذكرهن بوصف بديع قال الحق سبحانه:

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۖ ﴾ (٢٢)

### القراءات:

قرأ حمزة والكسائي { وهور عين } بالخفض وقرأ الباقون بالرفع، وحجة من رفع أن الحور لا يطاف بهن وإنما يطاف بالخمير فرفعه على الابتداء<sup>(٢)</sup> قال الفراء<sup>(٣)</sup> الرفع على قولك ولهم حور عين، وقال أبو عبيد: وعندهم حور عين، ووجه الجر تحمله على قوله: ﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (١١)

(١) نظم الدرر للبقاعي (٤٠٧/٧).

(٢) السبعة في القراءات (ص: ٦٢٢).

(٣) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، أبو زكرياء، واشتهر بالفراء، ولم يعمل في صناعة الفراء، فقليل: لأنه كان يفري الكلام، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ولد سنة: (١٤٤) بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه، وتوفي سنة: (٢٠٧هـ) في طريق مكة. وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلماً، عالماً بأيام العرب وأخبارها، عارفاً بالنجوم والطب، ويميل إلى الاعتزال. من كتبه "المقصود والممدود" و"معاني القرآن"، و"المذكر والمؤنث" و"كتاب اللغات" وغيرها. الأعلام للزركلي (١٤٥/٨).

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ فيكون التقدير أولئك المقربون في جنات النعيم وفي حور عين أي في مقارنة حور عين أو مباشرة حور عين فحذف المضاف، أو أنه اشركهن في الباء الداخلة في قوله ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ بكأس من معين وبحور عين فقطعهن بالواو ولم يفرق بين ان يطاف به وبين ان يطوف بنفسه<sup>(١)</sup>، "قال الزجاج<sup>(٢)</sup>: والذين رفعوا كرهوا الخفض لأنه معطوف على قوله يطوف عليهم قالوا والحور ليس مما يطاف به ولكنه مخفوض على غير ما ذهب إليه هؤلاء لأن المعنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بها وكذلك ينعمون بلحم طير فكذلك ينعمون بحور عين والرفع أحسن والمعنى ولهم حور عين<sup>(٣)</sup>".

"فلما لم يكن بعد الأكل والشرب أشهى من الجماع، قال عاطفا على { ولدان } ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ أي يظفن عليهم، وجره حمزة والكسائي عطفا على { سرر } فإن النساء في معنى الاتكاء لأنهن يسمين فراشا<sup>(٤)</sup>".

والحور جمع حوراء والعين جمع عيناء ولم يضم أوله لثلاثا تنقلب الياء واوا، والحوراء البيضاء النقية بياض العين الشديدة سوادها، والعيناء النجلاء العين الواسعة أو الكبيرة في حسن<sup>(٥)</sup>. وعند ذكر لفظ الحور عند الناس يقع في النفس معنى الكاملة الاوصاف فيحسن التعبير بأنهن الخالصات الحسن والكمال.

وشهوة الجماع تتبع شهوتي الشراب والطعام، وقياسا على ما ركبه الله في الإنسان من ذلك الأمر في الدنيا، فإنه لا يذكر شهوة فرجه حتى يشبع شهوة بطنه، فالجوع يلهي عن مجرد

(١) (ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد ١/٦٢٢، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ١/٣٤٠، حجة القراءات لابن زنجلة ٤٠٣هـ/٦٩٥، التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ١/٢٠٧).

(٢) إبراهيم بن السري بن سهل الرُّجَّاح، أبو إسحاق، نحويٌّ لغويٌّ، وُلِدَ ومات ببغداد، كان في فتوَّته يخرط الرُّجَّاح، تعلَّم النَّحو من المبرِّد، من كتبه: (الأمالي)، و(الاشتقاق)، و(إعراب القرآن)، و(معاني القرآن)، تُوفِّي عام: ٣١١هـ، إنباه الرُّوابة: ١/١٩٤، بغية الوعاة: ١/٤١١.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (١٣٧/٨).

(٤) نظم الدرر للبقاعي (٤٠٧/٧).

(٥) (ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٣، الجامع الكبير للطبري ٢٧/١٧٧، النكت والعيون للماوردي ٥/٤٥٢، التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ٢/١٢٠٤، تفسير العز بن عبد السلام ٣/٢٧٥).

التفكير في شهوة الفرج، وأكثر آيات النعيم تدل على ذلك بالذكر تباعا، فقد أعقب سبحانه ذكر نعيم الشراب والطعام بذكر نعيم الحور الحسان، في أكمل وصف وأجمل خلق يرغبه الانسان ويطلبه ويتمناه في النساء، حور في أجسامهن بلغن غاية الجمال والتناسق، عين واسعات الأعين بلغن منتهى الحسن واللطافة.

ولزيد وصفهن وحسنهن تطمينا لعباده في هذا الفضل شبههن باللؤلؤ المستور مبالغة في الحسن والجمال تقريبا للأذهان وترغيبا للنفوس فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

### ﴿ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ (٢٣)

لقد كان من بلاغة العربية ومن بلاغة القرآن ضرب الأمثال لتقريب الحقائق، ومن رحمة الله بعباده أن ضرب المثل في كلامه الكريم لمعرفة بضعف وقصور فهمهم وتفاوت إدراكهم وإحاطتهم لحقائق الامور، وفي الآية الكريمة يرغب الكريم سبحانه عباده في نعيم السابقين بوصف نساءهم وصفا بعد وصف، ففي الآية السابقة يصفهن بالحور العين، ثم يصف حسنهن وجمالهن بأبلغ وصف واكمله وأجمله، وليس في الدنيا أجمل واغلى من اللؤلؤ وخاصة إن كان مستورا عن الأيدي والأعين، وكل شيء يستر عن الأيدي والاعين يحافظ على بهائه ونضارته بل ويزيد، فوصفهن باللؤلؤ المكنون هو في غاية التشبيه البليغ.

"فشبههن في الكن كأمثال اللؤلؤ المكنون في الصدف المطبق عليه ، لم تمسه الأيدي ، ولم تره الأعين ، ولم يخطر على قلب بشر ، كأحسن ما يكون"<sup>(١)</sup>، فوصفه بكونه مكنونا بحيث لم يجر عليه تغيير لا في لون أو صفاء وشكل، سواء كان ذلك التغيير بسبب الايدي والاعين أو الشمس والهواء كما ذكر ذلك بعض المفسرين<sup>(٢)</sup>، والرجل بطبعه لا تشده المرأة البارزة للرجال في زينتها ونفسها وتخالطهم ولا يرغب فيها كالمستورة المكنونة فلذلك جاء الوصف البديع على ما يوافق الفطر السوية وترنوا إليه.

وتفسير الحور بالبياض يؤيده تمثيلهن باللؤلؤ الذي يميزه نضارته وشفافه بياضه، "يقول هن

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٣١٣) بتصرف يسير

(٢) (ينظر: التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٥٦، لباب التأويل في معاني التنزيل ٧/١٧)

في صفاء بياضهن وحسنهن كاللؤلؤ المكنون الذي قد صين في كن<sup>(١)</sup>، "والكاف للتشبيه، والمثل حقيقة فيه، فلو قال: أمثال اللؤلؤ المكنون لم يكن إلى الكاف حاجة، فما وجه الجمع بين كلمتي التشبيه؟ نقول: الجواب المشهور أن كلمتي التشبيه يفيدان التأكيد والزيادة في التشبيه<sup>(٢)</sup>".

"ولما كان المثل في الأصل الشيء نفسه قال: { كأمثال } أي مثل أشخاص { اللؤلؤ المكنون } أي المصون في الصدف عما قد يدنسه<sup>(٣)</sup>، وقيل: "أتى بأضعف وجوه التشبيه، لأنهن لا يشبهن اللؤلؤ إلا في وجه واحد وهو صفاؤه، ووجوه التشبيه ثلاثة أبلغها كقولك زيد أسد ثم زيد كالأسد ثم زيد كممثل الأسد، ومن صفات اللؤلؤ دقته وكونه جمادا، وجمع أمثال لجمع المحور<sup>(٤)</sup>"، ولا يلزم صحة القول بأن لفظ كأمثال هي أضعف وجوه التشبيه خاصة أنه جمع بين كلمتي التشبيه الكاف ولفظ أمثال مما يزيد في المعنى بالتأكيد على التشبيه كما سبق بيانه.

ولبيان فضلهم واستحقاقهم لما نالوا من نعيم وما اختصوا به من قرينة وكرامة ذكر أن كرامتهم تلك التي نالوها من الرب الكريم إنما هي جزاء أعمالهم فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٢٤)</sup>

"يقول تعالى ذكره ثوابا لهم من الله بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا وعوضا من طاعتهم إياه<sup>(٥)</sup>".

وعد بعض أهل العلم عشرين آية تدل على معنى الآية الكريمة وأن الجنة جزاء الأعمال، منها:

- (١) (ينظر: الجامع الكبير للطبري ١٧٧/٢٧، أضواء البيان للشنقيطي ١٧/٦)
- (٢) التفسير الكبير للرازي (١٥٥/٢٩)
- (٣) نظم الدرر للبقاعي (٤٠٧/٧) بتصرف يسير
- (٤) نكت وتنبهات في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس البسيلي التونسي (٥٧٨/٣)
- (٥) الجامع الكبير للطبري (١٧٧/٢٧)

في الاعراف ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣) ﴿<sup>(١)</sup> وفي النحل ﴿ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣٢) ﴿<sup>(٢)</sup> وفي الزخرف ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٧٢) ﴿<sup>(٣)</sup> وفي الطور ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٩) ﴿<sup>(٤)</sup> وغيرها<sup>(٥)</sup>، وقال الله جل وعلا في السورة السابقة لها ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ (٦٠) ﴿<sup>(٦)</sup>

قال بعض المفسرين أن الجزاء الذي ذكره الكريم سبحانه هنا ميز به السابقين عن أصحاب اليمين ليدل على أن سبقهم كان بسبب عملهم، وأن نجاة أصحاب اليمين من العذاب ودخولهم في رحمة رب العالمين إنما كان بفضل الله عليهم ولم يوكلهم لأعمالهم التي لا تبلغهم رحمته<sup>(٧)</sup>، وأحسن منه القول بأن وجه ذكر الجزاء للسابقين دون ذكره لأصحاب اليمين هو لبيان أن سبقهم كان بسبب عملهم الذي قصر فيه من هم دونهم من أصحاب اليمين. فنعيمهم بعد فضل الله عليهم كان جزاء أعمالهم الصالحة التي قربتهم من الله جل وعلا، "فلما أبلغ في وصف جزائهم بالحسن والصفاء، دل على أن أعمالهم كانت كذلك لأن الجزاء من جنس العمل فقال تعالى: { جزاء } أي فعل لهم ذلك لأجل الجزاء { بما كانوا } جلبة وطبعا { يعملون } أي يجددون عمله على جهة الاستمرار"<sup>(٨)</sup>.

والآية الكريمة تبين فضل أصحاب هذه المنزلة السابقة وانهم سبقوا بأعمالهم، فميزهم عن أصحاب اليمين بأن منزلتهم تلك كانت بسبب أعمالهم، يقول الطاهر ابن عاشور: "وقد أشار

(١) سورة الأعراف، آية: (٤٣)

(٢) سورة النحل، آية: (٣٢)

(٣) سورة الزخرف، آية: (٧٢)

(٤) سورة الطور، آية: (١٩)

(٥) حجج القرآن لأبي الفضائل أحمد الرازي (٧٢/١-٧٣)

(٦) سورة الرحمن، آية: (٦٠)

(٧) ينظر: التفسير الكبير للرازي ١٤٨/٢٩، التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ٣٠٣/٢٧

(٨) نظم الدرر للبقاعي (٤٠٨/٧)

إلى تفاوت المقامين أنه ذكر في نعيم السابقين أنه جزاء بما كانوا يعملون للوجه الذي بيناه فيها ولم يذكر مثله في نعيم أصحاب اليمين وجماع الغرض من ذلك التنويه بكلا الفريقين<sup>(١)</sup>. وحتى يؤكد المولى سبحانه أن فضله أعظم وأنه الأكرم سبحانه وأنه يجازي على العمل وزيادة ذكر نعيم جارحة السمع فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا ۚ﴾<sup>(٢٥)</sup>

قيل في معنى الآية: "لا يسمع في الجنة بعضهم من بعض لغوا يعني الحلف، ولا تأتيا يعني كذبا عند الشراب، كفعل أهل الدنيا إذا شربوا الخمر"<sup>(٢)</sup>، وقيل: "﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا﴾<sup>(٢٥)</sup> يقول لا يسمعون فيها باطلا من القول ولا تأتيا يقول ليس فيها ما يؤثمهم"<sup>(٣)</sup>، وقيل: "اللغو: الباطل من القول وسقطه من فحش وغيره، والتأثيم: الإثم والهديان، أو لا يؤثم أحد غيره ولا نفسه بقول"<sup>(٤)</sup>.

وأحسن ما يقال في ذلك أن الآية تحتل تلك المعاني كلها ويمكن تعميم اللغو بكل ما يكدر صفو النعيم من القول الزائد على الحاجة مما تمله النفوس ولا تقبله، والتأثيم كل ما ينغص النعيم من القول الباطل الذي يوغر النفوس ويؤذيها وفيه ما يغضب الرب سبحانه. وفي ذكر السمع في قوله { لا يسمعون } دليل كمال نعيمهم السمعي والبصري، فبعد أن ذكر تمتع أبصارهم برؤية بعضهم البعض على سرهم وتمتعهم برؤية ملكهم وسيادتهم وخدمهم ورؤية ما يشتهون من شراب وفاكهة ومأكول ونساء أتبعه بكمال المتعة السمعية والنفسية الباطنة، وذلك بنفي أذى جارحة السمع التي تؤثر في النفس أكثر من غيرها من الجوارح. وفيه بيان أنهم لما نزهوا ألسنتهم وأسماعهم عن اللغو والإثم وعن كل ما حرم الله جازاهم الله من جنس عملهم فنزه أسماعهم عن كل لغو وإثم، ففيه دلالة حفظهم لجوارحهم عن محارم الله واستعمالها فيما يرضيه سبحانه.

(١) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٢٧/٣٠٣)

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٣١٣)

(٣) الجامع الكبير للطبري (٢٧/١٧٨)

(٤) (ينظر: لطائف الإشارات للقشيري ٣/٢٧٥، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٥/٢٤٣)



"ونفي سماع اللغو من باب نفي الشيء بنفي لازمه، لأن قوله الكريم { لا يسمعون فيها لغوا } يوهم ان فيها لغوا، وقال: { لا يسمعون } مع ان نفي السماع لا يستلزم وقوع اللغو لأجل قوله { إلا سلاما } لأنهم يسمعون، وفي سورة الطور { لا لغو فيها ولا تأثيم }<sup>(١)</sup>"

فلما ذكر المولى جل ذكره نعيمهم وبين أنه جزاء اعمالهم، ذكر نعمة سماع الطيب من القول والتنزه عن كل ما يكدر صفو نعيمهم ومن صفاءه تنزيه مسامعهم من كل لغو وإثم.

وأخر ذكر نعيم جارحة السمع بالكلام الطيب المحبب للنفوس والتنزه عن سماع ما يؤذي النفس بعد ذكر جزاء الأعمال لينوه إلى أنه أمر زائد على الجزاء، إحسانا من الكريم المحسن وتفضلا منه بلا سابقة عمل من العبد، وخاصة إذا كان المقصود من ذلك السماع هو سماع كلام الرب المجيد كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين فيكون زيادة منه في النعيم لجارحة السمع كما هو الحال عند من ذهب إلى تفسير الزيادة في الآيات التي ذكرت الزيادة كما في قوله سبحانه ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله سبحانه: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup> فيكون هذا في النظر وذاك في السمع، يقول الرازي "والحكمة في تأخير ذكره عن الجزاء مع أنه من النعم العظيمة، أن هذا من أتم النعم، فجعلها من باب الزيادة ولا مقابل لها من الأعمال، وإنما قلنا: إنها من أتم النعم، لأنها نعمة سماع كلام الله تعالى كما أعقب سبحانه ذلك بقوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾<sup>(٤)</sup> وهو سلام الرب الذي يؤيده قوله جل شأنه ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup> (٤) (٥).

"ولما أثبت لها الكمال وجعله لهم، نفى عنها النقص فقال: { لا يسمعون } أي على حال من الأحوال { فيها لغوا } أي شيئاً مما لا ينفع<sup>(٦)</sup>"، وفي نفي النقص منتهى كمال النعيم.

(١) نكت وتنبهات في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس البسيلي التونسي (٥٧٩/٣) بتصرف يسير.

(٢) سورة يونس ، آية: (٢٦)

(٣) سورة ق ، آية: (٣٥)

(٤) سورة يس، آية: (٥٨)

(٥) التفسير الكبير للرازي (١٦٢/٢٩) بتصرف.

(٦) نظم الدرر للبقاعي (٤٠٨/٧)

وأكد نزاهة أسماعهم عن كل لغو وتأثيم ورقى كلامهم في نعيم الجنة وأن كل كلامهم يحمل معنى السلام والمودة والمحبة والإخاء فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿إِلَّا قِيْلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾ (٣٦)

"قوله: ﴿إِلَّا قِيْلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾ (٣٦) معناه: إلا قولهم السلام بعد السلام، والتحية بعد التحية. وقد قالوا: إن الاستثناء هاهنا من غير جنس المستثنى منه، فهو منقطع، وهو بمعنى لكن. وقيل: إنه من جنس المستثنى منه؛ لأن اللغو كلام مسموع، والسمع كلام مسموع، واختلفوا في نصب قوله: ﴿سَلَمًا﴾ قال بعضهم: انتصب لأن معناه: سلمك الله سلاما أي: يقول بعضهم لبعض، ومنهم من قال: انتصب تبعا لقوله: ﴿قِيْلًا﴾ لأن سلاما هو الفعل المذكور<sup>(١)</sup>، وقال بذلك بعض أهل التفسير في أن الاستثناء منقطع، لأنه لم يندرج في اللغو ولا التأثيم، وهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم<sup>(٢)</sup>.

ويرى الطاهر ابن عاشور أن الاستثناء متصل إدعاء وهو المعبر عنه بالاستثناء المنقطع بحسب حاصل المعنى، وعليه فإن انتصاب ﴿قِيْلًا﴾ على الاستثناء لا على البدلية من {لغوا} وفي نصب سلاما يقول: وإنما جيء بلفظ: ﴿سَلَمًا﴾ منصوبا دون الرفع مع كون الرفع أدل على المبالغة كما ذكره في قوله: ﴿قَالُوا سَلَمًا قَال سَلَمًا﴾<sup>(٣)</sup> في سورة هود وسورة الذاريات لأنه أريد جعله بدلا من قِيْلًا<sup>(٤)</sup>.

وتحقيق الأمر في ذلك أن من قال بأن الاستثناء منقطع على أساس مضمير الكلام المقدر ب: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا﴾ (٣٥)، فالاستثناء من الكلام لا من السماع، فهو بذلك استثناء منقطع عن كلام اللغو التأثيم، ولأن السلام ليس من جنس اللغو والتأثيم، ومن نظر إلى اتصاله

(١) تفسير السمعاني (٣٤٧/٥-٣٤٨)

(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ٢٠٦/٨، روح المعاني للآلوسي ١٣٩/٢٧، التفسير الوسيط للدكتور محمد السيد طنطاوي (٢١٠/٢٦).

(٣) سورة هود، آية: (٦٩).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٣٠٣/٢٧)

فهو من جهة استثناء النفي عن سماع اللغو والباطل، فالإستثناء هو من نفي السماع لا من الكلام، وهو الأقرب والله أعلم بحقائق كلامه، مثله قوله سبحانه في سورة مريم ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾<sup>(١)</sup> والمعنى لا يسمعون إلا سلاما.

"يعني كثرة السلام من الملائكة نظيرها في الرعد: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾<sup>(٣)</sup>، وإطلاق لفظ السلام بلا قيد يفيد العموم فيحتمل سلام الملائكة أو سلام الرب أو بعضهم على بعض، ويحتمل الكل وهو الاقرب والله أعلم، "والتكثير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية<sup>(٤)</sup>".

فالآية يحتمل فيها سماع كلام الرب سبحانه بالسلام كما في قوله جل وعلا ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup> ويحتمل سلام الملائكة كما قال سبحانه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿سَلَّمَ عَلَيْكُمْ...﴾<sup>(٧)</sup> ويحتمل سلام بعضهم على بعض كما قال عز وجل<sup>(٨)</sup>: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾<sup>(٩)</sup> ويحتمل ذلك كله<sup>(١٠)</sup>.

(١) سورة مريم، آية: (٦٢).

(٢) سورة الرعد، آية: (٢٣).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٣١٣).

(٤) تفسير البيضاوي (٥/٢٨٦).

(٥) سورة يس، آية: (٥٨).

(٦) التفسير الكبير للرازي (٢٩/١٦٢).

(٧) سورة الرعد، آية: (٢٣).

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٣١٣).

(٩) الدر المنثور للسيوطي (٨/٤١).

(١٠) سورة إبراهيم، آية: (٢٣).

(١١) قال سيد قطب في ظلال القرآن: (حياتهم كلها سلام. يرف عليها السلام. ويشيع فيها السلام. تسلم عليهم الملائكة في ذلك الجو الناعم الآمن ويسلم بعضهم على بعض. ويبلغهم السلام من الرحمن. فالجو كله سلام سلام). (٦/٣٤٦٤).

والآية عظيمة المعنى فبعد أن نزه المنعمين في رحمته عن كل ما ينغص أو يكدر أسماعهم من لغو وإثم وباطل، ذكر أتم وأكمل النعيم وما فيه دلالة على المحبة والتواد والألفة والطمأنينة والأمن والأمان ألا وهو السلام، سواء كان من بني جنسهم من البشر ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ (٢٣) ﴿٢٣﴾ (١) أو من المقرين الملائكة الكرام وهو أعظم ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) ﴿٢٣﴾ (٢)، أو من السلام نفسه سبحانه وهو غاية المنى، والمطلب الأعظم، والذي من أجله قطعت الأعمار ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ (٥٨) ﴿٥٨﴾ (٣)، ولقد كان من أدعية أهل الجنة في الدنيا اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام، ففي تخصيص السلام بالذكر من بين كلام أهل الجنة الطيب مزيد عناية بأمر السلام وأنه من الأعمال الصالحة المحببة للنفوس في الدنيا والآخرة، ودليل صفاتها وودها، نسأل الله من فضله العظيم، "وهذا دليل على حسن أدب أهل الجنة في خطابهم فيما بينهم، وأنه أطيب كلام، وأسرر للقلوب، وأسلمه من كل لغو وإثم، نسأل الله من فضله: أن يجعلنا من أهل الجنة (٤)".

والآية تحمل معنى بديعا لمن تأمل وهو أن أقوالهم وكلامهم كله في معاني السلام وليس مقتصر على لفظ السلام فحسب (٥)، فمعلوم أنهم يجتمعون ويتذكرون ما كانوا عليه في الدنيا ويتكلمون كما يشاءون لكنه لا يخرج عن معنى السلام والرحمة كما ذكر المولى ذلك في آية الاعراف: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ (٦) الآية وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا

(١) سورة إبراهيم، آية: (٢٣).

(٢) سورة الرعد، آية: (٢٣).

(٣) سورة يس، آية: (٥٨).

(٤) تيسير الكريم المنان للسعدي (١/٨٣٣).

(٥) نظم الدرر للبقاعي (٧/٤٠٨).

(٦) سورة الاعراف، آية: (٤٣).

لَعَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾<sup>(١)</sup> ... الآيات، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾<sup>(٢)</sup> ... الآيات، وقوله تعالى: ﴿ قَالَوَا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾<sup>(٣٦)</sup> فَمَنْبِ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٣٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٣٨﴾<sup>(٣)</sup> وغير ذلك من الآيات، وهذا المعنى هو ما يؤكد معنى التكرار بلفظ السلام.

وفي تأخير ذكر السلام بعد أن ذكر أنواع النعيم وأنها جزاء أعمالهم الصالحة الإيعاز والتنويه إلى عظيم نعمة السلام وما يحمله من معان جلييلة من أمن داخلي نفسي ديني وأخلاقي وأمان خارجي من خوف عدوان أو داهية عامة، وكذا ما يحمله السلام من معان الرأفة والرحمة والتواد بين المتسلمين، وأن تلك النعمة وما فيها من معان عظيمة لا يقابلها ولا يكافئها عمل من الأعمال الصالحة مهما بلغ من القدر والكم والكيف، فتكون تلك النعمة التي تزيد في الجنة بمعنى الأمن من زوال النعيم في ذاته أو بموت صاحبه إنما هي تفضل من الكريم وإحسانا منه لعباده المؤمنين لا جزاء أعمالهم، ولذلك ذكرها بعد ذكر آية جزاء أعمالهم كما سبق بيانه. ولما ختم نعيم السابقين ناسب ذكر أصحاب الدرجة التي تليهم من أهل الجنة فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾<sup>(٤)</sup>

أصحاب اليمين لهم منزلة دون منزلة المقربين<sup>(٤)</sup>، قيل فيهم أنهم: أطفال المؤمنين<sup>(٥)</sup>، وقد روي أنهم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، ثم تابوا بعد ذلك واصلحوا كما ذهب إلى ذلك الرازي وغيره<sup>(٦)</sup>، وقد ذكره بعض المفسرين في تعداد الأقوال في بيان صنفهم ومن هم،

(١) سورة فاطر، آية: (٣٤).

(٢) سورة الصافات، آية: (٥١).

(٣) سورة الطور، آية: (٢٦-٢٨).

(٤) (ينظر: النكت والعيون للماوردي ٤/٥٥٣، تفسير القرآن للسمعاني ٥/٣٤٧، تفسير العز بن عبد السلام ٣/٢٧٥، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٨٩).

(٥) (ينظر: جامع البيان للطبري ٢٧/١٧٩، زاد المسير ٨/١٣٩).

(٦) (ينظر: النكت والعيون للماوردي ٥/٤٥٣، تفسير القرآن للسمعاني ٥/٣٤٧، التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٦٣).

ويصح أن يكون بيانا لسبب تأخرهم عن منزلة السابقين.

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ مبتدأ خبره ﴿ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ ﴿ ٢٧ ﴾ فيحسن الوقف عليه والإبتداء بما بعده، وقيل ﴿ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ ﴿ ٢٧ ﴾ جملة معترضة وخبر المبتدأ ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ ﴿ ٢٨ ﴾ و{ما} استفهامية بقصد التعجب تعظيما لشأنهم، ولإستشارة العقول والأنظار في ماهيتهم وماذا أعد لهم<sup>(١)</sup>.

ولما بين سبحانه حال السابقين شرع في بيان شأن أصحاب الميمنة من الأزواج الثلاثة التي ذكرها في المطلع<sup>(٢)</sup>، ويقال في التصوير البديع لتفاصيل جزئيات نعيمهم ما قيل في السابقين من تأكيد حقيقة البعث والجزاء، والحث على السعي في الإيمان والطاعة طلبا لهذا النعيم حتى وإن حصل تقصير فالله أعد للمقصرين عن سبق نعيما فلا ظلم في ذلك اليوم.

وفي ترتيب ذكر أصحاب اليمين بعد ذكر السابقين فوائد منها:

- ١- يستفاد من هذا الترتيب والتقسيم في معاملات البشر وخاصة في المعاملات التي يترتب عليها فوز وخسارة.
- ٢- أن السابقين هم السابقون كذلك في الدخول للجنة يوم الفصل ولذلك قدم ذكر نعيمهم.
- ٣- تصور مدى دقة الحساب والتصنيف حسب الأعمال حتى جعل أهل الجنة على صنفين كل حسب عمله.
- ٤- عدم اليأس عند التقصير والإسراف في الذنوب فللتائبين نعيم على قدر اعمالهم.

وذكر غير واحد من أهل العلم والتأويل أن ذكر أصحاب اليمين بعد السابقين هو في مقابل ما هو موجود في تنوع مواطن الناس في الدنيا بين حاضرة وبادية، وأن نعيم أصحاب اليمين يقابل ما ألفه أهل البادية ولذلك ذكر السدر والطلح التي هي من شجر البوادي، وجاء ذكره

(١) (ينظر: جامع البيان للطبري ١٧٩/٢٧، بحر العلوم للسمرقندي ٣/٣٧١، التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ٤/٨٩، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٨٩، إرشاد العقل السليم ٨/١٩٢، فتح القدير للشوكاني ٥/١٥٢، روح المعاني للآلوسي ٢٧/١٣٩)

(٢) (ينظر: التفسير الكبير (٢٩ | ١٤٢)، فتح القدير للشوكاني ٥/١٥٢، روح المعاني للآلوسي ٢٧/١٣٩)

بعد نعيم السابقين الذي يقابل ما ألفه أهل المدن والحاضرة، "كأنه لما شبه حال السابقين في التنعم بأعلى ما يتصور لأهل المدن شبه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتمناه أهل البوادي إشعاراً بالتفاوت بين الحالين<sup>(١)</sup>"، والصحيح والله أعلم ما ذكره أكثر أهل التفسير أن في ذكر الصنفين من أهل الجنة بيان تفاوت نعيم أهل الجنة، وأن الجنة هي جنتان لأهل السبق وجنتان لمن هم دونهم، وهو تأكيد لما ذكره الله في سورة الرحمن قبلها.

"فإن قيل : ما الحكمة في ذكرهم بلفظ ' أصحاب الميمنة ' عند تقسيم الأزواج الثلاثة ؟ فلفظ أصحاب الميمنة ' مفعلة ' إما بمعنى موضع اليمين [ كالحكمة موضع الحكم ، أي : الأرض التي فيها ' اليمن ' ، وإما بمعنى موضع اليمين ] كالمنارة موضع النار ، والمجمرة موضع الجمرة ، وكيفما كان ، فالميمنة فيها دلالة على الموضع ، لكن الأزواج الثلاثة في أول الأمر يتميزون بعضهم عن بعض ويتفرقون ، لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَنْفِرُ قَوْمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> وقال : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> فيتفرقون بالمكان، فأشار إليهم في الأول بلفظ يدل على المكان، ثم عند الثواب وقع تفريقهم بأمر منهم لا بأمر هم فيه وهو المكان ، فقال : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ أي الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم . وقيل : أصحاب القوة . وقيل : أصحاب النور<sup>(٤)</sup>."

"والظاهر أن التعبير بالميمنة فيما مر وباليمين هنا للتفنن وكذا يقال في المشأمة والشمال فيما بعد<sup>(٥)</sup>"، ويقول الطاهر ابن عاشور أن الآية "عود إلى نشر ما وقع لفه في قوله: ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾<sup>(٦)</sup>."

(١) تفسير البيضاوي (٢٨٧/٥)

(٢) سورة الروم، آية: (١٤)

(٣) سورة الروم، آية: (٤٣)

(٤) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (٢٨٦/١٨)

(٥) روح المعاني للآلوسي (١٣٩/٢٧)

(٦) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٢٩٨/٢٧)

وإفادة للآية السابقة وجوابا لخبر أصحاب اليمين بدأ بذكر ما هم فيه من نعيم فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله: " ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ سبب نزولها أن المسلمين نظروا إلى وج وهو واد بالطائف مخضب فأعجبهم سدره فقالوا يا ليت لنا مثل هذا فنزلت هذه الآية قاله أبو العالية والضحاك<sup>(١)</sup>."

وأخرج البيهقي<sup>(٢)</sup> من وجه آخر عن مجاهد قال كانوا يعجبون بوج وظلاله وطلحه وسدره فأنزل الله ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾<sup>(٣)</sup>، ويحتمل أن لا يكون للآية سبب نزول خاصة وأن الروايات المذكورة آنفا مقطوعة وليست موقوفة.

والسدر نوع من أنواع الشجر يقال له النبق، ثمرة أحلى من العسل<sup>(٤)</sup>، ويسميه بعض العرب بالسمر<sup>(٥)</sup>، وهو من شجر البادية وموطنه الأصلي جزيرة العرب، وله من المنافع ما جعل له مكانة خاصة في نفوس العرب خاصة وفي نفوس من يعرفه في شتى بقاع الأرض.

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٨ / ١٣٩)

(٢) أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر: من أئمة الحديث. ولد سنة: (٣٨٤هـ) في خسروجرد ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرها، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات سنة: (٤٥٨هـ). ونقل جثمانه إلى بلده. قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، فان له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرته مذهبه وبسط موجزه وتأييد آرائه. صنف زهاء ألف جزء، منها (السنن الكبرى)، و(السنن الصغرى) و(المعارف) و(الأسماء والصفات) و(ودلائل النبوة) و(الآداب) في الحديث، و(الترغيب والترهيب) وغيرها. الأعلام للزركلي (١ / ١١٦).

(٣) (ينظر: لباب النقول للسيوطي ١ / ٢٥١، الدر المنثور للسيوطي ٨ / ١٢)

(٤) (ينظر: النكت والعيون للماوردي ٥ / ٤٥٣، تفسير القرآن للسمعاني ٥ / ٣٤٧، الكشاف للزخشري ٤ / ٤٥٩، تفسير القرآن للعز بن عبدالسلام ٣ / ٢٧٥)

(٥) (ينظر: تنوير المقباس من تفسير بن عباس للفيروزآبادي ١ / ٤٥٤، تفسير البغوي ٤ / ٢٨٢)



مخضود يعني الذي لا شوك له كسدر أهل الدنيا<sup>(١)</sup>، وقيل الموقر الذي تثني أغصانه كثرة حمله، من خضد الغصن إذا أثناه<sup>(٢)</sup>، وعمم بعضهم فقال هو الذي لا أذى فيه<sup>(٣)</sup>، "وقيل لا عجم لنبقه<sup>(٤)</sup>"، والعجم مثل نوى التمر وهو الحبة في داخل الثمرة.

ولشجر السدر مكانة في نفوس العرب حيث ينتشر في بلادهم وهي موطنه الأصلي، ويعد من أنواع الفواكه المحببة لديهم، وينتفعون به في الإستدواء بجميع أجزائه وفيه منافع كثيرة، حتى أصبحت الشجرة الصديقة التي لا يستغني عنها الإنسان، لذا ابتداء الحق سبحانه بذكرها في نعيم أصحاب اليمين، والبدء بها دليل أهميتها ومكانتها في نفوس العرب ترغيباً لهم بالبدء بما يحبونه واستمالة لهم بذكر ما يألفونه وينتفعون به "ولأن ثمره أشهى الثمر إلى النفوس طعماً وألذه ريحاً<sup>(٥)</sup>".

ومع منافعها التي لا تنحصر الظل الذي لا يستغني عنه الإنسان، ولذلك ذكره الله بعد ذكرها وذكر الطلح، والسياق يحتمل ذلك، "ثم إن الذي يقتضيه النظم الجليل كما قال الطيبي : حمل ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ ﴿٢٨﴾ الخ على معنى التظليل وتكاثف الأشجار على سبيل الترتي لأن الفواكه مستغنى عنها بعد وليقابل قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ ﴿٤١﴾ في سُمُورٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾" <sup>(٦)</sup>.

ويلاحظ ابتداء وصف نعيمهم بالظرف المكاني ( في ) الذي صدر به وصف نعيم السابقين استغراقاً لوصف حالهم والإلماح إلى مكان نعيمهم وأن السدر وبما وصف من خضد لا يكون إلا في الجنة، وأنهم داخل ذلك النعيم محيط بهم في أنعم ما يكونون.

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٤، المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٢٤٣، البحر المحيط لأبي حيان ٨/٢٠٦،

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٤٨٩

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري ٢٧/١٨٠، بحر العلوم للسمرقندي ٣/٣٧١، البحر المحيط لأبي حيان ٨/٢٠٦

(٣) الكشف والبيان للثعلبي (٩/٢٠٦)

(٤) النكت والعيون للماوردي (٥/٤٥٣)

(٥) النكت والعيون للماوردي (٥/٤٥٣)

(٦) روح المعاني للألوسي (٢٧/١٤١)

"ولأهل تحرير النظر هنا إشارة في ان هذا الخضد بإزاء اعمالهم التي أسلموا منها إذ أهل اليمين توابون لهم سلام وليسوا بسابقين<sup>(١)</sup>"، وهم وإن صح أن منزلتهم أقل من السابقين بسبب ذنوبهم التي ضعفوا أمامها إلا أن لهم أعمالا صالحة غلبت على سيئاتهم وكانت سببا في توفيقهم للتوبة وقبولها ودخولهم الجنة بفضل رهم عليهم.

ولم يذكر هنا مكان نعيمهم كما ذكره للسابقين عندما قال سبحانه ﴿ فِي جَنَّاتٍ أَلْتَعِيمِ ﴾ اكتفاءً بذكره هناك، وفي ذكر السدر إلماح إليه ودلالة ظاهرة، وليلدل على أن الجميع منعمون بتنوع كمال لا نقص، "فما أعطي لأصحاب اليمين ليس مخالفا لأنواع ما أعطي للسابقين وما أعطي للسابقين ليس مخالفا لما أعطي أصحاب اليمين فإن الظل والماء المسكوب وكون أزواجهم عربا أترابا لم يذكر مثله للسابقين وهو ثابت لهم لا محالة إذ لا يقصرون عن أصحاب اليمين، وكذلك ما ذكر للسابقين من الولدان وأكوابهم وأباريقهم ولحم الطير وكون أزواجهم حورا عينا وأنهم لا يسمعون إلا قليلا سلاما سلاما، لم يذكر مثله لأصحاب اليمين مع أن لأهل الجنة ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين...فليس المقصود توزيع النعيم ولا قصره ولكن المقصود تعداده والتشويق إليه مع أنه قد علم أن السابقين أعلى مقاما من أصحاب اليمين بمقتضى السياق، وقد أشار إلى تفاوت المقامين أنه ذكر في نعيم السابقين أنه جزاء بما كانوا يعملون ولم يذكر مثله في نعيم أصحاب اليمين وجماع الغرض من ذلك التنويه بكلا الفريقين<sup>(٢)</sup>"، وهذا يخالف ما عليه أكثر العلماء من أن التنوع تنوع فضل لا تنوع تنويه وذكر.

كما أن في البدء بذكر السدر دون غيره من الأشجار إشارة إلى أن كل ما يخطر في البال موفور للمؤمنين في الجنة باختلاف الأنواع والأشكال والألوان فلا يخشون فواته بسبب موتهم وانتقالهم للدار الآخرة وذلك "أن البليغ يذكر طرفي أمرين ، يتضمن ذكرهما الإشارة إلى جميع ما بينهما ، كما يقال : فلان ملك الشرق والغرب ، ويفهم منه أنه ملكهما وملك ما بينهما ، ويقال : فلان أرضى الصغير والكبير ، ويفهم منه أنه أرضى كل أحد إلى غير ذلك، فنقول : لا خفاء في أن تزين المواضع التي يتفرج فيها بالأشجار ، وتلك الأشجار تارة يطلب منها نفس

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٥/٢٤٤-٢٤٣)

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٠٣/٢٧) بتصرف

الورق والنظر إليه والاستظلال به ، وتارة يقصد إلى ثمارها ، وتارة يجمع بينهما، لكن الأشجار أوراقها على أقسام كثيرة ، ويجمعها نوعان : أوراق صغار ، وأوراق كبار، والسدر في غاية الصغر، والطلح وهو شجر الموز في غاية الكبر، فقله تعالى: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۖ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۖ ﴾ (٢٩) إشارة إلى ما يكون ورقه في غاية الصغر من الأشجار، وإلى ما يكون ورقه في غاية الكبر منها، فوعدت الإشارة إلى الطرفين جامعة لجميع الأشجار نظرا إلى أوراقها، والورق أحد مقاصد الشجر<sup>(١)</sup>.

"ولما عبر عنهم بما أفهم أنهم أولو القوة والجد في الأعمال، والبركة في جميع الأحوال، ذكر عيشهم بادئا بالفاكهة لأن عيش الجنة كله تفكه، ذاكرا منها ما ينبت في بلاد العرب من غير كلفة بغرس ولا خدمة..... وفي ذكر هذا تنبيه على أن كل ما لا نفع فيه أو فيه نوع أذى له في الجنة وجود كريم لأن الجنة إنما خلقت للنعيم<sup>(٢)</sup>".

وقد ذكر الخضد كوصف للسدر بيانا لكمال نعيم أصحاب اليمين في الجنة وأنه ليس فيه ما يؤذي، "فوصف بالمخضود، أي المزال شوكة قد كملت محاسنه بانتفاء ما فيه من أذى<sup>(٣)</sup>".

"ولما كان السدر من شجر البادية وكان محبوبا للعرب ولم يكونوا مستطيعين أن يجعلوا منه في جناتهم وحوائطهم لأنه لا يعيش إلا في البادية فلا ينبت في جناتهم خص بالذكر من بين شجر الجنة إغرابا به وبمحاسنه التي كان محروما منها من لا يسكن البوادي وبوفرة ظله وتهدل أغصانه ونكهة ثمره<sup>(٤)</sup>".

ولما ذكر السدر كنوع من أنواع شجر الجنة ذكر نوعا آخر مما تحبه النفوس وتتمناه وهو الطلح فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۖ ﴾ (٢٩)

وطلح بالحاء ، وروي بالعين قراءة عن علي : { وطلع } ، مستدلا بالآية الأخرى :

(١) التفسير الكبير للرازي (١٤٢/٢٩)

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٤٠٨/٧-٤٠٩)

(٣) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٢٩٩/٢٧) بتصرف يسير

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٩٩/٢٧)

﴿ طَلَعَهَا هَظِيمٌ ﴾ (١) وبقوله ﴿ هَا طَلَعُ نَظِيدٌ ﴾ (٢) "فعلى هذا يكون من صفة السدر فكأنه وصفه بأنه مخضود وهو الذي لاشوك له وأن طلعه منضود وهو كثرة ثمرة (٣)"، وذكر الرازي أنه لا يكون إلا بالحاء وليس بالعين، وأن عليا رضي الله عنه رجح عن قوله بقراءة العين لما قيل له في المصاحف بالحاء (٤)، وهو الصواب لموافقته المصاحف وهي القراءة المشتهرة. ونقل الآلوسي (٥) في تفسيره القول بتضعيف الرواية حيث قال: "وهي رواية غير صحيحة كما نبه على ذلك الطيبي وكيف يقر أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه تحريفا في كتاب الله تعالى المتداول بين الناس أو كيف يظن بأن نقلة القرآن ورواته وكتابه من قبل تعمدوا ذلك أو غفلوا عنه هذا والله تعالى قد تكفل بحفظه سبحانه هذا بهتان عظيم (٦)".

وذهب أكثر أهل التأويل إلى أن الطلح هو شجر الموز، واحدها طلحة (٧)، وقيل شجر عظام كبار الشوك، وقيل إنه شجر العضاة وهو أكثر شجر العرب له منظر حسن (٨).

"فالطلح : شجر من شجر العضاة واحده طلحة ، وهو من شجر الحجاز ينبت في بطون الأودية ، شديد الطول ، غليظ الساق . من أصلب شجر العضاة عودا ، وأغصانه طوال عظام شديدة الارتفاع في الجو ولها شوك كثير قليلة الورق شديدة الخضرة كثيرة الظل من التفاف

(١) سورة الشعراء، آية: (١٤٨).

(٢) سورة ق، آية: (١٠)

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٩/٤)

(٤) (ينظر: جامع البيان للطبري ١٨٠/٢٧، الكشاف للزمخشري ٤/٤٥٩، التفسير الكبير للرازي ١٤٣/٢٩)

(٥) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو التناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، من كتبه (روح المعاني) في التفسير، و(نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول) رحلته إلى الآستانة، و(نشوة المدام في العود إلى دار السلام)، توفي سنة ١٢٧٠هـ. الأعلام للزركلي (١٧٦/٧).

(٦) روح المعاني للآلوسي (١٤١/٢٧)

(٧) (ينظر: تفسير القرآن للصنعاني ٣/٢٧٠، جامع البيان للطبري ١٨١/٢٧، تفسير البغوي ٤/٢٨٢، المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٢٤٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢٠٨، لباب التأويل للخازن ٧/١٧، فتح القدير للشوكاني ٥/١٥٢)

(٨) (ينظر: تفسير القرآن للسمعاني ٥/٣٤٩، تفسير البغوي ٤/٢٨٢، المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٢٤٤، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٨/٣٩٦)

أغصانها ، وصمغها جيد وشوكها أقل الشوك أذى ، ولها نور طيب الرائحة ، وتسمى هذه الشجرة أم غيلان ، وتسمى في صفاقس غيلان وفي أحواز تونس تسمى مسك صنادق<sup>(١)</sup> . والمنضود يعني المترابك بعضه فوق بعض ، نضد بعضه إلى بعض وجمع بعضه إلى بعض<sup>(٢)</sup> ، وقيل : نضد بالحمل من أوله إلى آخره فليست له سوق بارزة<sup>(٣)</sup> .

وشوك الطلح أقل الشوك أذى ، فيتناسب ذكره بعد السدر الذي خضد شوكة ، وكما سبق فهو من شجر البوادي فتناسب السياق .

والطلح من الأشجار ذي الأوراق الكبيرة وجاء ذكره بعد السدر ذي الأوراق الصغيرة بلاغة في ذكر طرفي الأمرين للإشارة إلى وجود ما بينهما من سائر الأشجار المختلفة الأنواع ، وقد أشار إلى تلك الحكمة الرازي وسبق ذكره في الآية السابقة .

والطلح من الشجر ذي الظلال والأوراق الخضرة مثله مثل السدر ولذلك أتبعه بالذكر ، وأسبق به ما بعده ليذكر بعده نعمة الظلال الذي هو من منافعه .

وعطف بالواو لينبه إلى تعداد النعيم وتنوعه ، فهو نعيم ونعيم ، وكل نعيم ليس كغيره من جميع الوجوه ، وليدل على أنهم مستغرقون في التلذذ بنعيم الطلح كاستغراقهم بنعيم السدر الذي دل عليه الظرف المكاني ( في ) والتقدير : في نعيم سدر مخضود وفي نعيم طلح منضود .

"فإن قيل ما الفائدة في الطلح : فالجواب أن له نورا وريحا طيبة فقد وعدهم ما يعرفون ويميلون إليه وإن لم يقع التساوي بينه وبين ما في الدنيا"<sup>(٤)</sup> .

والطلح من الأشجار التي تحتاج لكثرة الماء فقابله بالسدر الذي يتحمل الجفاف والعطش ، يقول البقاعي : "ولما ذكر ما يطلع في الجبال والأماكن المعطشة والرمال ، أتبعه ما لا يطلع إلا

على المياه دلالة على أن أماكنهم في غاية السهولة والري فقال : ﴿ وَطَلِحَ مَنضُودٍ ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٢٧/٢٩٩)

(٢) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٤ ، جامع البيان للطبري ٢٧/١٨٢ ، المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٢٤٤

(٣) ينظر : الوجيز للواحدي ٢/١٠٦٠ ، تفسير القرآن للسمعاني ٥/٣٤٩ ، لباب التأويل للخازن ٧/١٨ ، غرائب القرآن للنيسابوري ٦/٢٤١ ، فتح القدير للشوكاني ٥/١٥٢

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٨/١٤٠)

(٥) نظم الدرر للبقاعي (٧/٢٩٠)

وبعد ذكر أشجار السدر والطلح وهي مما كان يستظل بظلها في الدنيا ذكر الظل الذي هو من النعم التي يتنعم بها أهل الدنيا وهو في الجنة ولكنه أنعم، يقول الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿وَزَلَّ مَمْدُودٌ ۝٣٠﴾

الممدود كل ما لا انقطاع له، فالظل الممدود هو الدائم الذي لا تنسخه الشمس فلا يزول كمثل ما يزول الظل في الدنيا، وذكر أكثر أهل التأويل عند هذه الآية الكريمة أحاديث يذكر فيها طول امتداد أشجار الجنة وأن من شجر الجنة ما يبلغ طولها سبعون عاما وأكثر الروايات على أن طولها مئة عام<sup>(١)</sup>، وقيل مسيرة سبعين الف سنة<sup>(٢)</sup>، وقيل خمسمئة ألف سنة<sup>(٣)</sup>، ويحتمل ذلك كله وأن شجر الجنة منه ما هو الطويل امتدادا ومنه ما هو أطول، ولا يلزم أن يكون الظل في الجنة ظل أشجارها كما قال بعض أهل التأويل، فقد ورد ذكر ظل عرش الرحمن في الموقف، وذكر بعض أهل التأويل أن المراد هنا هو ظل العرش<sup>(٤)</sup>، وقيل هو ظل يخلقه الله<sup>(٥)</sup>، ولم أقف على دليل يؤيد ذلك التخصيص، وعلى هذا فيكون القول بذلك محتملا حتى يظهر دليل يؤكده، ووصف الظل الممدود فقيل هو الثابت والنام<sup>(٦)</sup>، ووصفه بعضهم بقوله: كما بين الإسفار إلى طلوع الشمس، وقيل: أن ساعات الجنة تشبه الغداة الباردة في الصيف<sup>(٧)</sup>.

وعلى ما سبق فقد يكون المقصود بالممدود المد المكاني أو الزماني، كما ذكر ذلك الرازي وقال عن الزماني: يحتمل أن يكون المقصود ممدود زمانا لا مكانا أي لا زوال له فهو دائم،

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٤، تفسير القرآن للصنعاني ٣/٢٧٠، جامع البيان للطبري ٢٧/١٨٣-١٨٤.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي (٢٠٧/٩)

(٣) جامع البيان للطبري (١٨٢/٢٧)

(٤) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي ٩/٢٠٧، الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢٠٩

(٥) التفسير الكبير للرازي (١٦٥/٢٩)

(٦) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٥/٤٥٤، الوجيز للواحدي ٢/١٠٦٠

(٧) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني ٥/٣٤٩، الكشاف للزخشري ٤/٤٥٩، إرشاد العقل السليم لأبي السعود

واستدل بقوله جل وعلا ﴿ أَكُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۖ ﴾<sup>(١)</sup> واستدل غيره بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾<sup>(٢)</sup>، ولا مانع من اشتمال الآية على المعنيين<sup>(٤)</sup>، والقرآن حمال ذو معان متعددة، فيأتي اللفظ وهو يشمل معان كثيرة تظهر دائما لأهل السير عبر الأزمنة والسنين إظهارا لإعجازه المنقطع النظير.

وقد يكون معنى الامتداد بحسب رغبة المؤمن في الجنة فيوافق هواه ويمتد كلما أراد امتداده وحيثما شاء وكيفما شاء، وهو مأخوذ من كمال نعيمهم الموصوف في الآيات والحديث من سرر مرفوعة تنزل لهم ليرتفعوا عليها، وقطوف دانية تدنوا منهم كلما ارادوها، وطيور تقع في موائدهم كلما اشتهوها وكيفما أرادوا، كما أنه مأخوذ من معنى اللفظ فالمد فيه معنى الليونة والمرونة ولا يقال في حق الجوامد والله أعلم بحقائق كلامه المجيد.

أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرأوا إن شئتم ﴿ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴾"<sup>(٥)</sup>.

والحديث يرد على من قال بأن الظل في الجنة ليس ظل شجرها<sup>(٦)</sup>، وذهب بعض أهل التأويل<sup>(٧)</sup> إلى القول بأن المراد ظل أشجار الجنة حينما جاء ذكره عقب ذكرها "فظاهر الآثار يقتضي أنه ظل الأشجار"<sup>(٨)</sup>، "فهو ظل حاصل من التفاف أشجار الجنة وكثرة أوراقها"<sup>(٩)</sup>.

(١) سورة الرعد، آية: (٣٥)

(٢) سورة الفرقان، آية: (٤٥)

(٣) (ينظر: التفسير الكبير للرازي ١٦٥/٢٩)، تفسير القرآن للعز بن عبدالسلام ٢٧٦/٣، الجامع لأحكام القرآن

للقرطبي ٢٠٩/١٧، لباب التأويل للخازن ١٨/٧، فتح القدير للشوكاني ١٥٢/٥)

(٤) نظم الدرر للبقاعي (٤٠٩/٧)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم: (٣٢٥٢)، (٤/

١١٩).

(٦) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٩٩/١٨)

(٧) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٢٩٩/٢٧)

(٨) روح المعاني للآلوسي (١٤٠/٢٧)

(٩) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٢٩٩/٢٧)

وبعد أن ذكر أنواع الأشجار الخضرة التي يكون منها الثمر والظلال ناسب ذكر الظل استدلالاً على كثرة وتقارب تلك الأشجار حتى امتد الظل فلا ينقطع لكثرتها وانتشارها، قال مجاهد هذا الظل هو من طلحها وسدرها<sup>(١)</sup>، كما انه لما ساق من النعيم ما يناسب أهل البادية وأشجارها، ومعلوم ما في البادية وخاصة الجزيرة العربية من حرارة وقيظ، وشغف أهلها بالظلال الذي كان يعتمد عليه كثيراً في أعمالهم المتنوعة ومنها رعي أنعامهم، وتقاس عليه أوقاتهم في ذهابهم ومجيئهم وراحتهم ونومهم نهاراً ومواعيدهم ونحو ذلك، ناسب ذكر الظلال تناسقاً في سياق اللفظ الكريم، يقول البقاعي: "ولما ذكر ما لا يكون إلا في البلاد الحارة قال: ﴿وِظَلِّ مَمْدُودٍ﴾<sup>(٢)</sup>".

ولسائل يسأل فيقول هل أهل الجنة بحاجة للظل؟ ومم يستظلون؟ ويقال جواباً: أن النفس البشرية مقياس الأشياء لديها المشاهد ثم المسموع، ولأن الظل من النعم التي يتمتع بها الإنسان في دنياه ذكرها المولى وجعله من نعيم الجنة وليس له من الشبه إلا المسمى، ولينوه إلى أن في الجنة كل ما يتمناه المرء حتى الظلال وهو في الجنة نعيم زيادة لا حاجة، ويقال في الواو العاطفة ما قيل في الآية السابقة من الإستغراق في النعيم وتنوعه.

#### وصف بلاغي في الآيات السابقة:

في الآيات الكريمات: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾<sup>(٢٨)</sup> ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾<sup>(٢٩)</sup> ﴿وِظَلِّ مَمْدُودٍ﴾<sup>(٣٠)</sup> قال بعض المغاربة سورة الواقعة من نوع الترصيع، وتتبع آخر آياتها يدل على أن فيها موازنة، قالوا وأحسن السجع ما تساوت قرائنه ليكون شبيهاً بالشعر فإن آياته متساوية كقوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾<sup>(٢٨)</sup> ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾<sup>(٢٩)</sup> ﴿وِظَلِّ مَمْدُودٍ﴾<sup>(٣٠)</sup> وعلمته أن السجع ألف الانتهاء إلى غاية في الخفة بالأولى فإذا زيد عليها ثقل عنه الزائد لأنه يكون عند وصولها إلى مقدار الأول كمن توقع الظفر بمقصوده<sup>(٣)</sup>.

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٢٤٤/٥)

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٢٩٠/٧)

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٧٧/١). ومثله في الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢٨٠/٣).



وبعد ذكر تمتعهم بنعيم النظر للخضرة ونعيم الإستغلال ذكر شهوة المشرب والمأكل فبدأ بالأسهل وهو الماء يقول الحق سبحانه بعد ذلك:

### ﴿ وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ ﴾ (٣١)

وصف الماء بأنه مسكوب وفيه إشارة إلى الكثرة<sup>(١)</sup>، وفسر بأنه في غير أخدود<sup>(٢)</sup>، وأنه ينصب عليهم من علو<sup>(٣)</sup>، "وأصل السكب الصب يقال: سكب سكباً والسكوب انصبابه يقال: سكب سكباً وانسكب انسكاباً أي وماء مصبوب يجري الليل والنهار في غير أخدود لا ينقطع عنهم<sup>(٤)</sup>".

"فلما كان ما ذكر من الري لا يستلزم الجري قال: ﴿ وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ ﴾ أي جار في منازلهم من غير أخدود ولا يحتاجون فيه إلى جلب من الأماكن البعيدة، ولا الإدلاء في بئر كما لأهل البوادي<sup>(٥)</sup>".

وفي بناء الفعل لما لم يسم فاعله في السكب إشارة إلى كمال النعيم بتوفر الماء من غير عناء الطلب والجلب والبحث عنه كما هو الحال في الدنيا فقد يترك الإنسان ما أحب من أرض وغيرها طلباً للماء وقد يهلك في البحث عنه.

والبادية من أكثر الأماكن جفافاً وحرارة، فبعد أن ذكر المولى سبحانه أشجار السدر والطلح التي تكثر فيها وكانت منفعتها لا يستغني عنها صاحب البادية بحال، ثم ذكر الظلال التي يقصدها الإنسان طلباً للراحة والتلطف جاء ذكر الماء الذي هو غاية النعيم، وبه حياة الأحياء، يقول سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾<sup>(٦)</sup>، وأشار إلى توفر الماء وكثرته بلفظ السكب الذي يحمل معنى الوفرة وأنه لا ينقطع والذي ليس فيه عناء البحث والطلب

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٣١٤).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٧/١٨٤).

(٣) تفسير القرآن للسمعاني (٥/٣٤٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/٢٠٩).

(٥) نظم الدرر للبقاعي (٧/٢٠٦).

(٦) سورة الأنبياء، آية: (٣٠).

والشرب، "وكانت العرب أصحاب بادية وبلاد حارة وكانت الأنهار في بلادهم عزيزة لا يصلون إلى الماء إلا بالدلو والرشاء فوعدوا في الجنة خلاف ذلك ووصف لهم أسباب النزهة المعروفة في الدنيا وهي الأشجار وظلالها والمياه والأنهار واطرادها"<sup>(١)</sup>

ويقال في الواو العاطفة ما قيل في الآيات السابقات من الاستغراق في النعيم وتنوعه وتعددده.

وتعدادا لأنواع النعيم الذي لأصحاب اليمين ذكر الفاكهة بعد الماء المسكوب تدرجا من المشروب للمأكل فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

وصف المولى سبحانه الفاكهة بالكثرة في أكثر من آية، قال سبحانه: ﴿ مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾<sup>(٣)</sup> ، قيل: يعني ألوان الفاكهة كثيرة<sup>(٤)</sup>، يقول الرازي: "فالفاكهة ذكرها الله تعالى ووصفها بالكثرة صريحا وذكرها منكورة، لتحمل على أنها موصوفة بالكثرة اللائقة بالنعمة في النوع الواحد منها"<sup>(٥)</sup> فلفظ الكثرة يدل على أنها "ليست بالقليلة العزيزة كما كانت في بلادهم"<sup>(٦)</sup> وأنها كثيرة الأنواع والأجناس بحسبها على ما يقتضيه المقام<sup>(٧)</sup>. "وقرىء: وفاكهة كثيرة برفعهما ، أي وهناك فاكهة"<sup>(٨)</sup>.

ووصف الفاكهة هنا بالكثرة وبسلامتها من العيوب التي كانت تعترئها في الدنيا من قطع

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠٩/١٧)

(٢) سورة ص، آية: (٥١)

(٣) سورة الزخرف، آية: (٧٣)

(٤) بحر العلوم للسمرقندي (٣٧٢/٣)

(٥) التفسير الكبير للرازي (٩٤/٢٩)

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٠/١٧)

(٧) ينظر: تفسير البيضاوي ٢٨٧/٥، روح المعاني للألوسي (١٤١/٢٧)

(٨) البحر المحيط لأبي حيان (٢٠٦/٨)

أو منع، ووصفها للسابقين على صفة التخيير، وهو يوافق ويدل على تناسق تتابع هذه السورة الكريمة بعد سورة الرحمن جل ثناؤه، حيث ذكر في سورة الرحمن توفر الفاكهة من كل نوع في الجنتين العاليتين للمحسنين السابقين والتي قال عنهما الحق سبحانه: ﴿وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (١) فقال عن فاكهة هاتين الجنتين ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ (٢) فهو تعدد نوع أي من كل نوع وجنس، والعموم بلفظ: كل بعد التبعض بمن يفيد الشمول، يعني من كل فاكهة خلقها الله عرفها ابن آدم أم لم يعرفها، وهذا الوصف يناسب تميز أصحاب الجنتين وهم السابقون الذين ذكرهم الله في هذه السورة الكريمة وقد وصفهم سبحانه في سورة الرحمن بأعلى مراتب وصف الارتباط به ألا وهي مرتبة الإحسان فقال سبحانه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (٣) ، وأما الجنتان اللتان دون الجنتين السابقتين والتي قال عنهما الحق سبحانه: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ﴾ (٤) فقال عن فاكهتهما ﴿فِيهِمَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (٥) .

"ولما ذكر الأشجار التي يطلب منها ورقها ذكر بعدها الأشجار التي يقصد ثمرها، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ما الحكمة في تقديم الأشجار المورقة على غير المورقة؟ نقول: هي ظاهرة، وهو أنه قدم الورق على الشجر على طريقة الارتقاء من نعمة إلى ذكر نعمة فوقها، والفواكه أتم نعمة.

المسألة الثانية: ما الحكمة في ذكر الأشجار المورقة بأنفسها، وذكر أشجار الفواكه بثمارها؟ نقول: هي أيضا ظاهرة، فإن الأوراق حسنها عند كونها على الشجر، وأما الثمار فهي في

(١) سورة الرحمن آية: (٤٦)

(٢) سورة الرحمن آية: (٥٢)

(٣) سورة الرحمن آية: (٦٠)

(٤) سورة الرحمن آية: (٦٢)

(٥) سورة الرحمن آية: (٦٨)

أنفسها مطلوبة سواء كانت عليها أو مقطوعة ، ولهذا صارت الفواكه لها أسماء بما تعرف أشجارها ، فيقال : شجر التين وورقه<sup>(١)</sup> .

"وفي ذكر الفاكهة بعد ذكر الأشجار انتقال من نعمة إلى نعمة<sup>(٢)</sup>" ، ويقال في الواو العاطفة ما قيل في الآيات السابقات من الإستغراق في النعيم وتنوعه وتعددده .

واستغراقا في وصف نعيمهم الذي تنتهي عنده الممنوعات والمحرمات والمنغصات التي كانت في الدنيا نفى عن تلذذهم بفاكهتهم أي منغص أو مكدر فقال في شأنها الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝ ٣٣ ﴾

أي لا تنقطع عنهم في كل حين ووقت من الأوقات كما تنقطع في الدنيا باختلاف الظروف والفصول من قلة الماء أو اختلاف الأرض الصالحة ونحو ذلك مما يخص المكان وظروفه، وكذا ما يخص اختلاف الزمان بين صيف وشتاء، كما لا يمنعهم منها مانع ولا يحول بينهم وبينها حائل كما تمتنع فواكه الدنيا ببعدها عن المنال بسبب عدم ملكيتها وعدم توفر ثمنها أو بسبب بعدها عن متناول اليد أو بسبب الشوك ونحوه، ولكن إذا اشتهاها الواحد منهم وقعت في فيه أو دنت منه حتى يأخذها، وقد ذكر الكرم سبحانه قريبا ودنوها بقوله سبحانه: ﴿ وَذَلَّلْتَ قُطُوفَهَا نَذِيلًا ۝ ١٤ ﴾<sup>(٣)</sup> فهي فاكهة كثيرة لامقموعة بالأزمان ولا بالفناء، ولا ممنوعة بالأثمان ولا بالفساد، ولا محظور عليها كما يحظر على بساتين الدنيا ولا تنقطع ابدا<sup>(٤)</sup> .

وفي نفى المنع معنى زائد وهو جاهزيتها للأكل عند اشتهاؤها وذلك زيادة في النعيم، فلا

(١) التفسير الكبير للرازي ( ١٦٦/٢٩ ) .

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ( ٣٩٩/١٨ )

(٣) سورة الإنسان ، آية: ( ١٤ )

(٤) (ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٤، جامع البيان للطبري ٢٧/١٨٥، بحر العلوم للسمرقندي ٣/٣٧٢،

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢١٠، الكشف والبيان للثعلبي ٩/٣٧٢، حاشية محيي الدين شيخ زاده القوجوي

على تفسير البيضاوي ٨/٨٤، زاد المسير لابن الجوزي ٨/١٤١، النكت والعيون للماوردي ٥/٤٥٤)

يحصل لهم أدنى مانع منها كفسادها أو فساد بعضها أو وجود قشرتها وعجمها ونحو ما يمنع أو ينغص كمال نعيم التفكه بها كما في الدنيا.

وفي حكمة تقديم القطع على المنع في الآية الكريمة "لأن القطع للموجود والمنع بعد الوجود لأنها توجد أولاً ثم تمنع فإن لم تكن موجودة لا تكون ممنوعة محفوظة فقال : لا تقطع فتوجد أبداً ثم إن ذلك الموجود لا يمنع من أحد<sup>(١)</sup>".

والإشارة إلى كمال التنعم بالفاكهة كنوع من أنواع النعيم المتنوعة في الجنة هو إشارة الجزء إلى الكل، فتكون الجنة وما فيها من نعيم ليس كنعيم الدنيا الناقص المنغص أبداً وليس فيها من

الشبه بنعيم الدنيا إلا الأسماء كما ذكر سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي

رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾<sup>(٢)</sup> والفاكهة "لما كانت لا تكون عندنا إلا في أوقات

يسيرة ، بين أن أمر الجنة على غير ذلك فقال : ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ ولما كانت في الدنيا قد يعز

التوصل إليها مع وجودها لشيء من الأشياء أقله صعود الشجرة أو التحجز بجدار أو غيره قال

: ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾<sup>(٣)</sup> .

وفي وصف الفاكهة بعدم المنع في الجنة إشارة لحال الفقراء الذين منعوا عنها في الدنيا، وأن

الممنوعين عنها في الدنيا سينالونها في الآخرة وأنهم أكثر أهلها كما صح بذلك الآثار عن

الرسول ﷺ: ((اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء...))<sup>(٤)</sup>.

فوصف الفاكهة "وصفا بانتفاء ضد المطلوب إذ المطلوب أنها دائمة مبذولة لهم . والنفي هنا

أوقع من الإثبات لأنه بمنزلة وصف وتوكيده، وهم لا يصفون بالنفي إلا مع التكرير بالعطف

(١) التفسير الكبير للرازي (١٦٦/٢٩)

(٢) سورة البقرة ، آية: (٢٥)

(٣) نظم الدرر للبقاعي (٢٠٦/٧)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم: (٣٢٤١)،

(١١٧/٤).

كقوله تعالى: ﴿ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾<sup>(١)</sup>... وجمع بين الوصفين لأن فاكهة الدنيا لا تخلو من أحد ضدي هذين الوصفين فإن أصحابها يمنعوها فإن لم يمنعوها فإن لها إباناً تنقطع فيه<sup>(٢)</sup>، فنفي النقص من قطع ومنع دليل كمال النعيم وأنه ليس في الجنة ممنوع أو محروم، وفيه الإشارة إلى تعويض حرمانهم الذي كانوا عليه في الدنيا.

كما أن في ذكر القطع والمنع إشارة إلى الأغنياء والفقراء ممن يدخلون الجنة، فالأغنياء قد يشتهون فاكهة ويحول بينهم وبينها عدم توفرها، والفقراء قد يشتهون فاكهة ويحول بينهم وبينها عدم امتلاك ثمنها.

ولأن نعيم السابقين اشتمل على نفي للنقص يناسب حالهم وسبقهم بقوله: (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا<sup>(٣٥)</sup>)، فقد نفى عن نعيم أصحاب اليمين النقص بما يناسب حالهم وأعمالهم فنفي النقص عن فاكهتهم.

وبعد أن ذكر تنعم أصحاب اليمين بفاكهة الجنة وثمارها ناسب ذكر كمال التفكه بها وهم منعمون بالجلوس على فرشهم أو مع نسائهم فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

### ﴿ وَفَرَشِ مَرْفُوعَةٍ<sup>(٣٤)</sup> ﴾

ذكر أهل التأويل في الفرش معنيين بارزين:

الأول: أنها الفرش على معناها الحقيقي، جمع فراش وهو ما يفترش به للجلوس والنوم والراحة عليه، قيل ويؤيده تأكيده بوصف من يضاجع فيها، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴾ إشارة إلى الحور العين، ونعتها بالمرفوعة المكان على السرر والأرائك للرقود والمضاجعة، فهي إما فرش مرفوعة أي: نفسها مرتفعة في منازلها، أو مرفوعة فوق الأرائك والسرر<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة النور، آية: (٣٥).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٢٧/٣٠٠).

(٣) (ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٤، جامع البيان للطبري ٢٧/١٨٥، بحر العلوم للسمرقندي ٣/٣٧٢، تفسير القرآن العزيز لابن زمين ٤/٣٣٩، الكشف والبيان للثعلبي ٩/٢٠٩، الوجيز للواحي ٢/١٠٦١، تفسير القرآن ↵=

وقيل "مرفوعة أي مقربة لهم ومنه قولهم: رفعته إلى السلطان، أي قربته منه، والمصدر الرفعان بالضم<sup>(١)</sup>".

الثاني: أن المراد بالفرش المعنى غير الحقيقي وهي كناية عن الحور العين التي لم يرد ذكرهن وإنما جاء التعريض بهن في الآية بعدها بقوله ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْسَاءً ﴾<sup>(٣٥)</sup> من باب الإستعارة، والعرب تصف النساء بالفرش واللباس والإزار<sup>(٢)</sup>، "فيكنى بالفرش عن المرأة"<sup>(٣)</sup>، "يقال: سماهن فرشا؛ لأنهن على الفرش، فكنى بالفرش عنهن"<sup>(٤)</sup>.

قيل: "أراد والله اعلم وذوات فرش مرفوعة والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْسَاءً ﴾<sup>(٣٥)</sup> ﴿ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴾<sup>(٣٦)</sup> ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ أراد انا أنشأنا ذوات الفرش المرفوعة التي تقدم ذكرها<sup>(٥)</sup>" ويكون النعت بالمرفوعة نعت منزلة ومكانة، فقيل رفعن بالجمال والفضل والكمال على نساء أهل الدنيا، والعرب تسمي كل فاضل رفيعا<sup>(٦)</sup>، وقيل يحتمل وجهين: أحدهما: مرفوعات في القلوب لشدة الميل إليهن. الثاني: مرفوعات عن الفواحش والأدناس<sup>(٧)</sup>.

للمعاني ٣٥٠/٥، تفسير البغوي ٢٨٣/٤، الكشاف للزنجشري ٤٥٩/٤، زاد المسير لابن الجوزي ١٤١/٨، التفسير، التسهيل لعلوم التنزيل للكلي ٨٩/٤، البحر المحيط لأبي حيان ٢٠٦/٨، تفسير الجلالين لجلالي الدين المحلى والسيوطي ٧١٥/١، روح المعاني للألوسي ١٤١/٢٧

(١) (ينظر: جمهرة اللغة لأبي بكر بن دريد ٧٦٥/٢، معجم مقاييس اللغة لابي فارس ٢٢٤/٢، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ١٢٠/٢، لسان العرب لابن منظور ١٢٩/٨، مختار الصحاح لأبي بكر الرازي ١٠٥/١، القاموس المحيط للفيروزآبادي ٩٣٣/١).

(٢) (ينظر: النكت والعيون للماوردي ٤٥٤/٥، تفسير القرآن للسمعاني ٣٥٠/٥، تفسير البغوي ٢٨٣/٤، الكشاف للزنجشري ٤٥٩/٤، زاد المسير لابن الجوزي ١٤١/٨، البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٨١/٢، فتح القدير للشوكاني ١٥٣/٥).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٣٢٧/٦).

(٤) تفسير القرآن للسمعاني (٣٥٠/٥).

(٥) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي لابي منصور محمد بن أحمد الازهري الهروي (٣٣٦-٣٣٧).

(٦) (ينظر: الكشف والبيان للثعلبي ٣٣٧/٩، تفسير القرآن للسمعاني ٣٥٠/٥).

(٧) (ينظر: النكت والعيون للماوردي ٤٥٤/٥، زاد المسير لابن الجوزي ١٤١/٨).

والمعنى الأول أوفق لما ذكر في سورة الغاشية في قوله سبحانه: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ ﴾ (١٣) ﴿ (١) حيث صرح بالسرر ووصفها بنفس وصف الفرش هنا على أنها مرفوعة، والقرآن الكريم يصدق بعضه بعضا ويعضد بعضه بعضا في البيان والتأكيد، "فيجوز أن يراد بالفرش الأسرة من تسمية الشيء باسم ما يحل فيه" (٢)، "وضمير المؤنث من ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ ﴾ عائد إلى غير مذكور في الكلام ولكنه ملحوظ في الأفهام كقول أبي تمام (٣) في طالع قصيدة: هُنَّ عَوَادِي يَوْسُفَ وَصَوَاحِبُهُ (٤)

ومنه قوله تعالى: ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۖ ﴾ (٥) وهذا أحسن وجه في تفسير الآية ، فيكون لفظ { فرش } في الآية مستعملا في معنييه ويكون { مرفوعة } مستعملا في حقيقته وبجازه ، أي في الرفع الحسي والرفع المعنوي (٦) .

وذكر المولى سبحانه الفرش المرفوعة في مقابل ما وصف الله للسابقين من نعيم الراحة في الإتكاء والجلوس وأنهم على سرر موضونة، ولأن من كمال النعيم أن يكون المأكل والمشرب والتفكه على حال الجلوس ذكر نعيم الجلوس على فرش مرفوعة القدر والمكان، "فلما كان التفكه لا يكمل الالتذاذ به إلا مع الراحة قال: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۖ ﴾ (٧) .

كما أن أهل الدنيا يؤثرون الراحة بالجلوس والاتكاء على السرر والارائك عقيب الطعام

(١) سورة الغاشية، آية: (١٣) ز

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣٠٠)

(٣) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب. أحد أمراء البيان. ولد في جاسم سنة: (١٨٨هـ)، ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازته وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها سنة: (٢٣١هـ). كان أسمر طويلا. فصيحاً، حلو الكلام، فيه تتممة يسيرة، في شعره قوة وجزالة. واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحري. له تصانيف منها: (فحول الشعراء) و (ديوان الحماسة) و (مختار أشعار القبائل) ، وغيرها. الأعلام للزركلي (٢/١٦٥)

(٤) الأغاني، (١٦/٤٢١).

(٥) سورة ص، آية: (٣٢)

(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور بتصرف يسير (٢٧/٣٠١)

(٧) نظم الدرر للبقاعي (٧/١٠٥)



والشراب فاعقب نعيم الراحة بالجلوس والاتكاء والاضطجاع على السرر والأرائك بعد الطعام والشراب، وهذا على معنى الفرش الحقيقي، وأما على المجازي فيكون أيضا موافقا لما كان عليه أهل الدنيا من الإستمتاع بالنساء بعد الشبع والري وهو ظاهر معلوم.

ويقال في الواو ما قيل في الآيات السابغات من الإستغراق في النعيم والتنويه لتنوعه وتعددته. ولأن الفرش عادة محل الوطء ناسب ذكر النساء يقول الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ۝٣٥﴾

أي ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة، سواء كان المراد بالإبتداء من غير سابق خلق وهن الحور، أو المراد إعادة خلق من سبق خلقه من نساء الدنيا، وذلك على ما ذكر أهل التأويل من أقوال في المقصود بالآية.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن الضمير في الآية ظاهر وراجع إلى مذكور، وقال بعضهم أنه ليس بظاهر وأنه راجع إلى غير مذكور دل عليه المقام<sup>(١)</sup>.

فمن قال إنه ظاهر قال هو راجع إلى قوله ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ فقال: لأن المراد بالفرش النساء، والعرب تسمي المرأة لباسا وإزارا وفراشا، فيكون المراد بالرفع في قوله ﴿ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ رفع المنزلة والمكانة.

ومن قال إنه راجع إلى غير ظاهر ولا مذكور، قال إنه راجع إلى نساء لم يذكرن، ولكن ذكر الفرش دل عليهن، لأنهن يتكنن عليها مع أزواجهن، فقول: "هن ضمير لمن لم يجر له ذكر، بل يدل عليه السياق"<sup>(٢)</sup>، "وأنه عائد إلى معلوم دل عليه فرش لأنه قد علم في الدنيا وفي مواضع من ذكر الآخرة، أن في الفرش حظايا تقديره وفي فرش مرفوعة حظايا منشآت وهو مثل ما ذكر في قوله تعالى: ﴿ قَصِرَتْهُمُ الظُّرَفُ ۝٣٣﴾ ﴿ مَقْصُورَاتٌ ۝٣٤﴾ فهو تعالى أقام الصفة مقام الموصوف ولم يذكر نساء الآخرة بلفظ حقيقي أصلا وإنما عرفهن بأوصافهن ولباسهن إشارة إلى

(١) سبق إيضاحه في الآية السابقة بمراجعته، هامش صفحة (١٦٧) مرجع رقم ٥٤٠٣ و٥ من هذا البحث.

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٤٠٠/١٨)

(٣) سورة الرحمن، آية: (٥٦)

(٤) سورة الرحمن، آية: (٧٢)

صوئهن وتخدرهن<sup>(١)</sup>، وقيل: "هو تميمٌ بياناً لمقدّر يدل على السياق كأنه قيل وفرش مرفوعة ونساء أو وحوور عين ثم استؤنف وصفهن بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ ﴾ تميماً للبيان زيادة للترغيب لا لتعليل الرفع<sup>(٢)</sup>".

ومعلوم أن في كلام العرب ما يكون في ابتدائه عموم وإبهام ليسترعي انتباه السامع إلى الخلاصة ومقصود الكلام، فتقول مثلاً لقد كلفني العمل فيها كثيراً، وأنت لم تذكر بعد ما هي، لأهمية المقصود من الكلام أو البداءة بلبه وخلاصته، ثم تقول لقد جعلتها داراً واسعة، وعظيمة، وتبدأ في وصفها.

وللعلماء في المقصود من النساء في الآية قولان:

الأول: أن المراد بهن الحور العين، واستدل من قال ذلك على أن الإنشاء هو الاختراع والابتداع<sup>(٣)</sup>.

الثاني: أن المراد بهن بنات آدم التي كن في الدنيا عجائز شمطا رمصا، وجاءت في ذلك آثار مرفوعة عنه صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا القول: فمعنى ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴾ أي خلقناهن خلقاً جديداً<sup>(٤)</sup>.

وذكر بعضهم أن الإنشاء يمكن أن ينطبق على الجميع الحور ونساء الدنيا<sup>(٥)</sup>، "والإنشاء: الخلق والإيجاد فيشمل إعادة ما كان موجوداً وعدم، فقد سمى الله إعادة إنشاء في قوله تعالى:

(١) التفسير الكبير للرازي (١٦٧/٢٩)

(٢) روح المعاني للألوسي (١٤٢/٢٧)

(٣) (ينظر: الوجيز للواحدى ١٠٦١/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٠/١٧، البحر المحيط لأبي حيان

٢٠٧/٨، تفسير الجلالين ٧١٥/١)

(٤) (ينظر: تفسير مجاهد ٦٤٧/٢، جامع البيان للطبري ١٨٥/٢٧-١٨٦، بحر العلوم للسمرقندي ٣٧٢/٣، تفسير البغوي ٢٨٣/٤، تفسير القرآن للعز بن عبد السلام ٢٧٦/٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٠/١٧، لباب التأويل للحازن ١٨/٧، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٩٢/٤، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للغيروزآبادي ٤٥٤/١، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ٤٠١/١٨، الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي ٥٣١/٤، الدر المنثور للسيوطي ٤٢/٨، روح المعاني للألوسي ١٤٢/٢٧، الأساس في التفسير لسعيد حوى ٥٦٩٠/١٠)

(٥) (ينظر: بدائع التفسير لابن قيم الجوزية ١١٢/٣، زاد المسير لابن الجوزي ١٣٩/٨، التفسير الكبير للرازي ١٦٧/٢٩، أضواء البيان للشنقيطي ٣٠١/٧).

﴿ ثُمَّ اللَّهُ يَنْشِئُ النِّسَاءَ الْآخِرَةَ ﴾<sup>(١)</sup> فيدخل نساء المؤمنين اللائ كُنَّ في الدنيا أزواجا لمن صاروا إلى الجنة ويشمل إيجاد نساء أنفأً يخلقن في الجنة لنعيم أهلها<sup>(٢)</sup>.

وعندما تجتمع الخضرة والماء والوجه الحسن فهي غاية ما يتمناه المرء من نعيم، فاجتماع تلك الأمور الثلاثة هي كمال النعيم خاصة إذا صاحبها الأمن من الزوال وفقدائها إما بفواتها بذاتها أو فواتها عن صاحبها بموته.

وفي تصدير الآية الكريمة بنون العظمة ( إنا ) لفت الأنظار بعد السياق المسترسل في النعيم المنقطع النظير وأنواعه إلى صاحب العظمة والقدرة المطلقة في الإيجاد وأنه وكما هو الموجد لهذا النعيم العظيم وأنه القائل لهذا التناسق البديع في اللفظ المعجز الكريم فهو المستحق للعبادة والاعتراف به مبدعا وخالقا موجدا معبودا دون سواه.

كما أن في ذكر الإنشاء الذي يعني الإيجاد من المعدوم أو الإعادة للمفقود تنويه إلى تقرير حقيقة البعث التي ينكرها مشركوا العرب، وخص التعبير بهذه اللفظة وأكدها بمصدرها لما تحمل في طياتها من القدرة على الإيجاد من العدم والإعادة والإبداع، يقول البقاعي: "ولما كانت النساء يسمين فرشاً، قال تعالى معيدا للضمير على غير ما يتبادر إليه الذهن من الظاهر على طريق الاستخدام مؤكداً لأجل إنكار من ينكر البعث: { إنا } أي بما لنا من القدرة والعظمة التي لا يتعاضمها شيء ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ ﴾ أي الفرش التي معناها النساء من أهل الدنيا بعد الموت ولو عن الهرم والعجز بالبعث، وزاد في التأكيد فقال: ﴿ إِنْشَاءً ﴾<sup>(٣)</sup> أي من غير ولادة، بل جمعناهن من التراب كما فعلنا في سائر المكلفين ليكونوا كأبيهم آدم عليه الصلاة والسلام في خلقه من تراب، فتكون الإعادة كالبداءة<sup>(٣)</sup>".

وذكر الفرش في الآية الكريمة السابقة وما فيها من متعة الجلوس والإتكاء يستلزم تمام النعيم والمتعة بوجود الخليل الذي يبعث المودة والأنس ولذلك ذكر نساء الجنة وبأكمل وصف، فلما جرى ذكر الفرش وهي مما يعد للاتكاء والاضطجاع وقت الراحة في المنزل يخطر بالبال بادئ

(١) سورة العنكبوت، آية: (٢٠).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٠١/٢٧).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (١٠٥/٧).

ذي بدء مصاحبة الحور العين معهم في تلك الفرش فيتشوف إلى وصفهن فكانت جملة ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴾ ﴿٣٥﴾ بيانا لأن الخاطر بمنزلة السؤال عن صفات الرفيقات<sup>(١)</sup>.

ولبيان المراد من الإنشاء وتحديدده جاء بما يبين مقصوده، وزيادة في الترغيب والتشويق ذكر صفة من الصفات النساء المحببة للرجل فقال الحق سبحانه:

﴿ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ ﴿٣٦﴾

"الفاء عاطفة للمفصل على الجمل<sup>(٢)</sup>"، والبكر: "هي التي لم تلد ، وسميت التي لم تفتض بكرا اعتبارا بالثيب لتقدمها عليها فيما يراد له النساء وجمع البكر أبكارا، والبكرة المحالة الصغيرة لتصور السرعة فيها<sup>(٣)</sup>".

﴿ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴾: يقول فصيرناهن أبكارا عذارى بعد أن لم يكن، وقيل معناه دائمات البكارة متى عاود الواطىء وجدها بكرا، وقيل أبكارا أي من الزوجات، وهن الأوائل لأنهن في النفوس أحلى والميل إليهن أقوى<sup>(٤)</sup>.

"ولما كان للنفس أتم التفات إلى الاختصاص ، وكان الأصل في الأنثى المنشأة أن تكون بكرا، نبه على أن المراد بكارة لا تزول إلا حال الوطىء ثم تعود ، فكلما عاد إليها وجدها بكرا، فقال: ﴿ جَعَلْنَهُنَّ ﴾ أي الفرش الثيبات وغيرهن بعظمتنا المحيطة بكل شيء ﴿أَبْكَارًا﴾ أي بكارة دائمة لأنه لا تغيير في الجنة ولا نقص<sup>(٥)</sup>"

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣٠٠-٣٠١)

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٤/٢٩٥)

(٣) المفردات في غريب القرآن لابي القاسم (١/٥٨)

(٤) (ينظر: جامع البيان للطبري ٢٧/١٨٥، النكت والعيون تفسير الماوردي للماوردي ٥/٤٥٥، المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٣٥٠، زاد المسير لابن الجوزي ٨/١٤٢، تفسير القرآن للعز بن عبدالسلام ٣/٢٧٦، تفسير الجلالين ١/٢٩٥).

(٥) نظم الدرر للبقاعي (٧/٢٩٥)

وزيادة في وصف خلْقهن وخلقهن قال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿عَرَبًا أَرَابًا﴾ (٣٧)

### القراءات:

في لفظ: ( عربا )

يقول الطبري: "اختلفت القراءة في قراءة ذلك فقرأه بعض قراء المدينة وبعض قراء الكوفيين عربا بضم العين والراء، وقرأه بعض قراء الكوفة والبصرة عربا بضم العين وتخفيف الراء وهي لغة تميم وبكر والضم في الحرفين أولى القراءتين بالصواب<sup>(١)</sup>"، وكلا القراءتين صوابا لأن القراءات كلها صحيحة منقولة بالتواتر، والطبري إنما ذكر أولاهما بالصواب وذلك قبل تقعيد القراءات وتحقيق تواترها ونسبتها اسنادا وتوثيقا.

فأجمع القراءة على قراءة ( عربا ) مثقلا بالضم على أصلها قياسا بجمعها لأنها جمع عرب، سوى أبي بكر شعبة بن عياش<sup>(٢)</sup> عن عاصم وحمة فقراء ( عربا ) مخففا بالاسكان لكون تتابع الضم في حرفين متتالين مستثقلا فحفف باسكان أحدهما<sup>(٣)</sup>.

والعروب هن العاشقات لازواجهن والغنجات المتحبيبات إلى أزواجهن بحسن التبعل ولطافة الكلام، وقد حبسن أنفسهن على أزواجهن، وقيل في الناقة التي تشتهي الفحل عروبة فهن اللاتي يشتهين أزواجهن<sup>(٤)</sup>.

وأترابا جمع ترب كما يقال شبه وأشباه، والترب هو الذي مس التراب مع تربه في وقت واحد، وهن المستويات على سن واحدة بنات ثلاث وثلاثين سنة، وقيل مستويات في

(١) جامع البيان لابن جرير الطبري (١٨٩/٢٧)

(٢) شعبة بن عياش، الكوفي، الأسدي، أبو بكر، أحد رواة عاصم البارزين، كان إماماً عالماً عاملاً من أئمة السُّنة، ثقة، تُوفي عام: ١٩٣، معرفة القراء الكبار: ١٣٤/١-١٣٨، غاية النّهاية: ٣٢٥/٢-٣٢٧.

(٣) (ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد ٦٢٢/١، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٣٤٠/١، التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ٢٠٧/١)

(٤) (ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣١٤/٣، تفسير الصنعاني ٢٧١/٣، جامع البيان لابن جرير الطبري ١٨٦/٢٧، تفسير ابن أبي حاتم ٣٣٣٢/١٠، النكت والعيون للماوردي ٤٥٥/٥، تفسير القرآن للسمعاني ٣٥٠/٥، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز بن عطية بن عطية ٣٥٠/٥، الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي ٥٣١/٤، الدر المنثور للسيوطي ١٧/٨)

أخلاقهن فلا تباغض بينهن، وقيل أشكال لأزواجهن في القدر والجسم والمقدار أو السن يؤكدته متعلقه بعده قوله تعالى ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٣٨) أي عربا أترابا أي متحبات ومستويات في القدر والشكل لأصحاب اليمين، والمقدم الذي عليه أكثر أهل التاويل المعنى الاول<sup>(١)</sup>.  
 "ولما كان مما جرت به العادة أن البكر تتضرر من الزوج لما يلحقها من الوجدع بإزالة البكارة، دل على أنه لا نكد هناك أصلا بوجع ولا غيره بقوله: ﴿عُرْبًا﴾ جمع عرب، وهي الغنجة المتحبة إلى زوجها، قال الرازي في اللوامع: الفطنة بمراد الزوج كفطنة العرب. ولما كان الاتفاق في السن أدعى إلى المحبة ومزيد الألفة قال: ﴿أَتْرَابًا﴾ أي على سن واحدة وقد واحد، بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن. قال الرازي في اللوامع: أخذ من لعب الصبيان بالتراب<sup>(٢)</sup>.  
 وزيادة في تنمة المعنى المقصود من إنشاء الزوجات وما وصف فيهن وبين غاية الإنشاء ذكر الحق سبحانه أصحابه بعد ذلك بقوله:

### ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٣٨)

اللام متعلقة بما أنشأ الكريم سبحانه لأهل الجنة أصحاب اليمين من نعيم الزوجات اللواتي وصفهن بأنهن أبكارا، وعربا أترابا أي متعلق بقوله ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ (٣٥) ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٣٨)، وقيل متعلقة بجعلناهن أو صفة لأبكارا أو نعنا لأترابا أو خبرا محذوفا مثل هن أو لقوله بعد ذلك ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ﴾ (٣٩) وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (٤٠) ، وفيه بيان اختصاص أصحاب اليمين بنساء زوجات كاختصاص السابقين بالحوار العين<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: جامع البيان لابن جرير الطبري ١٨٩/٢٧، النكت والعيون للماوردي ٤٥٥/٥، تفسير القرآن للسمعاني ٣٥٠/٥، المحرر الوجيز لابن عطية ٣٥٠/٥، التفسير الكبير للرازي ١٦٧/٢٩، ١٦٨، تفسير القرآن للعز بن عبد السلام (٢٧٦/٣)

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٢٩٥/٧)

(٣) ينظر: جامع البيان لابن جرير الطبري ١٨٩/٢٧، التبيين في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ١٢٠٥/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١١/١٧، تفسير البيضاوي ٢٨٧/٥، البحر المحيط أبي حيان ٢٠٧/٨

"لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ يجوز أن يتعلق بـ (أترابا) نصا على أنهن في أسنان أزواجهن<sup>(١)</sup>".  
وفي تأكيد اختصاص هذا النعيم بتكرار ذكر أصحابه وهم اصحاب اليمين مزيد عناية بهم وبشأنهم، وفيه كذلك التذكير بمحور السورة وهو تقرير حقيقة البعث والجزاء بانقسام الناس فيه الى الاصناف الثلاثة التي ذكرت في أول السورة الكريمة ومنها هذا الصنف.  
ولما ذكر مجموع السابقين تقديرا ناسب ذكر تقدير مجموع اصحاب اليمين فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

روي عن مقاتل بن سليمان أن الآيتين الكريمتين نسختا قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾<sup>(٢)</sup>، والصحيح عدم النسخ وذلك من عدة أوجه:  
أحدها: أن علماء الناسخ والمنسوخ لم يوافقوا على هذا.  
والثاني: أن الكلام في الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ فهو ها هنا لا وجه له.  
والثالث: أن ذلك في جماعتين مختلفتين، فلو كانت الثلثين في سياق الجماعة الأولى وهم السابقون لكان قريبا للنسخ<sup>(٣)</sup>.

وقد سبق بيان ذلك عند قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ في وصف نعيم السابقين.  
وفي كتبهم قيل: "كانوا يقولون كلهم من هذه الأمة"<sup>(٤)</sup> وقال غير واحد من أهل التأويل ثلثة من الأمم السابقة وثلثة من أمة محمد ﷺ<sup>(٥)</sup>.

(١) نظم الدرر للبقاعي (٢٩٥/٧)

(٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ للمقري ١/١٧٢، الناسخ والمنسوخ لابن حزم ١/٥٩

(٣) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي ٨/١٤٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢٠٠، الباب في علوم الكتاب لابن

عادل الحنبلي ١٨/٣٨٢، فتح القدير للشوكاني ٥/١٤٩، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٧/٢٩٢

(٤) تفسير مجاهد (٢/٦٤٩)

(٥) ينظر: جامع البيان لابن جرير الطبري ٢٧/١٩١، البحر المحيط لأبي حيان ٨/٢٠٧، أضواء البيان للشنقيطي

أقول أنه إذا كانت أمة محمد ﷺ ثلثي أهل الجنة كما وردت بذلك الأحاديث<sup>(١)</sup>، فيكون المراد بالأولين في قوله سبحانه ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ الأولون من أمة محمد ﷺ وليس من الأمم السابقة لتساوي اللفظين، ومعلوم دقة القرآن في الوصف والعناية بمقصود اللفظ الكريم ففي تساوي اللفظين (ثلة) في قوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٩) و﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (٤٠) معنى تساوي العدد أو تقاربه، فلو قيل أن المراد عموم الخطاب لجميع الأمم لتساوو في العدد مع أمة محمد ﷺ في الجنة بسبب توحيد لفظ ثلة وذلك مخالف للأحاديث الصحيحة التي تنص بأكثرية أمة محمد ﷺ على سائر الأمم في الجنة، ويقال مثل ذلك في المقصود بالأولين والآخريين في صنف السابقين وأنهم جميعا من هذه الأمة، يؤكد أن القرون المفضلة هي المتقدمة من قرن النبي ﷺ ثم الذي يليه ثم الذي يليه ولا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه حتى لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق نسأل الله السلامة، وعلى هذا فيكون الخطاب في قوله ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ لهذه الأمة وهو ما عليه أكثر المفسرين<sup>(٢)</sup>.

(١) منها: عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: "اتْرَضُونَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَالَ قُلْنَا نَعَمْ. فَقَالَ "اتْرَضُونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ" فَقُلْنَا نَعَمْ. فَقَالَ "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ".

- أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، برقم: (٣٣٤٨)، (١٣٩/٤).

- وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، برقم: (٤٤٩)، (١/١٣٧).

ومنها: عن بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةٌ صَفٌّ، تَمَّائُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَزْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ".

- أخرجه الترمذي في سننه: أبواب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صف أهل الجنة برقم: (٢٥٤٦)، (٤/٦٨٣). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

- وأخرجه ابن ماجه بسند حسن في سننه، كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ رقم: (٤٢٨٩)، (١٤٣٤/٢).

(٢) (ينظر: بحر العلوم للسمرقندي ٣/٣٧٠، الكشف والبيان للثعلبي ٩/٢١١، تفسير القرآن للسمعي ٥/٣٥٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢٠١، التسهيل لعلوم التنزيل للكلي ٤/٩٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٨٥، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤/٥٣٢، ارشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/١٩٤)



وفي السابقين صدر نعيمهم بذكر مجموعهم جملة بقوله ﴿ تِلْكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿ (١٤) ﴾ للدلالة على أن صنفهم عزيز وخاصة في الآخرين، وللتأكيد على أن المتبعين للحق أنهم الأعز ولو قلوا، وعدم الاعتزاز بغيرهم ولو كثروا، بينما أخرج بيان مجموعهم هنا بقوله ﴿ تِلْكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣٩) وَتِلْكَ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿ (٤٠) ﴾ " وإنما أخرج هذا عن ذكر ما لهم من النعيم للإشعار بأن عزة هذا الصنف وقلته دون عزة صنف السابقين ، فالسابقون أعز ، وهذه الدلالة من مستتبعات التراكيب المستفادة من ترتيب نظم الكلام إفضاء إلى الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة، وهم أصحاب المشاقة<sup>(١)</sup> الذين قال عنهم الحق سبحانه:

﴿ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ﴾ (٤١)

وهذا الصنف الثالث من أصناف الناس في يوم البعث وصفهم الحق سبحانه هنا بأصحاب الشمال وفي مواضع أخرى بأصحاب النار باسم دارهم مقابلة للجنة دار أصحاب اليمين يقول سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣٩) ﴿ (٢) ، ووصفهم بأصحاب المحيم ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ (١١٩) ﴿ (٣) ، وأصحاب السعير: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٦) ﴿ (٤) وفريق السعير: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (٧) ﴿ (٥) ، وعتهم بالشقاء فقال سبحانه: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (١٠٥) ﴿ (٦) ، فتعددت أسماءهم ونعوتهم ووصفهم وذلك حسب سياق اللفظ الكريم في كل موضع، وفي كل نعت ووصف لهم زيادة بيان ومعنى ترهيبا من سلوك طريقهم واعتقادهم.

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣٠٣-٣٠٤).

(٢) سورة البقرة ، آية: (٣٩).

(٣) سورة البقرة، آية: (١١٩)

(٤) سورة فاطر، آية: (٦)

(٥) سورة الشورى، آية: (٧)

(٦) سورة هود، آية: (١٠٥)

والعطف بذكر أصحاب الشمال بعد أصحاب اليمين من باب المقابلة لحال الفريقين، وفيه تبرز بلاغة الذكر الحكيم فبعد أن أوجزها في صدر السورة نشرها هنا تفصيلاً لحالهم، فلما فرغ من ذكر أصحاب اليمين وما أعدده لهم من النعيم وحسن الحال وطيب المقام، شرع في ذكر أصحاب الشمال وما أعدده لهم من العذاب وسوء الحال وشر المقام.

و ( ما ) الإستفهامية التي للتعجب يقال فيها ما قيل لأصحاب اليمين إلا أنها هناك للترغيب وهنا للترهيب، ترهيباً لمصائبهم في البلاء والشر والعذاب، فأصحاب الشمال الذين يؤخذ بهم ذات الشمال أو يؤتون كتبهم بشمائلهم أو أصحاب الأعمال المشئومة أو المشائيم على انفسهم بعضيائهم لله ودخولهم النار، هؤلاء ما لهم؟ وما أعد لهم في يوم البعث والجزاء من الهوان والعذاب والشر؟<sup>(١)</sup>.

"ثم بين منقلبهم وما أعد لهم من العذاب"<sup>(٢)</sup> فقال الحق سبحانه:

### ﴿ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾

السموم الريح الشديدة الحرارة والتي تدخل مسام البدن فتمرضه وتهلكه وقد تقتله، والحميم وهو الماء المتناه الحرارة يشربونه لتبريد أجسادهم من حر السموم فيزيدهم حراً على حر ويقطع أمعاءهم<sup>(٣)</sup>، يقول سبحانه في موضع آخر واصفاً ما يفعله الحميم فيهم عند شربه ﴿ وَسُقُوءًا ﴾

(١) (ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٤، جامع البيان للطبري ٢٧/١٩١، زاد المسير لابن الجوزي ٨/١٤٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/٧٢، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٧/٢١، البرهان في علوم القرآن للسيوطي ٤/١٣، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١/٤٥٤، البحر المحيط لأبي حيان ٨/٢٠٨-٢٠٩، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٩٥، نظم الدرر للبقاعي ٧/٤٥٤، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٨/٤٥٤، الدر المنثور للسيوطي ٨/٢٠، ارشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/١٩٤، فتح القدير للشوكاني ٥/١٥٣، تيسير كلام المنان للسعدي ١/٨٣٤، أضواء البيان للشنقيطي ٧/٥١٣، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٤/٢٥٤)

(٢) لباب التأويل للخازن (٢١/٧)

(٣) (ينظر: بحر العلوم للسمرقندي ٣/٣٧٣، الكشف والبيان للثعلبي ٩/٣٤١، تفسير السمعي ٥/٣٥٢، تفسير البغوي ٤/٢٨٦، الكشاف للزخشري ٤/٢٨٦، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢١٣، لباب التأويل للخازن ٧/٢١٣، تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ٦/٢٤١، تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٨/٢٤١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٩٥، ارشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/١٩٤، فتح القدير للشوكاني ٥/١٥٣)

مَاءٌ حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾<sup>(١)</sup>، واستفتاح ما لأصحاب الشمال من ذلك العذاب الأليم بالسموم الحميم تهويلا لحالمهم ومبالغة في الزجر عن فعلهم وعن صحبتهم. وفي اختيار حرف الجر ( في ) الذي يفيد الإحاطة دليل شمولية المكان لهم وإحاطته بهم وأنهم منغمسون فيه ذلا ومهانة وصغارا، لا يملكون الخروج منه ولا دفعه عنهم. وتناسق كلمات الآية ظاهر في البدء بفي الظرفية المكانية وبالسموم الذي يبدأ بعذاب ظاهر أجسادهم ثم الحميم لباطنها، وهو التدرج المتعارف عليه في البدء بالظاهر ثم الباطن في الغالب. وفي عطف الحميم بعد السموم تنويه أن العذاب محيط بهم من جميع النواحي في ظواهرهم وبواطنهم، فتجتمع عليهم حرارة المكان من خارج أجسادهم وحرارة الماء من الداخل بيانا لفضاعة مصيرهم والعذاب الذي أعد لهم.

"وفيه إشارة بالأدنى إلى الأعلى فقال : هوأؤهم الذي يهب عليهم سموم ، وماؤهم الذي يستغيثون به حميم ، مع أن الهواء والماء أبرد الأشياء ، وهما أي السموم والحميم من أضر الأشياء بخلاف الهواء والماء في الدنيا فإنهما من أنفع الأشياء فما ظنك بنارهم التي هي عندنا أيضا أحر ، ولو قال : هم في نار ، كنا نظن أن نارهم كنا رنا لأننا ما رأينا شيئا أحر من التي رأيناها ، ولا أحر من السموم ، ولا أبرد من الزلال ، فقال : أبرد الأشياء لهم أحرها فكيف حالهم مع أحرها"<sup>(٢)</sup>، والتنوين في اللفظين للتعظيم<sup>(٣)</sup>.

وكما صدر ذكر نعيم السابقين وأصحاب اليمين بالظرف المكاني ( في ) فقد صدر عذاب أصحاب الشمال به أيضا وذلك لبيان مكانهم وهو النار الذي دل عليه لفظ السموم وأكده لفظ الحميم، وفيه من بلاغة الإيجاز والإيعاز إلى المكان دون ذكره صراحة ما هو ظاهر.

"فموقع جملة ( في سموم ) بعدها كالقول في جملة: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ ﴿٢٧﴾

فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾<sup>(٤)</sup>

(١) سورة محمد، آية: (١٥)

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٦٩/٢٩)

(٣) روح المعاني للآلوسي (١٤٣/٢٧)

(٤) تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٤٣/٢٧)

ولأنه ذكر ظل أصحاب اليمين بين نوع الظل المعد لهم فقال الحق سبحانه:

﴿وِظِلِّ مِّنْ يَّحْمُومٍ﴾ (٤٣)

فأعقب السموم والحميم بالظل اليحوموم، فإنه إذا أصابهم حر السموم هرعوا ليخففوه بالشراب فوجدوه حميماً يقطع أمعاءهم فإذا رأوا الظل هربوا إليه فوجدوه عذاباً فوق عذاب<sup>(١)</sup>، وعطف بالواو لبيان اجتماع العذاب عليهم وتنوعه وتعددده.

واليحوموم ظل من دخان جهنم أسود بهيم شديد سواده، والعرب تقول لكل شيء وصفته بشدة السواد أسود يحوموم<sup>(٢)</sup> وقيل غير ذلك<sup>(٣)</sup>، "والياء في (يحوموم) زائدة ووزنه يفعل من الحمم أو الحميم<sup>(٤)</sup>"، وتسميته ظلاً على التشبيه التهكمي بهم<sup>(٥)</sup>، وزيادة الياء دليل زيادة عذابهم، "فلما كان للتهكم في القلب من شديد الوقع ما يجل عن الوصف والحد قال: ﴿وِظِلِّ﴾ ثم أتبعه ما صرح بأنه تهكم فقال: ﴿مِّنْ يَّحْمُومٍ﴾ (٤٣) أي دخان أسود كالحمم أي الفحم شديد السواد بما أفهمته الزيادة وشبه صيغة المبالغة<sup>(٦)</sup>".

- (١) ينظر: التفسير الكبير للرازي (١٦٩/٢٩، ١٧٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٣/١٧، روح المعاني للآلوسي ١٤٣/٢٧، فتح القدير للشوكاني (١٥٣/٥)
- (٢) (ينظر: تفسير مجاهد ٦٤٩/٢، تفسير القرآن للصنعاني ٢٧٢/٣، جامع البيان للطبري ١٩١/٢٧، تفسير القرآن لابن أبي حاتم ٣٣٣٣/١٠، بحر العلوم للسمرقندي ٣٧٣/٣، تفسير ابن زنين ٣٤١/٤، الكشف والبيان للثعلبي ٣٤١/٩، النكت والعيون للماوردي ٣٤١/٥، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي ١٠٦١/٢، تفسير القرآن للسمعاني ٣٥٢/٥، تفسير البغوي ٢٨٦/٤، تفسير العز بن عبد السلام ٢٧٧/٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٣/١٧، تفسير البيضاوي ٢٨٨/٥، التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ٩٠/٤، البحر المحيظ لأبي حيان ٩٠/٨، الدر المنثور للسيوطي ٢٠/٨، ارشاد العقل السليم لأبي السعود ١٩٤/٨، فتح القدير للشوكاني (١٥٣/٥)
- (٣) (ينظر: الكشف والبيان للثعلبي ٣٤١/٩، النكت والعيون للماوردي ٣٤١/٥، تفسير القرآن للسمعاني ٣٥٢/٥، تفسير البغوي ٢٨٦/٤، الكشاف للزمخشري ٢٨٦/٤، زاد المسير لابن الجوزي ١٤٤/٨، تفسير العز بن عبد السلام ٢٧٧/٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٣/١٧، التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ٩٠/٤، البحر المحيظ لأبي حيان ٩٠/٨، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٨٣٤/١)
- (٤) التبيان في إعراب القرآن للعكبري (١٢٠٥/٢)
- (٥) ينظر: نظم الدرر للبقاعي ٩٠/٧، روح المعاني للآلوسي ١٤٣/٢٧، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٤٣/٢٧)
- (٦) نظم الدرر للبقاعي (٩٠/٧)

"وحرف ( من ) بيانية إذ الظل هنا أريد به نفس اليعقوم، أي الدخان الأسود، ووصف ﴿ وَظِلٌّ ﴾ بأنه ﴿ مِّن يَّحْمُومٍ ﴾ (٤٣) للإشعار بأنه ظل دخان لهب جهنم، والدخان الكثيف له ظل لأنه بكتافته يحجب ضوء الشمس، وإنما ذكر من الدخان ظله لمقابلته بالظل الممدود المعد لأصحاب اليمين في قوله: ﴿ وَظِلٌّ مَّمْدُودٍ ﴾ (٣٠)، أي لا ظل لأصحاب الشمال سوى ظل اليعقوم<sup>(١)</sup>."

"ولتحقيق معنى التهكم وصف هذا الظل بما يفيد نفي البرد عنه ونفي الكرم<sup>(٢)</sup>" فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ (٤٤)

في البدء بحرف النفي ( لا ) مماثلة للنفي بنفس الحرف في نعيي السابقين وأصحاب اليمين مع فرق المنفي، ففي نعيم السابقين نفي النقص عن خمر الجنة تنزيها فقال سبحانه :

﴿ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴾ (١٩) ولأن جحيم أصحاب الشمال يقابل نعيم أصحاب اليمين فالنفي هنا من باب المقابلة في نفي نقص كمال نعيم أصحاب اليمين حيث وصف فاكهتهم في قوله سبحانه : ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ (٣٣)، وهنا نفي نقص كمال العذاب عنهم بنفي ما في الظل من برد وكرامة.

ففي البدء بالنفي بلا النافية دليل شدة ما في الظل من العذاب فلا هو بارد ولا هو معتدل كريم ليقبهم حر السموم وحرارة الحميم.

والحر ضد البرد والمهانة ضد الكرامة، فهو ظل حار مهين يتعذبون ويهانون فيجتمع عليهم الأذى الحسي والمعنوي، الحسي من حره وشره، والمعنوي من مهانته وذله.

ونعت الظل بنفي البرد والكرامة عنه ، فهو لا بارد المنزل كبرد ظلال سائر الأشياء، فلا راحة فيه ولا لطافة ، ولا كريم المنقلب والمستراح لدنائه ومهانته ، ولا حسنَ المنظر ولا طيب النفع ، والعرب تتبع كل منفي عنه صفة حمد نفي الكرم عنه ، فتقول ما هذا الطعام بطيب ولا كريم

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٤٣/٢٧)

(٢) المصدر السابق من نفس الصفحة.

ونحو ذلك<sup>(١)</sup>، ونفي عنه البرد والكرامة ليمحق ما في مدلول الظل من الإسترواح إليه وفي النفي معنى التهكم بهم<sup>(٢)</sup>، "والكرامة عند العرب من أشهر أوصاف المدح ونفيها نفي وصف الكمال العقلي<sup>(٣)</sup>"، وفي نفيها نفي لصفة المدح المعروفة عن الظل<sup>(٤)</sup>، ونفي الحالين إثبات ضديهما<sup>(٥)</sup>.

"وفي الصفة بنفي محاسن الظلال تذكير للسامعين بما حرم منه أصحاب الشمال عسى أن يجذروا أسباب الوقوع في الحرمان، ولإفادة هذا التذكير عدل عن وصف الظل بالحرارة والمضرة إلى وصفه بنفي البرد ونفي الكرم<sup>(٦)</sup>".

وفيه تذكير لهم بما هم فيه من نعمة الظل البارد والكرامة من مسكن وبساتين يستكفون فيها ويتنعمون ليشكروه ويوحده.

"والمقصود: أن هناك الهم والغم، والحزن والشغل الذي لا خير فيه، لأن نفي الضد إثبات لضده، ثم ذكر أعمالهم التي أوصلتهم إلى هذا الجزاء<sup>(٧)</sup>"، وبين أن أعمالهم التي عملوها كانت هي الموجبة لهذا العقاب وهذا العذاب والتي أوصلتهم إلى هذا الجزاء وما استحقوا عليه ذلك

(١) (ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٥، جامع البيان للطبري ٢٧/١٩٣، إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٤/٣٣٤، بحر العلوم للسمرقندي ٣/٣٧٣، تفسير القرآن العزيز لابن زنين ٤/٣٤١، الكشف والبيان للثعلبي ٩/٣٤١، النكت والعيون تفسير للماوردي ٥/٤٥٦، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي ٢/١٠٦١، تفسير القرآن للسمعاني ٥/٣٥٢، تفسير البغوي ٤/٢٨٦، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٥/٢٤٦، زاد المسير لابن الجوزي ٨/١٤٤، تفسير القرآن للعز بن عبد السلام ٣/٢٧٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢١٣، لباب التأويل في معاني التنزيل للحازن ٧/٢١٣، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٦/٢٤١، البحر المحيط لأبي حيان ٨/٢٤١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٩٥، البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/٢٣٣، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروزآبادي ١/٤٥٤، تفسير الجلالين ١/٤٥٤، الدر المنثور ٨/٢١، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/١٩٤، فتح القدير للشوكاني ٥/١٥٣، روح المعاني للآلوسي ٢٧/١٤٣-٤٤١، الجواهر الحسان للثعالبي ٤/٢٥٤)

(٢) الكشف للزنجشيري (٤/٤٦١)

(٣) التفسير الكبير للرازي (٢٩/١٧٠)

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٨/٢٤١)

(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/١٤٣)

(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣٠٤ - ٣٠٥)

(٧) تيسير الكريم المنان للسعدي (١/٨٣٤)

فقال الحق سبحانه بعد ذلك<sup>(١)</sup>:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾

المترف المتنعّم<sup>(٢)</sup>، والآية بيان لسبب عذاب هذه الطائفة وتعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب السموم والحميم والظل اليمحوم يوم البعث والجزاء بقريئة العطف بالواو وإن المكسورة المشددة التي هي من حروف التعليل<sup>(٣)</sup>، والحكمة من ذكر علة عذابهم مع الإعتبار والإيتعاض والزجر عن مسلكهم؛ بيان عدل الله فيهم دفعا لتوهم الظلم عليهم<sup>(٤)</sup>، وأنهم استحقوا ذلك العذاب بسبب ترفهم الذي كان سببا في انشغالهم بشهواتهم وانهماكهم فيها، مما كان سببا في طغيانهم وتكبرهم عن قبول الحق والإعراض عنه فتنعموا بما وهب الله لهم من الطيبات والنعم وتمتعوا بها في معصية الله وترك طاعته وأوامره.

### هل كل اصحاب الشمال مترفين؟

قيل إن المراد أن الجميع مترفون حقيقة أو بالنسبة لما آلوا إليه، فقيل "إنما جعل أهل الشمال مترفين لأنهم لا يخلو واحد منهم عن ترف ولو في بعض أحواله وأزمانه من نعم الأكل والشرب والنساء والخمر، وكل ذلك جدير بالشكر لواهبه، وهم قد لابسوا ذلك بالإشراك في جميع أحوالهم<sup>(٥)</sup>"، وأما بالنسبة لما آلوا إليه فبالنسبة لما هم فيه من مسكنة وحاجة بعد موتهم.

والمتأمل لآيات الذكر الحكيم يرى أن الله خاطب رؤس الكفر ونص عليهم وتوعدهم أكثر من غيرهم فهم المتبوعون ويسببهم غوى وضل العوام، وذلك لأن الغلبة لهم في قومهم فهم الأكثر مالا وجاها وسلطة، والباقون إنما هم تبع لهم، ولذلك كان القول قولهم والأمر أمرهم،

(١) (ينظر: تفسير السمرقندي ٣/٣٧٣، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٢١/٧، غرائب القرآن و رغائب الفرقان

للنيسابوري ٦/٢٤١، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ١/٨٣٤)

(٢) (ينظر: جامع البيان للطبري ٢٧/١٩٣، تفسير القرآن لابن أبي حاتم ١٠/٣٣٣٣، تفسير القرآن العزيز لابن زمنين

٤/٣٤١، الكشف والبيان الثعلبي ٩/٣٤١، تفسير البغوي ٤/٢٨٦، تفسير القرآن للعز بن عبد السلام ٣/٢٧٧، لباب

التأويل للخازن ٢١/٧)

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٨٣٤)

(٤) روح المعاني للآلوسي (٢٧/١٤٤)

(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣٠٥)

فهم الذين خاطبوا الانبياء بالرفض لما جاءوا به، يقول الله عنهم في ردهم على نبيه صالح عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ﴾<sup>(١)</sup>، ومثل ذلك في حق نبي الله شعيب عليه السلام يقول سبحانه: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾<sup>(٢)</sup>، وهنا نص على ترفهم وهو صاحب غنى ومطاع، وكان من البداهة أن يدخل معهم فيما استحقوا من العذاب أتباعهم الذين أطاعوهم على رد الحق. فيكون في ذكر الترف الإشارة إلى الذين غوو وأغوو غيرهم بسبب ما هم فيه من الترف، وفي ذكر التابع إشارة إلى ذكر المتبوع ضمنا<sup>(٣)</sup>، ويؤكد أن المقصود بالمترفين رؤس الشر ذكر إصرارهم على باطلهم ولا يصر إلا صاحب قوة ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحَنِثِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٤٦)</sup>، وأن القول قولهم ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ءَأَنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾<sup>(٤٧)</sup> وضعفاء القوم يتبعونهم في عملهم ويقولون بقولهم، فمصيرهم في الآخرة سواء، يقول الله عنهم: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعِفَاتُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَدَنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾<sup>(٤٨)</sup> الآية.

### وهل الترف سبب في العذاب ؟

ذكرنا آنفا أن الترف أشغلهم بشهواتهم عن اتباع الحق وطاعة الله، وقال بعض أهل التأويل إن الترف ليس موجبا للعذاب بحد ذاته، وحملوا الترف المقصود على أمور منها: أن المقصود بالمترفين المتنعمين بالحرام والمتمتعين بمعصية الله وترك طاعته وأمره، فيكون ترفهم قد أشغلهم عن طاعة الله وتوحيده وعبادته<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الأعراف ، آية: (٧٥).

(٢) سورة الأعراف ، آية: (٨٨).

(٣) روح المعاني للألوسي (١٤٤/٢٧)

(٤) سورة إبراهيم، آية: (٢١).

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٥، تفسير السمرقندي ٣/٣٧٣، النكت والعيون للماوردي ٥/٤٥٧،



أو يكون المقصود أن الترف ليس سببا بذاته ولكن إصرارهم على الشرك ونفي البعث والجزاء الذي بينته الآيات التي جاءت بعد ذلك في قوله سبحانه ( وكانوا يصرون ..... ) هو السبب فكانوا كذلك مع ترفهم، "وذلك يبين قبح ما ذكر عنهم بعده وهو قوله تعالى : ( وكانوا يصرون ) لأن صدور الكفران ممن عليه غاية الإنعام أقبح القبائح فقال : إنهم كانوا مترفين ، ولم يشكروا نعم الله بل أصروا على الذنب"<sup>(١)</sup>.

والحقيقة أن الترف مظنة الفسق والتكبر ورد الحق<sup>(٢)</sup>، وأهله أقرب للفساد والإفساد والخروج عن الطاعة قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾<sup>(٣)</sup> فلا يساق إلا للدم.

"والمترف هنا بقريته المقام هو المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع، والمعنى أنهم عذبوا لأنهم كانوا قبل ما ذكر من العذاب في الدنيا متبعين هوى أنفسهم وليس لهم رادع منها يردعهم عن مخالفة أوامره عز وجل وارتكاب نواهيه سبحانه"<sup>(٤)</sup>.

ولا يقال للمؤمن مترف<sup>(٥)</sup>، "فالمترف: الذي قد أبطرتة النعمة وسعة العيش. وأترفته النعمة أي: أطغته"<sup>(٦)</sup>، وقد ورد لفظ الترف في ثمانية مواضع في القرآن كلها في الذم والتحذير منه، وهنا يذكر أن الترف أول أسباب استحقاق ذلك العذاب "فدل على أن الإتراف من أسباب

﴿﴾ =

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدى ١٠٦١/٢، تفسير القرآن للسمعاني ٣٥٣/٥، زاد المسير لابن الجوزي ١٤٤/٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٣/١٧، تفسير البيضاوي ٢٨٨/٥، غرائب القرآن ورفائب الفرقان للنيسابوري ٢١/٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٩٥/٤، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٤٥٤/١٨، تفسير الجلالين ٤٥٤/١، الدر المنثور للسيوطي ٤٢/٨، إرشاد العقل السليم أبي السعود ١٩٤/٨، فتح القدير للشوكاني ١٥٤/٥، روح المعاني للآلوسي ١٤٤/٢٧، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣٠٥/٢٧-٣٠٦، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٨٣٤/١، أضواء البيان للشنقيطي ٨٣٤/٧.

(١) التفسير الكبير للرازي (١٧١/٢٩).

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٧١/٢٩).

(٣) سورة الإسراء ، آية: (١٦).

(٤) روح المعاني للآلوسي (١٤٤/٢٧).

(٥) تفسير القرآن للسمعاني (٣٥٣/٥).

(٦) لسان العرب لابن منظور (١٧/٩).

العذاب في الدنيا والآخرة"<sup>(١)</sup>، فالمتترف هو المنعم الذي أشغله ما هو فيه من نعيم عن الطاعة فأعرض عن الحق استغناء وغرورا ففسق فعصى ولم يشكر، والواو العاطفة في الآية التالية تدل على المغايرة في السبب، وأن السبب الأول في عذابهم هو ترفهم الذي أشغلهم عن طاعة الله فتكبروا عن قبول الحق، والسبب الثاني هو اصرارهم على الشرك والجحود ولذلك عطف بالواو. وذكر الترف هنا يدل على أن "عذاب المتترف أشد ألماً"<sup>(٢)</sup>، "وفيه ذم الترف والتنعم في الدنيا، والترف طريق إلى البطالة وترك التفكير في العاقبة"<sup>(٣)</sup>.

ومن صور التناسق الفني ما صورته الآيات من تقابل صورتين متضادتين، إحداهما حاضرة وهي ما هم فيه من سموم وحميم وظل من اليعموم فيه العذاب والمهانة، والصورة الثانية صورة ماضية وهي ما كانوا فيه من عز وترف ونعمة، فيعمل الخيال على استحضار هذه الصورة الأخيرة ليقابلها بالصورة المنظورة<sup>(٤)</sup>، وفي ذلك أشد الزجر وأبلغه.

ثم مع ما هم فيه من عز ورفاهية وترف يؤكدون جحودهم ونكرانهم بالإصرار على اتباع الهوى والكفر والشرك فيقول الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾<sup>(٤٦)</sup>

ذَكَرَ الشُّرَكَ الَّذِي يَعْنِي جُحُودَ النِّعْمَةِ وَنُكْرَانَ الْفَضْلِ وَعَدَمَ نَسْبَتِهِ لِأَهْلِهِ، وَالَّذِي وَصَفَهُ سَبْحَانَهُ بِالْحِنثِ الْعَظِيمِ أَيِ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ، بَعْدَ ذِكْرِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ وَصَلَ لِلتَّرَفِ الَّذِي أَنْسَاهُمْ الْمُنْعَمَ وَغَرَّهُمْ لِدَرَجَةِ الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِهِ، مِنْ بَابِ تَنَاسُقِ الْمَعَانِي لِبَيَانِ تَنَاقُضِ الْفِطْرَةِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا خِلَافًا لِلْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ مِنْ شُكْرِ الْمُنْعَمِ وَالْإِعْتِرَافِ بِفَضْلِهِ، وَالآيَةُ تَقْرِيرٌ بِأَنَّ زَوَالَ النِّعْمِ وَاسْتِحْقَاقَ الْعَذَابِ يَكُونُ عِنْدَ اجْتِمَاعِ النِّقَاطِضِ الْمُخَالَفَةِ لِلْفِطْرِ السَّلِيمَةِ وَأَنَّ الْجِزَاءَ مِنَ

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٨٣٤/٧)

(٢) النكت والعيون للماوردي (٤٥٧/٥)

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٢١/٨)

(٤) خطرات بيانية لمعنى التناسق الفني في بعض المقاطع القرآنية بين القدامى والمحدثين، بقلم الدكتور: يوسف بن سليمان، المصدر محرك البحث فوجل، موقع صوت الزيتون، منتدى حوار علمي يشرف عليه الدكتور محمد بو زغبية أستاذ الفقه وعلومه ورئيس وحدة بحث فقهاء تونس بجامعة الزيتون بتونس، عنوان الصفحة: قراءات في التراث القديم والحديث.

جنس العمل، فلما خالفوا وناقضوا الفطرة السوية جازاهم بنقيض ما كانوا فيه من رفاهية وترف.

وعطف بالواو لتعدد أسباب ما استحقوا عليه ذلك العذاب، فهم كانوا في نعمة وترف ومع ترفهم جحدوا ونكروا الفضل وأشركوا.

وعبر بالإصرار فقال ( يصرون )، والإصرار في اللغة عند العرب الإقامة على الشيء وترك الإقلاع عنه<sup>(١)</sup>، وفيه معنى العناد الذي يكون سببه التكبر وفي ذلك يقول الحق سبحانه:

﴿وَأَصْرُواْ وَأَسْتَكْبَرُواْ أَسْتَكْبَارًا﴾<sup>(٢)</sup> ، والتكبر قرين الغرور والبطر، والغرور ينشأ على

الغالب من الغنى والنعمة الوافرة التي تصل لدرجة الترف المطغي والملهي، ولذلك ذكر إصرارهم على الشرك بعد ذكر ما كانوا فيه من ترف، فلما أترفوا اغتروا وبطروا فتكبروا فعاندوا فأصروا على كفرهم الذي وصفه المولى سبحانه وتعالى بالحنث العظيم والذي تعددت الاقوال في المراد منه.

وأصل الحنث الإثم، "ومنه قولهم : بلغ الغلام الحنث ، أي: الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم. ومنه: حنث في يمينه، خلاف بر فيها. ويقال : تحنث إذا تأثم وتحرج<sup>(٣)</sup> " وقال الخطابي<sup>(٤)</sup> (الحنث ) في كلام العرب العدل الثقيل شبه الإثم به<sup>(٥)</sup> .

وعلى هذا المعنى فيدخل فيه كل إثم وذنب، وتخصيصه بالعظيم يخرج كل الذنوب الصغيرة ويبقي النظر في الذنوب العظام، ثم في ذكر الحنث على الأفراد وكذا نعتة بالعظيم أفرادا يخرج كل الذنوب العظام ليتخصص المقصود بأعظم الذنوب وهو المذكور في قول الله تعالى: { إن الشرك لظلم عظيم } ، وذلك ما عليه معظم أهل التأويل في معنى الحنث العظيم.

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ١٩٣/٢٧، إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٣٣٤/٤

(٢) سورة نوح، آية: (٧).

(٣) الكشاف للزمخشري (٣٧٣/٤)

(٤) حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان: فقيه محدث، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب، ولد سنة: (٣١٩هـ) وتوفي سنة: (٣٨٨هـ)، له (معالم السنن) في شرح سنن أبي داود، و(بيان إعجاز القرآن) و (إصلاح غلط المحدثين) و(غريب الحديث) وغيرها. ينظر: الأعلام للزركلي (٢٧٣/٢)

(٥) ينظر: غريب الحديث للخطابي (١/٥٣٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/٢٤٦)

ويصح أن يوصف إنكار البعث الذي هو محور السورة الكريمة بالذنب العظيم وهو ما ذهب إليه بعض المفسرين حيث أن من معاني الحنث نقض العهد المؤكّد بالحلف<sup>(١)</sup>، وهو الحنث في قسمهم الذي يتضمنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾<sup>(٢)</sup>، فينكرون البعث ويقسمون على ذلك<sup>(٣)</sup>، ويصح أن يدخل في الحنث نقضهم للعهد الذي أخذ عليهم وهم في ظهور آبائهم من شهادتهم أن الله ربح لا شريك له كما ذكره المولى سبحانه في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾<sup>(٤)</sup>، وكل ما سبق يتضمن الكفر فقال بعض المفسرين القول به على عمومه أولى<sup>(٥)</sup>، ونص على ذلك بعضهم فقال: "وقد يكون المراد بالحنث العظيم الذنب العظيم الذي يجمع الشرك بالله وإنكار البعث، أي يديمون ويعزمون على الذنب الكبير، كالشرك وإنكار البعث<sup>(٦)</sup>"، والمقدم تخصيصه بالشرك لما سبق من أدلة سابقة وللمغايرة والله أعلم بحقائق كلامه.

وفي الآية "مبالغات من وجوه أحدها: قوله تعالى: (كانوا يصرون) وهو أكد من قول القائل: إنهم قبل ذلك أصروا لأن اجتماع لفظي الماضي والمستقبل يدل على الاستمرار، لأن قولنا: فلان كان يحسن إلى الناس، يفيد كون ذلك عادة له ثانيها: لفظ الإصرار فإن الإصرار مداومة المعصية والغلول، ولا يقال: في الخير أصر<sup>(٧)</sup>"، ولفظ الإصرار بمضارعه مع التعبير بالزمن الماضي بـ(كانوا) يفيد معنى الديمومة على سبيل التجديد مما لهم من الميل الجبلي

(١) نظم الدرر للبقاعي (٣٨٣/٧).

(٢) سورة النحل، آية: (٣٨)

(٣) ينظر: تفسير القرآن للسمرقندي ٣/٣٧٣، الوجيز للواحدي ٢/١٠٦١، المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٢٤٦، زاد

المسير لابن الجوزي ٨/١٤٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢١٣، لباب التأويل للخازن ٧/٢١، غرائب القرآن

للنيسابوري ٦/٢٤٢، البحر المحيط لابن حيان ٨/٢٠٩، روح المعاني للآلوسي ٢٧/١٤٤

(٤) سورة الأعراف، آية: (١٧٢).

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٢٤٦/٥)

(٦) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٤٥٨)

(٧) التفسير الكبير للرازي (٢٩/١٧٢)

إلى ذلك<sup>(١)</sup>، "وصيغة المضارع في ( يصرون ( و ) يقولون ( تفيد تكرار الإصرار والقول منهم<sup>(٢)</sup>"، "ووصفه بالعظيم مبالغة على مبالغة<sup>(٣)</sup>".

ثم تابع المولى تعداد ما كان سببا في عذابهم، فبعد أن ذكر عيشتهم ثم أفعالهم ذكر أقوالهم التي تخالف الفطرة والعقل السليم من إنكار البعث وحججهم الواهية فقال الحق سبحانه:

﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيْ نَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

### القراءات:

قرأ نافع<sup>(٤)</sup> وحمة والكسائي وحفص<sup>(٥)</sup> عن عاصم بكسر ميم ( متنا ) ، والباقون من السبعة بضمها ، وهم ابن كثير المكي<sup>(٦)</sup> وابن عامر الدمشقي<sup>(٧)</sup> وأبو عمرو<sup>(٨)</sup> وشعبة عن

(١) نظم الدرر للبقاعي (٣٨٣/٧)

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٤٥/٢٧)

(٣) غرائب القرآن للنيسابوري (٢٤١/٦)

(٤) هو: نافع بن عبد الرحمن المدني، أبو عبد الرحمن، أحد القراء العشرة المتواترة قراءتهم، أخذ القراءة عن سبعين من التابعين، وهو إمام أهل المدينة، أشهر رواته: قالون، وورش، ثويي عام: ١٧٠، وقيل: ١٦٩هـ، معرفة القراء الكبار: ١٠٧/١-١١١، غاية النهاية: ٣٣٠/٢-٣٣٤.

(٥) هو: حفص بن سليمان بن المغيرة بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضي البزاز. نسبة لبيع البز أي الثياب. ولد سنة تسعين. ويعرف بجفيص، في القراءة ثقة ثبت ضابط، أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم وكان ربيباً له، وكان أعلم تلاميذه بقراءته، ومن أخذ على حفص: حسين بن محمد المروزي، والفضل بن يحيى الأنباري، توفي سنة ١٨٠هـ. ينظر: السبعة في القراءات ٩٥/١، غاية النهاية ٢٥٤/١.

(٦) هو: عبد الله بن كثير بن عمرو المكي، أبو معبد، أحد القراء السبعة، فارسي الأصل، وُلِدَ سنّة: ٤٥هـ، وقيل: ٤٨هـ، إمام أهل مكة في القراءة، كان فصيحاً بليغاً مفوهاً، تُوفِّي عام: ١٢٠هـ، وقيل: ١٢٢هـ، يُنظر: تهذيب الكمال: ٤٦٨/١٥، غاية النهاية: ٤٤٣/١.

(٧) هو: عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصبي المقري الدمشقي أبو عمران. ولد ابن عامر سنة ٢١هـ إمام أهل الشام في القراءة والذي انتهت إليه مشيخة الأقرء بها كان إماماً كبيراً وتابعياً جليلاً أم المسلمين بالجامع الأموي سنين كثيرة روى القراءة عنه عرضاً يحيى بن الحارث الذمري وهو الذي خلفه في القيام بها توفي بدمشق سنة ١١٨هـ ورواه هشام وابن ذكوان. ينظر: السبعة في القراءات ٨٥/١، تهذيب التهذيب ٢٤٠/٥.

(٨) هو: أبو عمرو بن العلاء ابن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهمة بن خزاعي، مولده في نحو سنة سبعين، كان مقدماً في عصره عالماً بالقراءة ووجهها، قرأ على أهل الحجاز وسلك في القراءة طريقهم ولم تزل العلماء في زمانه تعرف له تقدمه وتقر له بفضلته وتآتم في القراءة بمذاهبه، قرأ على مجاهد، وسعيد بن جبير، ويحيى بن أبي

عاصم<sup>(١)</sup>(٢)، والكسر أكثر وذلك تبعا للسمع لا للقياس فالسمع مقدم عليه، أو لأنه من مات يمات لغة في مات يموت فاستعمل مافيهما الكسر لأن الكسر في الماضي يوجد أكثر<sup>(٣)</sup>.  
 السياق في مقام تعداد ما كان سببا فيما ذكر لهم من عذاب السموم والحميم واليحموم<sup>(٤)</sup>، والقرآن الكريم ذكر تكذيبهم للبعث في أكثر من موضع ففي سورة الرعد يذكر ذلك في قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أءِذَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾<sup>(٥)</sup>  
 وفي سورة النمل قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَاَبَاؤُنَا أَنِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾<sup>(٦)</sup>  
 وفي سورة ق قول الله سبحانه: ﴿أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾<sup>(٧)</sup> فيذكر استبعادهم للبعث بأسلوب الاستفهام، والاستفهام هنا يحسن نعتة بالاستفهام الانكاري التهكمي وهو ما بينته الآيات في سورة الصافات حيث رد القرآن عليهم بما يقابل أسلوبهم المستبعد للبعث بأشنع رد إذلالا لهم وإرغاما فقال سبحانه: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾<sup>(٨)</sup>  
 فأجابهم بتحقيق ما سخرُوا منه استبعادا له وهم صاغرون أذلاء، "فالله تعالى أجابهم ورد عليهم في الجواب في كل مبالغة بمبالغة أخرى"<sup>(٩)</sup> من جنس مبالغتهم.  
 وفي سورة يس يبين أنهم كانوا يستبعدون البعث بنفس الأسلوب الاستفهامي التهكمي حيث

☞ =

كثير وغيرهم، توفي سنة (١٥٧هـ)، وهو ابن ست وثمانين سنة. ينظر: التيسير في القراءات السبع ٣/١، السبعة في القراءات ٧٩/١، سير أعلام النبلاء ٤١٠/٦.

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٥٢٣/٧)

(٢) ينظر: السبعة في القراءات (ص: ٦٢٣).

(٣) التفسير الكبير للرازي (١٤٤/٢٩)

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٨٣٤/٧)

(٥) سورة الرعد، آية: (٥).

(٦) سورة النمل، آية: (٦٧)

(٧) سورة ق، آية: (٢)

(٨) سورة الصافات، آية: (١٨).

(٩) التفسير الكبير للرازي (١٧٢/٢٩).

قال سبحانه: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد ورد عند الحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء العاصي بن وائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل (متغير قد غيره البلي) ففته، فقال يا محمد أيعث هذا بعد ما أرم (أي بعد ما بلي) قال: نعم يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار

جهنم، فنزلت الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup> إلى آخر السورة<sup>(٣)</sup>.

وأخرج ابن أبي حاتم<sup>(٤)</sup> من طرق عن مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير<sup>(٥)</sup> والسدي<sup>(٦)</sup> نحوه<sup>(٧)</sup>، وسموا الإنسان أبي بن خلف.

وتكرار الهمزة في الموضعين تأكيد لانكارهم البعث وحياة الأجساد بعد أن تبلى<sup>(٨)</sup>، "وفيه

(١) سورة يس، آية: (٧٨).

(٢) سورة يس، آية: (٧٧).

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، تفسير سورة يس، برقم: (٣٦٠٦)، (٢/٤٦٦) وقال الذهبي: صحيح، على شرط البخاري ومسلم.

(٤) عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد: حافظ للحديث، من كبارهم. كان منزله في درب حنظلة بالرقي، وإليهما نسبته. ولد سنة: (٢٤٠) وتوفي سنة: (٣٢٧هـ)، وله تصانيف، منها (الجرح والتعديل)، و (التفسير)، و (الرد على الجهمية)، و (علل الحديث). الأعلام للزركلي (٣/٣٢٤).

(٥) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. كان عالماً بالدين، صالحاً كريماً، لم يدخل في شئ من الفتن. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين. وعاد إلى المدينة فتوفي فيها ٩٣ هـ. وهو أخو عبد الله بن البير لأبيه وأمه. انظر: الأعلام للزركلي (٤/٢٢٦).

(٦) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير، أبو محمد الكوفي الأعور، صاحب التفسير، أصله حجازي، روى عن ابن عباس، وأنس، وطائفة، زمي بالتشيع، أخرج له الجماعة إلا البخاري، توفي عام: ١٢٧ هـ، يُنظر: تهذيب التهذيب: ٢٩٤/١، ٢٩٥، طبقات المفسرين للدأودي: ٧٩، نيل السائر في طبقات المفسرين: ٣٩.

(٧) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره، سورة يس، الآيات: ٧٧، ٧٨، ٧٩، رواية ابن عباس برقم: (١٨١٢٠)، ورواية مجاهد برقم: (١٨١٢١)، ورواية عكرمة برقم: (١٨١٢٣)، ورواية عروة بن الزبير برقم: (١٨١٢٤)، ورواية السدي برقم: (١٨١٢٢)، (١٠/٣٢٠٢).

(٨) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/١٩٥، فتح القدير للشوكاني ٥/١٥٤، التحرير والتنوير للظاهر بن عاشور ٢٧/١٥٤.

من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه<sup>(١)</sup> ولذلك استشهدوا بموت آبائهم السالفين ليؤكدوا ما هم فيه من ضلال المعتقد باستحالة بعث الأجساد، وذكرهم لآبائهم هو من باب الإستدلال على استحالة بعث الأبعد هلاكاً من أنفسهم التي لم تمت بعد أو من آبائهم الأقربين ولذلك نصوا على الأولين الذين قد تحولت أجسادهم تراباً ولم يصبح لها اثراً أبداً، وهم يذكرون آباءهم الأولين حجة لتأكيد معتقدهم الباطل في نفي البعث بعد الموت وإلماحا إلى إحيائهم ليصدقوا بالبعث، وقد طلبوا إحياء آبائهم صراحة تعجيزاً للرسول وتكديبا لأمر البعث، كما في سورة الجاثية حيث قال الحق عنهم: ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَيْنَ تَنَايَسْتِ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوَابِتَابًا بَيِّنًا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر بعض أهل التأويل أقوالاً في تكرار الاستفهام في قوله (ءأذا كنا) وقوله (ءأنا لمبعوثون) فقال بعضهم إن الأول ظرف زمان والآخر هو الذي وقع عليه الاستفهام، وقيل ليس الأول ظرفاً ولكنه جزء والجواب هو ما بعده، وقيل إن الأول استفهام وهو ظرف لشيء مذكور قبله كأنهم قيل لهم تبعثون فقالوا ءأذا كنا تراباً ثم جاء الثاني استفهاماً آخر وهو بعيد<sup>(٣)</sup>. والآية تبين أنهم جمعوا مع الشرك إنكار البعث بعد الموت<sup>(٤)</sup>، وفي ذكر إنكارهم للبعث بعد ذكر ترفهم وشركهم بالله بيان أنهم جمعوا عظام الذنوب، فاجتمع إنكارهم للبعث بالقول مع شركهم العملي مع ما كانوا فيه من نعمة بلغت حد الترف فحولوا شكر ما هم فيه من ترف إلى غير المنعم جحوداً وكفراناً وهو ما استحقوا عليه ذلك العذاب الأليم، فالآية الكريمة تثبت ما كانوا يعتقدون في قلوبهم بإظهار ما قالوا، فاجتمع فساد فعلهم وقولهم ومعتقدتهم. والآية تبين أنهم ذكروا التراب أولاً قبل العظام، "وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية"<sup>(٥)</sup>.

(١) ارشاد العقل السليم لأبي السعود (١٩٥/٨)

(٢) سورة الجاثية، آية: (٢٥).

(٣) ينظر جامع البيان للطبري (١٠٤/١٣)

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٥، جامع البيان للطبري ٢٧/١٩٤، بحر العلوم للسمرقندي ٣/٣٧٣.

(٥) ارشاد العقل السليم لأبي السعود (١٩٥/٨)



واللام المؤكدة في قوله: ( إنكم لمبعوثون ) على طريقة الاستفهام بمعنى الإنكار، وفي الآية ثلاثة أوجه بطريق التأكيد استعمال إن وإثبات اللام في خبرها وترك صيغة الاستقبال والإتيان بالمفعول كأنه كائن<sup>(١)</sup>.

"وفيها لطيفة وهي أنه أشار في الآيات الثلاث إلى الأصول الثلاثة فقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾<sup>(٤٥)</sup> من حيث الاستعمال يدل على ذمهم بإنكار الرسل، إذ المترف متكبر بسبب الغنى فينكر الرسالة، والمترفون كانوا يقولون: ﴿ أَبَشْرًا مِتًّا وَحِدًا نَتَّبِعُهُ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿ يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾<sup>(٤٦)</sup> إشارة إلى الشرك ومخالفة التوحيد، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدًا مِتًّا وَكُنَّا تُرَابًا ﴾ إشارة إلى إنكار الحشر والنشر<sup>(٣)</sup>."

والآية متناسقة مع ما قبلها "فلما وصفهم بالتترف والإصرار على السرف، وكان ذلك يلزم البطالة، وكان يلزم عنها الغباوة والفساد الموجب للشقاوة، ذكر إنكارهم لما لا أبين منه، فقال عاطفا على ما أفهمه التعبير عن الإثم بالحنث من نحو: فكانوا يقسمون بالله جهد أيماهم أنهم لا يبعثون وأن الرسل كاذبون: (وكانوا يقولون) أي إنكارا مجددين لذلك دائما جلافة أو عنادا: (أئذا) أي أنبعث إذا، وحذف العامل لدلالة (مبعوثون) عليه، ولا يعمل هو لأن الاستفهام وحرف التأكيد اللذين لهما الصدر معناه (متنا) أي فلم يبق في رد أرواحنا طب بوجه (وكنا) أي كونا ثابتا (ترابا وعظاما) ولما كان استفهامهم هذا لإنكار أن يكون في شيء من إقامة أبدانهم أو رد أرواحهم طب، أعاد الاستفهام تأكيدا لإنكارهم فقال: (أءنا لمبعوثون) أي كائن وثابت بعثنا ساعة من الدهر، وأكدوا ليكون إنكارهم لما دون المؤكد بطريق الأولى<sup>(٤)</sup>."

وجاءت همزة الإستفهام الثالثة في لفظ آباءهم تأكيدا لإنكارهم<sup>(٥)</sup>، وتعجبا من بعث من

(١) التفسير الكبير للرازي (١٧٣/٢٩)

(٢) سورة القمر، آية: (٢٤).

(٣) التفسير الكبير للرازي (١٧٣/٢٩)

(٤) نظم الدرر للبقاعي (٩٠/٧)

(٥) تفسير البيضاوي (٢٨٨/٥)

بليت أجسادهم<sup>(١)</sup> وحجة لعقيدتهم وتعجيزا واستبعادا لحقيقة البعث.

وقدمت الهمزة على الواو حرف العطف في ( أو آباؤنا ) مع أن حقها التأخير لأن الإستفهام له صدر الكلام فقدمت<sup>(٢)</sup>، وهي ليست بواو أو<sup>(٣)</sup>؛ ولذلك قرأها أكثر القراء على الفتح، فقرأ قالون<sup>(٤)</sup> عن نافع وابن عامر بإسكان الواو والباقون من السبعة بفتحها، وهي على الحاليين واو عطف<sup>(٥)</sup>، وقيل ليست معطوفة على الضمير إذ لا فاصل<sup>(٦)</sup>.

"وكانت أفهامهم واقفة مع المحسوسات لجمودهم، وكان البلى كلما كان أقوى كان ذلك البالي في زعمهم من البعث أبعد، قالوا مخرجين في جملة فعلية عطفًا على الواو من (معبوثون) من غير تأكيد بضمير الفصل بالاستفهام: ( أو آباؤنا ) أي يبعث أي الذين قد بليت مع لحومهم عظامهم، فصاروا كلهم ترابا ولا سيما إن حملتهم السيول ففرقت تراهم في كل أوب، وذهبت به في كل صوب<sup>(٧)</sup>"، ونسوا أو تناسوا قدرة الخالق على إعادة الخلق.

وبعد أن ذكر السبب الثالث فيما ذكر لهم من عذاب وبين شدة تمسكهم بما هم عليه من اعتقاد ينافي ما جاء به الرسول، أمر الرسول ﷺ بالرد عليهم فقال الحق سبحانه:

﴿ قُلِ اتَّأْتُوا الْآوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

الآية تقرير لحقيقة البعث الذي هي محور السورة ومدارها الأساس، فبدأ بتقريره مطلع السورة ثم قرره هنا في وسط السورة، وسيأتي تأكيد هذه الحقيقة في آخرها بتقرير حقيقة الموت الحتمية، فتكون السورة الكريمة قد تعرضت لمحور السورة وتقريره في مطلعها ووسطها وخاتمها.

(١) جامع البيان للطبري (١٩٤/٢٧)

(٢) ينظر: البحر المحيظ لأبي حيان ٩٠/٨، التحرير والتنوير للظاهر بن عاشور ١٥٤/٢٧، أضواء البيان للشنقيطي (٨٣٤/٧)

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (١٤٤/٨)

(٤) عيسى بن مينا بن وردان الزُّهري، أبو موسى، ولقبه: قالون، الإمام المدني المقرئ، وهو راوٍ عن نافع، وهو الذي سمَّاه قالون لجودة قراءته، تُوفيَّ عام: ٢٢٠هـ، معرفة القراء الكبار: ٣٢٦/١، غاية النُّهاية: ٦١٥/١.

(٥) أضواء البيان للشنقيطي (٨٣٤/٧)

(٦) روح المعاني للآلوسي (١٤٥/٢٧)

(٧) نظم الدرر للبقاعي (٩٠/٧)

"فلما ذكر تعالى استفهامهم عن البعث على طريق الاستبعاد والإنكار ، أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم ببعث العالم ، أولهم وآخرهم ، للحساب ، وبما يصل إليه المكذبون للبعث من العذاب<sup>(١)</sup>" ، " ولما كانوا في غاية الجلافة ، رد إنكارهم بإثبات ما نفوه ، وزادهم الإخبار بإهانتهم ثم دل على صحة ذلك بالدليل العقلي لمن يفهمه ، فقال مخاطبا لأعلى الخلق<sup>(٢)</sup>" ( قل ) ، فأمر الله نبيه الكريم بالرد عليهم بالقول مقابل قولهم وفيه أمر تكليف بالبلاغ ، "وافتحح الكلام بالأمر بالقول للاهتمام به كما افتتح به نظائره في آيات كثيرة ليكون ذلك تبليغا عن الله تعالى . فيكون قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ ﴾ الخ استئنافا ابتدائيا لمناسبة حكاية قولهم : ﴿ أَيِّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ﴾<sup>(٣)</sup>" .

"ولما جرى تعليل ما يلاقيه أصحاب الشمال من العذاب بما كانوا عليه من كفران النعمة، وكان المقصود من ذلك وعيد المشركين وكان إنكارهم البعث أدخل في استمرارهم على الكفر أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يخاطبهم بتحقيق وقوع البعث وشموله لهم ولآبائهم ولجميع الناس ، أي أنبئهم بأن الأولين والآخرين ، أي هم وآباؤهم يبعثون في اليوم المعين عند الله ، فقد انتهى الخبر عن حالهم يوم ترج الأرض وما يتبعه<sup>(٤)</sup>" .

والبدء بإن فيه تحقيق ما بعدها وذلك إقامة لحجة البلاغ عليهم وعلى كل من أنكر حقيقة مقررة عقلا وشرعا، وفيها معنى الإعلان العام لتلك الحقيقة.

"والمراد ب ( الأولين ) : من يصدق عليه وصف ( أول ) بالنسبة لمن بعدهم ، والمراد ب ( الآخرين ) : من يصدق عليه وصف آخر بالنسبة لمن قبله<sup>(٥)</sup>" .

وبدأ بالأولين جوابا لاستفهامهم وردا على إنكارهم البعث<sup>(٦)</sup> واستبعادهم حياة الآباء

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٢٠٩/٨)

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٢٠٩/٧)

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٠٧/٢٧)

(٤) المرجع السابق من نفس الصفحة.

(٥) المرجع السابق من نفس الصفحة.

(٦) ينظر: التفسير الكبير للرازي (١٧٣/٢٩)، ارشاد العقل السليم لأبي السعود ١٩٥/٨، أضواء البيان للشنقيطي

الأولين لبعدهم زمنهم واستحالة حياتهم كما اعتقدوا وظنوا، "ومراعاة لاشتقاق اللفظ<sup>(١)</sup>" من قولهم ﴿أَوَّابًا وَأَنَا الْأَوَّلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وفيه أن الله أقدر على جمع الأولين كما هو قادر على جمع الآخرين على حد سواء، كما أن في البدء بالأولين الأولوية في التسلسل الزمني لحياة الناس و"الترتيب الوجودي"<sup>(٢)</sup> لهم.

وفي الآخرين إلماح إلى أنهم مقصودون جاء ذلك موضحا في قوله: ﴿جَمَعْنَاهُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، ثم "دل على سهولة بعثهم، منبها على أن نقلهم بالموت والبلى تحصيل لا تفويت: ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ بصيغة اسم المفعول، في المكان الذي يكون فيه الحساب<sup>(٤)</sup>".

ولفظ مجموعون بيان لتسمية ذلك اليوم بيوم الجمع كما ورد ذلك في سورة التغابن في قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾<sup>(٥)</sup>، وأكد جمعهم باللام المؤكدة وهو في مقابل اللام التي تؤكد معتقدتهم باستحالة البعث في قولهم (لمبعوثون)، وهي لتأكيد الحقيقة التي عنيت السورة الكريمة بتقريرها من أمر البعث والنشور، وفي اللام معنى القسم على جمعهم<sup>(٦)</sup>. كما أن التعبير بلفظ الجمع مع التأكيد باللام وبيان توقيته بيوم معلوم الزمان والمكان فيه أمر زائد على تقرير ما أنكروه من حقيقة بعثهم وآبائهم وهو أن الله الخالق القدير سبحانه قادر على جمع الجميع وفي وقت ومكان واحد محدد ومعين وهو هين عليه، وفي ذلك إشارة لبيان عظمة قدرة الخالق سبحانه، "وهذا كقوله تعالى في سورة الصافات: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾<sup>(٧)</sup> أي أنتم تستبعدون نفس البعث، والأعجب من هذا أنه يبعثهم بزجرة واحدة أي

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣/٢٦٤)

(٢) ارشاد العقل السليم لأبي السعود (٨/١٩٥)

(٣) سورة المرسلات، آية: (٣٨).

(٤) نظم الدرر للبقاعي (٧/٢٠٩) بتصرف يسير

(٥) سورة التغابن، آية: (٩).

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢١٤، الباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٨/٢٠٩

(٧) سورة الصافات، آية: (١٩)

صيحة واحدة : ﴿ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (١٩) ﴿ (١) أي يبعثون مع زيادة أمر ، وهو فتح أعينهم ونظرهم (٢) ، وقيل ضمّن لفظ مجموعون معنى السوق أي مسوقون (٣) ، ويقول الطاهر بن عاشور: " وقد ضمن ( مجموعون ) معنى مسوقون ، فتعلق به مجروره بحرف ( إلى ) للانتهاء ، وإلا فإن ظاهر ( مجموعون ) أن يعدى بحرف ( في ) ، وأفاد تعليق مجروره به بواسطة ( إلى ) أنه مسير إليه حتى ينتهي إليه ، فدل على مكان . وهذا من الإيجاز (٤) " .

وفي التعدية بإلى التي للغاية والانتهاء لبيان الانتقال من دار إلى دار ومن حال إلى حال مختلفة تماما، وفيه بيان التفاوت الكبير بين الدارين والحالين بالكلية ولذلك عداها بإلى المتضمنة معنى الانتقال مع تفاوت المقام، ولم يعديها باللام فلم يقل ( مليقات ) .

ولفظ ميقات مشتق من التوقيت، وهو " ما وقت به الشيء من زمان أو مكان أي حد (٥) ، وجيء به لبيان أن له موعدا مؤقتا لا يجيد عنه لا تقدمة ولا تاخيرا: ﴿ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣٠) ﴿ (٦) ، ولذلك أكده بما بعده من تخصيصه بيوم معلوم الوقت والزمان، وقد جاء معنى التوقيت موضحا في قوله: ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ ﴾ (١١) ﴿ (٧) فسماه بعد ذلك بقوله ﴿ لِيَوْمٍ الْفَصْلِ ﴾ (١٣) ﴿ (٨) .

ونكر يوما لبيان خفائه على الخلق، وعرفه بقوله معلوم أي معلوم زمن توقيته لمن وقته وبعلامات قربه التي بينها للناس في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، والمقصود باليوم المعلوم الواقعة

(١) سورة الصافات، آية: (١٩)

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٧٤/٢٩) .

(٣) روح المعاني للآلوسي (١٤٥/٢٧)

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٠٧/٢٧)

(٥) نظم الدرر للبقاعي (٢٠٩/٧)

(٦) سورة سبأ، آية: (٣٠) .

(٧) سورة المرسلات ، آية: (١١) .

(٨) سورة المرسلات ، آية: (١٣) .

التي ابتدأ بها في مطلع السورة والتي تؤكد حقيقة البعث وفيه "رجوع إلى أول السورة"<sup>(١)</sup>.  
 "وإضافة ( ميقات ) إلى ( يوم معلوم ) لأن التجمع واقع في ذلك اليوم . وإذ كان التجمع  
 الواقع في اليوم واقعا في ذلك الميقات كانت بين الميقات واليوم ملابسة صححت إضافة  
 الميقات إليه لأدنى ملابسة وهذا أدق من جعل الإضافة بيانية . وهذا تعريض بالوعيد بما يلقونه  
 في ذلك اليوم الذي جحدوه، هذا من جملة ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوله لهم"<sup>(٢)</sup>،  
 وأفاد اللفظ بجمع الأولين والآخرين الجزاء على اعمالهم التي عملوها في دار التكليف"<sup>(٣)</sup>.  
 ولما كرر ذكر المعاد بعبارات شتى ذكر طرفا من حال المكذبين المعاصرين ومن ضاهاهم"<sup>(٤)</sup>  
 فقال الحق سبحانه:

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْتَاءُ الْمُنْكَرُونَ ٥١ ﴾

بدئت الآية بـ ( ثم ) العاطفة، وتفيد معنى التراخي الزمني أو الرتي<sup>(٥)</sup> ولذلك جيء بها بعد  
 بيان سبب ما استحقوا من عذاب لتكامل سياق الآيات في بيان أنواع عذابهم، كما أنها تفيد  
 الاهتمام بالمعطوف عليه وأن ما سيذكر من العذاب أعظم وأشد مما سبق، قيل انها معطوفة  
 على ﴿إِنَّ الْأَوَّلِينَ...﴾ داخل في حيز القول"<sup>(٦)</sup>.

و ( ثم ) تأتي للترتيب الذكري والترتيب الإخباري والترتيب الزمني ويصح أن يتحقق كل ذلك  
 فيها في هذه الآية حيث يجوز أن يكون المقصود الترتيب الذكري لأنواع عذابهم وكذا الترتيب  
 الإخباري عن عذابهم، والترتيب الزمني فيكون بعد السموم والحميم والظل من يحموم يأتي  
 عذابهم الأشد، وثم التي تدل على التراخي الزمني تؤيد ما ذهب إليه بعض أهل التأويل أن  
 العذاب الأول من قوله تعالى ﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾<sup>(٤٢)</sup> الآيات هو في يوم المحشر مستدلين

(١) تفسير غرائب القرآن للنيسابوري (١٠٦١/٦)

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٠٧/٢٧)

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٨٣٤/١)

(٤) غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري (١٠٦١/٦)

(٥) ارشاد العقول السليم لأبي السعود (١٩٥/٨)، روح المعاني للآلوسي (١٤٥/٢٧)

(٦) ينظر: فتح القدير للشوكاني (١٥٤/٥)، روح المعاني للآلوسي (١٤٥/٢٧)

بآية المرسلات ﴿ أَنْظِلُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تَلَدٍ شُعْبٍ ﴾ (٣٠) <sup>(١)</sup> ولأن هناك فترة زمنية بين حسابهم ودخولهم جهنم جاءت ثم لتؤكد أن العذاب الاول كان في المحشر ثم إذا دخلوا جهنم فلهم العذاب الأشد من مأكّل ومشرب، وسياق الآيات فيه دلالة على تلك المعاني من حيث الترتيب الزمني المتراخي المعطوف بـ (ثم)، حيث بدأ بذكر عذابهم في المحشر ويكون قبل البدء في حسابهم، ثم ذكر الاسباب التي جعلتهم من اصحاب الشمال واستحقوا ما هم فيه من العذاب يوم القيامة وفي ذكر تلك الاسباب إشارة إلى حسابهم ومناقشتهم يوم الحساب، ويكون ذلك يوم المحشر وما فيه من عذاب قبل دخولهم النار، ثم بعد مناقشتهم وتقريرهم استحقاق عذابهم يدخلون جهنم فيلاقون من عذابها ما سيذكر من مأكّل ومشرب وقد أكدّه بقوله ﴿ هَذَا نَزَلْنَاهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (٥٦)، وله وجاهته ولكن يجاب عليه بأن العذاب المذكور في الآيات كله في جهنم وليس منه شي في المحشر إذ لو كان الذي ذكر بعد قوله ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتَآ أَلْضَّآلُونَ الْمُكذَّبُونَ ﴾ (٥١) مقصود به عذابهم في النار وأن العذاب المذكور في المحشر لجاء بما يؤكد ذلك ويبيّنه كإضافة لفظ (بعد) في قوله ثم إنكم بعد ايها الضالون المكذبون أو نحو ذلك مما يفيد تغاير مكان العذابين.

والخطاب بيا أيها وإن قال بعض المفسرين إنه لأهل مكة استدلالاً بخطاب الله لنيبه بالرد عليهم في إنكارهم للبعث فقال: ﴿ قُلْ إِيَّاتِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴾ (٤٩) ﴿ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (٥٠)، إلا أنه عام في حق كل ضال مكذب <sup>(٢)</sup>.

ويفهم من السياق أن مناداتهم بيا أيها على وجه الإهانة والإذلال وليس الكرامة حيث وصفهم بالضالين والمكذبين وهما وصفان قبيحان <sup>(٣)</sup>، ويؤكد ذلك زيادة الوصف المركب مع أن الضلال يشمل الكذب وغيره، فيدخل في الضالين كل معاني الضلال من كذب وحجود ورد للحق وعمل بالباطل، إلا أنه نعتهم بالضلال وزاد وصفهم بالكذب.

(١) سورة المرسلات، آية: (٣٠)

(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي (١٧٥/٢٩)

(٣) ينظر: ارشاد العقل السليم لأبي السعود ٢٠٢/٨، فتح القدير للشوكاني (١٥٤/٥)

وفي الضلال معنى اتباع الباطل بشتى صورته إلا أن السياق يشير إلى الشرك الذي وصفه الله بالحنث العظيم، وفي التكذيب معنى رد الحق بشتى صورته إلا أن السياق يشير إلى تكذيبهم بالبعث للجزاء والذي انكروا وقوعه واستدلوا على استحالته بموت آبائهم الأولين، وهو ما يدل على تعمدهم سلوك الضلالة واتباع الباطل مع معرفتهم للحق ورده.

وفي تقديم الضلالة على التكذيب إشارة إلى أن ضلالهم كان سببا في تكذيبهم، فالتكذيب تابع وهو ناشيء من الضلال وفرع منه، ولأنهم في زمن التكليف فهم على قدرة عن الرجوع عن التكذيب والاعتراف بالحق حتى لا يكونوا من الضالين الذين يستحقون ذلك العذاب الموصوف، وفيه معنى الوعظ لهم والزجر للرجوع للحق، ولذلك قدم الضلال على التكذيب هنا وأخره في آخر السورة لأن سياق الآيات في آخر السورة وصف لهم بعد الموت ومن مات لا يعود للدنيا للتصديق ولذلك حكم عليهم بالضلال بسبب تعنتهم وعدم رجوعهم عن التكذيب فضلالهم صار وصفا لازما لهم لا يستطيعون الإنفكاك عنه لانتهاء زمن التكليف.

"فقدم وصف (الضالون) على وصف (المكذبون) مراعاة لترتيب الحصول لأنهم ضلوا عن الحق فكذبوا بالبعث ليحذروا من الضلال ويتدبروا في دلائل البعث وذلك مقتضى خطابهم بهذا الإنذار بالعذاب المتوقع<sup>(١)</sup>". ثم ذكر طعامهم وشرابهم في الآخرة<sup>(٢)</sup>، وهو في مقابل ما أعد أعد الله لأهل الجنة من طعام وشراب والقرآن مثاني فقال الحق سبحانه:

﴿لَا كُفُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ﴾<sup>(٥٢)</sup>

اللام هي الداخلة على خبر إن وهي بيانية، وذكر الطعام هنا في مقابل ذكر طعام السابقين وطعام أصحاب اليمين، ولما كان الأكل من الضرورات التي فطر الله الإنسان عليها فقد ذكر الله نوع طعامهم في دار إقامتهم<sup>(٣)</sup> والذي أعد لهم استحقاقا جزاء أعمالهم، وفي ذكر الطعام إشارة إلى نعمة الطعام التي وهبهم الله ويسرها لهم لتتغذى بها أجسادهم وليتمتعوا بها فيشكروا المنعم، فصرفوا شكرها لغيره بدل أن يشكروه وفي هذا قمة الجحود والنكران.

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٠٩/٢٧)

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣١٥/٣)

(٣) ارشاد العقل السليم لأبي السعود (١٩٦/٨)



و ( من ) الأولى للبيان؛ بيان نوع الاكل وأنه من شجر، وفيها معنى الحصر ليخرج جميع أنواع الشجر سوى الشجر المذكور، وقيل من للتبعيض أو ابتداء الغاية<sup>(١)</sup>.

ثم بين نوع الشجر المأكل منه وهو الزقوم، و ( من ) الثانية لبيان الجنس<sup>(٢)</sup>، جنس الشجر ونوعه وأنه الزقوم، وفي مسماه إشعار بما يحمله من الغصة والألم والعذاب، وعرفه بعض أهل التأويل بقوله: " والزقوم كل طعام يصعب على الإنسان أكله ويشق عليه"<sup>(٣)</sup>، ووصف بأنه شجر كرهه المنظر كرهه الطعم وأنه من شجر العذاب ينبت في النار، وهو أقبح الأشجار وأخسها وأنتنها ريحا وأبشعها منظرا<sup>(٤)</sup>، وقد وصف الله منظرها في سورة الصافات بقوله:

﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾<sup>(٦٥)</sup> ، وبين الحق مكان منبتها وأصلها فقال سبحانه

وتعالى: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾<sup>(٦٤)</sup> ، وفي سورة الدخان يقول الله

تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ<sup>(٤٣)</sup> طَعَامُ الْأَثِيمِ<sup>(٤٤)</sup> كَأَلْمَهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ<sup>(٤٥)</sup>

كَغَلِي الْحَمِيمِ<sup>(٤٦)</sup> ﴾<sup>(٧)</sup> ، فذكر حالهم عند أكلهم من هذه الشجرة ووصف ما فيها من عذاب عند الأكل منها، "فلما كان الشجر معدن الثمار الشهية كالسدر والطلح ، بينه

(١) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٢٤٧/٥، التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ١٢٠٥/٢، تفسير البيضاوي ٢٤٧/٥، غرائب القرآن للنيسابوري ٢١/٦، البحر المحيط لأبي حيان ٢٠٩/٨، ارشاد العقل السليم لأبي السعود ١٩٦/٨، فتح القدير للشوكاني ١٥٤/٥، روح المعاني للألوسي ١٤٥/٢٧

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٢٤٧/٥، تفسير البيضاوي ٢٤٧/٥، غرائب القرآن للنيسابوري ٢١/٦، البحر المحيط لأبي حيان ٢٠٩/٨، ارشاد العقل السليم لأبي السعود ١٩٦/٨، فتح القدير للشوكاني ١٥٤/٥

(٣) تفسير القرآن للسمعاني (٣٥٣/٥)

(٤) ينظر: الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٢١٤/١٧، نظم الدرر للبقاعي ٢٠٩/٧، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٤٠٩/١٨، فتح القدير للشوكاني ١٥٤/٥، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣١٠/٢٧، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٨٣٤/١

(٥) سورة الصافات، آية: (٦٥).

(٦) سورة الصافات، آية: (٦٤).

(٧) سورة الدخان ، آية: (٤٣-٤٦).

بقوله: ﴿مِنْ زُقُومٍ﴾ أي شيء هو في غاية الكراهة والبشاعة في المنظر وبتن الرائحة والأذى<sup>(١)</sup>.  
ولأن محل الجوع والشبع هو البطن فقد ذكر حالهم في أكلهم من هذه الشجرة وهمهم منها  
مع مافيها من الكراهة والعذاب يقول الحق سبحانه:

### ﴿فَالَّذِينَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾

الفاء سببية<sup>(٢)</sup> وهي للتعقيب بزيادة الترهيب في عذابهم، وحتى لا يظنون أنهم سيمتنعون  
عن الأكل منها أو لن يكثروا الاكل منها لما وصف فيها من غصة وخبث وكراهة منظر ورائحة  
وطعم، فذكر أنهم سيملتون بطونهم من هذه الشجرة على ما فيها من عذاب، وقد أكد ذلك  
المعنى في سورة الصافات بعد أن وصفها بأبشع الوصوف، فقال ومع ذلك فإنهم سيملاؤن منها  
بطونهم: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَاتَّهَمُّ  
لَأَكُونَ مِنْهَا فَمَا لُؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٣﴾﴾، وفي ذلك إشارة إلى شدة العذاب الذي يلاقونه حتى  
يصبح تزقمهم لهذه الشجرة الخبيثة حاجة ضرورية مع ما فيها من خبث وكراهة وألم، فيجبسون  
في العذاب ويقاسون آلامه ويقبضون ويسجرون<sup>(٤)</sup> حتى تستقبل نفوسهم ما يقدم لهم من طعام  
فيأكلون من شجر الزقوم على ما فيه من خبث وكراهة حتى تمتليء بطونهم لشدة جوعهم<sup>(٥)</sup>،  
وأوجب لهم الأكل منه حتى تمتليء بطونهم تعذيباً لهم<sup>(٦)</sup>.

وذكر أهل اللغة ان الشجر يؤنث ويذكر، فأنت على المعنى في قوله: ( منها ) فالهاء

(١) نظم الدرر للبقاعي (٤١٣/٧)

(٢) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (٤٨٤/٢)

(٣) سورة الصافات، آية: (٦٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٩٦/٤)

(٥) ينظر: تفسير البيضاوي ٢٨٩/٥، ارشاد العقل السليم لأبي السعود ١٩٦/٨، فتح القدير ١٥٤/٥، روح المعاني

للألويسي ١٤٥/٢٧، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٨٣٤/١)

(٦) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٨٣٤/١)

للشجر<sup>(١)</sup>، "ومن العرب من يقول الشجر الخضراء"<sup>(٢)</sup>، يقول الطاهر بن عاشور: "وتأنيث ضمير الشجر في قوله: ﴿فَالثُّونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾<sup>(٣)</sup> لأن ضمائر الجمع لغير العاقل تأتي مؤنثة غالباً"<sup>(٣)</sup>، وقيل منها " يعني من طلعتها وثمرها"<sup>(٤)</sup>، ومن للتبعيض أو ابتداء الغاية<sup>(٥)</sup>.

"والشجرة ، أنه لأنه جمع شجر أو هو اسم جنس ، وهم يكرهون الإناث فتأنيثه - والله أعلم - زيادة في تنفيرهم منه (البطون) أي لشيء عجيب يضطركم إلى تناول هذا الكريه مما هو أشد منه كراهة بطبقات من جوع أو غيره ، وإن فسرت بما قالوا من أنه معروف لهم أنه الزبد بالتمر لم يضر ذلك بل يكون المعنى أنهم يتملؤون منها تملأً من يأكل من هذا في الدنيا مع أنه من المعلوم أنه لا شيء في النار المعدة للعذاب لمن أعدت لعذابه حسن"<sup>(٦)</sup>.

وقيل إن في ذكر امتلاء بطونهم معنى إلزامهم كما سبق التنويه له ففيه "بيان لزيادة العذاب ، أي : لا يكتفي منكم بنفس الأكل ، كما يكتفى ممن يأكل الشيء لتحلة القسم ، بل يلزمون منها بأن يملئوا منها البطون، وقوله: 'البطون' إما مقابلة الجمع بالجمع ، أي : يملأ كل واحد منكم بطنه، وإما أن يكون لكل واحد بطون ، ويكون المراد منه ما في بطن الإنسان ، وهم سبعة أمعاء فيملئون بطون الأمعاء ، والأول أظهر ، والثاني أدخل في التعذيب"<sup>(٧)</sup>.

"والمقصود من قوله: ﴿فَالثُّونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾<sup>(٣)</sup> تفضيع حالهم في جزائهم على ما كانوا عليه من الترف في الدنيا بملء بطونهم بالطعام والشراب ملئاً أنسأهم إقبالهم عليه وشربهم من

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ١٩٥/٢٧، تفسير السمعاني ٣٥٣/٥، الكشاف للزمخشري ٤٦٢/٤، المحرر الوجيز

لابن عطية ٢٤٧/٥، التبيان في إعراب القرآن لأبي البلقاء ١٢٠٥/٢، البحر المحيط لأبي حيان ٢٨٩/٨، فتح القدير

١٥٤/٥، الدر المصون للسمين الحلبي ٥٣٧٨/١

(٢) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (٤٠٨/٣)

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣١١/٢٧)

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣١٦/٣)

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٢٤٧/٥)

(٦) نظم الدرر للبقاعي (٢٩٦/٧)

(٧) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٩٦/١٨)

التفكر في مصيرهم<sup>(١)</sup> وشغلهم.

ولما اعتاد الانسان في حياته الشرب بعد الأكل خاصة ما يكون فيه غصة وصعوبة للبلع، ولبيان نوع شرايهم في دار عذابهم قال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ٥٤ ﴾

عطف بالفاء بعد الفاء في الآية السابقة، والعطف بالفاء لإفادة التعقيب والفورية، وفيه إشارة إلى أنهم يشربون من الحميم عقيب أكلهم من شجر الزقوم بلا ريث<sup>(٢)</sup>.

والضمير في عليه قيل يعود على الأكل<sup>(٣)</sup> وقيل على الشجر<sup>(٤)</sup> وقيل على الزقوم<sup>(٥)</sup>، وفي تذكير الضمير من البيان البلاغي ما لا يخفى على المتأمل في الذكر الحكيم، بحيث يحتمل فيه أكثر من معنى وبما يتوافق مع السياق البلاغي للآيات، وهنا يترجح في الضمير أن يعود على الأكل لتصدره الضمائر، ولأنه المقصود من ذكره وذلك بيانا أن لهم أكلا في محل إقامتهم في مقابل ما ذكر الله للسابقين وأصحاب اليمين من نعيم الأكل، ويؤكد ذلك ذكر شرايهم بعده اقترانا، "فضمير ( عليه ) إنما جاء بصيغة المذكر لأنه عائد على الأكل المستفاد من قوله : (لأكلون) ، أي على ذلك الأكل بتأويل المصدر باسم المفعول مثل الخلق بمعنى المخلوق<sup>(٦)</sup>".

والحميم بيان نوع شرايهم ، وهو الماء الذي قد بلغ منتهى غاية الحرارة<sup>(٧)</sup> ، وهو في مقابل الشراب الذي ذكره الله في نعيم عباده السابقين وأصحاب اليمين ، وفي سورة محمد ﷺ يذكر المولى المقارنة بصورة واضحة يضرب فيها المثل بين الحاليين ويبين شراب أهل الجنة وشراب أهل

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣١٠/٢٧)

(٢) ينظر: ارشاد العقل السليم لأبي السعود ١٩٦/٨، فتح القدير للشوكاني ١٥٤/٥، روح المعاني للآلوسي

١٤٦/٢٧، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣١٢/٢٧

(٣) ينظر: تفسير مقاتل ٣١٦/٣، المحرر الوجيز لابن عطية ٢٤٥/٥، الباب في علوم الكتاب لابن عادل ٢٩٦/١٨.

روح المعاني للآلوسي ١٤٦/٢٧، تيسير الكريم المنان للسعدي ٨٣٤/١

(٤) جامع البيان للطبري ١٩٥/٢٧

(٥) فتح القدير للشوكاني ١٥٤/٥

(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣١١/٢٧)

(٧) ينظر: تفسير مقاتل ٣١٦/٣، جامع البيان للطبري ١٩٥/٢٧، فتح القدير للشوكاني ١٥٤/٥، التحرير والتنوير

للطاهر بن عاشور ٣١٠/٢٧

النار ترغيباً وترهيباً ، يقول سبحانه : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (١) ، وهذا الشراب لا يستغني عنه الانسان في حياته الدنيا ، وهو كذلك من النعم التي أنعم الله بها عليه ليشكره ، ومن المتع التي كان يتمتع بها ليحيا بها جسمه ويقوى على طاعة الله ، فلما صرفوا شكر نعمة الشراب في غير ما أمرهم الله وتعدوا فيه على ما حرم ونهى ، وصرفوا شكر ما أحل لهم منه لغيره وهو المستحق سبحانه عاقبهم بجنس الشراب عذاباً حميماً متناهي الحرارة ليقطع أمعاءهم جزاء كفرهم، وقد وصف الحق سبحانه الماء الذي يشربونه بالحميم كما في الآية وبأوصاف أخرى في أكثر من آية في القرآن ، فوصفه بنفس الوصف في سورة الأنعام في قوله سبحانه : ﴿...أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ (٢) ، وكذلك في سورة يونس عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ (٣) ، ومثله في سورة ص في قوله تعالى : ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴾ (٤) ، وفي سورة النبأ كذلك في قوله تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴾ (٥) ، كما وصفه بأوصاف أخرى، ففي سورة ابراهيم عليه السلام يصفه بالصديد فيقول سبحانه: ﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ ﴾ (٦) ، وفي سورة الكهف وصفه بالمهل يقول سبحانه: ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي

(١) سورة محمد، آية: (١٥).

(٢) سورة الأنعام، آية: (٧٠).

(٣) سورة يونس آية: (٤).

(٤) سورة ص، آية: (٥٧).

(٥) سورة النبأ، آية: (٢٤ ، ٢٥).

(٦) سورة إبراهيم، آية: (١٦ ، ١٧).

الْوَجُوهَ بِسِّبْ الشَّرَابِ ﴿١﴾ ، وقد يكون الصديد والمهل غير الحميم وهو تنوع في عذابهم، وفي مواضع أخرى يذكر الحق سبحانه أن الحميم يصب من فوق رؤسهم، ففي سورة الحج يقول المولى سبحانه: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ (٢) ، وفي سورة الدخان يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ (٣) .

"فلما كان من يأكل كثيرا يعطش عطشا فيشرب ما قدر عليه رجاء تبريد ما به من حرارة العطش ، سبب عنه قوله : ﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي على هذا الملىء أو الأكل ﴿مِنَ الْحَمِيمِ﴾ أي الماء الذي هو في غاية الحرارة بحيث ضوعف إحماؤه وإغلاؤه (٤)" .

"ومعنى ( شاربون عليه ) يجوز أن يكون ( على ) فيه للاستعلاء ، أي شاربون فوقه الحميم ، ويجوز مع ذلك استفادة معنى ( مع ) من حرف ( على ) تعجيبا من فظاعة حالهم ، أي يشربون هذا الماء المحرق مع ما طعموه من شجر الزقوم الموصوفة في آية أخرى بأنها ( يغلي في البطون كغلي الحميم ) فيفيد أنهم يتجرعون ولا يستطيعون امتناعا (٥)" .

وزيادة في الترهيب من مآل ومصير المكذبين الجاحدين بالبعث والنشور والمعاد وصف نهمهم في شرب ذلك الحميم مع ما فيه من عذاب ونكال وهم يقاسون شدة حره المتناهية قال الحق سبحانه:

﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾﴾

القراءات في ( شرب ) :

قرأ ابن كثير المكي وأبو عمرو الداني وابن عامر الدمشقي والكسائي ( شرب الهيم ) بفتح

(١) سورة الكهف، آية: (٢٩) .

(٢) سورة الحج، آية: (١٩ ، ٢٠) .

(٣) سورة الدخان، آية: (٤٨) .

(٤) نظم الدرر للبقاعي (٢٩٦/٧)

(٥) التحرير والتنوير للطاهر (٣١١/٢٧)

الشرين وقرأ نافع وعاصم وحزمة بضمها، وهما لغتان تقول العرب أريد شرب الماء بفتح الشين وضمها، وقيل بالفتح المصدر وبالضم الاسم<sup>(١)</sup>.

وهذه الآية بيان وتفسير لما قبلها، أي لا يكون شريككم شربا معتادا من الإمتناع أو الإمساك عن الإستزادة من الشرب لما فيه من حرارة ووتن<sup>(٢)</sup>.

وتكرار العطف بالفاء للربط والترتيب "والفاء تقتضي التعقيب في الشربين"<sup>(٣)</sup>، وعطف الشارين هنا على الشارين قبلها، "فإن قلت: كيف صح عطف الشارين على الشارين وهما لدوات متفقة، وصفتان متفقتان، فكان عطفا للشيء على نفسه؟ قلت: ليستا بمتفقتين، من حيث إن كونهم شارين للحميم على ما هو عليه: من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء: أمر عجيب، وشريهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء: أمر عجيب أيضا، فكانتا صفتين مختلفتين<sup>(٤)</sup>"، "والمشروب منه في ﴿ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾ محذوف لفهم المعنى تقديره: فشاربون منه شرب الهيم<sup>(٥)</sup>".

"وإعادة فعل ( شاربون ) للتأكيد وتكرير استحضار تلك الصورة الفظيعة<sup>(٦)</sup>"، فهو "توكيد لفظي لنظيره، وفائدة هذا التوكيد زيادة تقرير ما في هذا الشرب من الأعجوبة وهي أنه مع كراهته يزدادون منه كما ترى الأهيم، فيزيدهم تفضيحا لأمعائهم لإفادة التعجيب من حالهم تعجيبا ثانيا بعد الأول<sup>(٧)</sup>".

وجاء بالمصدر ( شرب ) استغراقا في وصف حال عطشهم وتأكيذا لحالهم المشبه بشرب الهيم، والهيم بكسر الهاء جمع هيماء وأهيم وقيل هائم<sup>(٨)</sup>، وهي الإبل العطاش الظماء، وقيل

(١) ينظر: السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد ١/٦٢٣، حجة القراءات لابن زنجلة ١/٦٩٦

(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٧٦، فتح القدير للشوكاني ٥/١٥٤، روح المعاني للآلوسي ٢٧/١٤٦

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٨/٢١٠)

(٤) الكشاف للزمخشري (٤/٤٦٢)

(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٨/٢١٠)

(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣١١)

(٧) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣١٢)

(٨) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (٤/٣٣٨)

داء يصيبها فتشرب ولا تروى، وقيل الرمل والأرض التي أصابتها الشمس يشربون كما يشرب الرمل والأرض الماء لجفافها من الشمس<sup>(١)</sup>.

والتشبيه لزيادة التفتيح والتهويل<sup>(٢)</sup>، وتشبيهه حال شربهم بشرب الهيم مع ما فيه من عذاب بيان لزيادة عذابهم<sup>(٣)</sup>، "وفي ذلك فائدتان: إحداهما: التنبيه على كثرة شربهم منه. والثانية: عدم جدوى الشرب، وأن المشروب لا ينجع فيهم كما لا ينجع في الهيم على التفسيرين<sup>(٤)</sup>".

ولأنه وصف حال أكلهم من شجر الزقوم بامتلاء بطونهم منه مع ما فيه من البشاعة والغصة والنكال والعذاب؛ وصف حال شربهم من الحميم بالنهم الذي انتهى به العطش فيشربون من هذا الحميم الذي بلغ غايته من الحرارة وشدة العذاب وهو دليل شدة اضطرابهم لشربه لما هم فيه من عطش وسوء حال ومقام فيلجئون لشربه إما ليطفيء حرارة أجوافهم من نار جهنم والعياذ بالله وإما لأنه جزء من العذاب فيرغموا على شربه رغما عنهم، وفي وصف شربهم بشرب الهيم وهي الإبل العطاش دليل اضطرابهم لشربه رغبة من أنفسهم عسى أن يخفف حرارة أجوافهم التي التهبت واحترقت من نار جهنم والعياذ بالله.

ولما ختم وصف كل صنف من الأصناف السابقة بختام يناسب حالهم، ناسب أن يختم وصف حال أصحاب الشمال بختام فيه التحذير والندارة من أعمالهم والتهديد والترهيب من مثآلمهم ومسلكتهم فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ هَذَا نَزَّلْنَاهُمْ يَوْمَ اللَّيْلِ ﴿٥١﴾ ﴾

صدر الآية الكريمة باسم الإشارة الدال على القريب إشارة لما وصف من عذاب أعد

لأصحاب الشمال الذين وصفهم بقوله ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ لَأَصْحَابُ الْمَكِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾.

(١) ينظر: تفسير مجاهد ٢/٦٤٩، تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٦، تفسير الصنعاني ٣/٢٧٢، جامع البيان للطبري

٢٧/١٩٥، بحر العلوم للسمرقندي ٣/٣٧٤

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣١١)

(٣) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٥/٦٩٦، التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٧٦

(٤) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٨/٤١٤-٤١٥)



والنزل أول ما يأكل الضيف وهو الرزق الذي يعد للنازل تكرمه له<sup>(١)</sup>، "فإن قيل: النزول إنما يستعمل في الإكرام والإحسان، والجواب: أنه لما جعل هذا في موضع النزول لأهل الجنة سماه نزلاً ، وهو كما أنه سمي عقوبتهم ثواباً ، ووعيدهم بشارته<sup>(٢)</sup>"، وفيه تهكم بهم كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>، ووصفه الطاهر بن عاشور بأنه تشبيه تهكمي<sup>(٤)</sup>. وفيه إشارة إلى أن هذا الذي وصف من عذاب ليس إلا تقدمة كما يقدم للضيف ضيافته عند قدومه فهو أول ما يلقونه عند دخولهم جهنم والعياذ بالله، فهو بعض من العذاب، فما ظنك بما يكون لهم بعد استقرارهم في الجحيم<sup>(٥)</sup>

والآية "اعتراض بين جمل الخطاب موجه إلى السامعين غيرهم فليس في ضمير الغيبة التفات، ثم يقول: ( يوم الدين ) يوم الجزاء ، أي هذا جزاؤهم على أعمالهم نظير قوله أنفا ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٦)</sup>. وجعل يوم الدين وقتاً لنزولهم مؤذناً بأن ذلك الذي عبر عنه بالنزل جزاء على أعمالهم . وهذا تجريد للتشبيه التهكمي وهو قرينة على التهكم<sup>(٧)</sup>"، وقد تكون الآية الكريمة أيضاً نظير قوله سبحانه في ختام وصف نعيم أصحاب اليمين ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾<sup>(٨)</sup> يعني ذلك النعيم هو لأصحاب اليمين تأكيد تخصيص ليخرج غيرهم ولئلا يتوهم أحد أن هذا النعيم هو جزء من نعيم أصحاب الشمال، وكذا أكدت هذه الآية تخصيص ما سبق ذكره من عذاب أعد لهم خاصة دون غيرهم.

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري ٤/٤٦٣، المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٢٤٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

(٢١٥/١٧)

(٢) تفسير القرآن للسماعي (٣٥٤/٥)

(٣) سورة آل عمران، آية: (٢١).

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري ٤/٤٦٣، تفسير البيضاوي ٥/٢٨٩، البحر المحيط لأبي حيان ٨/٢٨٩، اللباب في

علوم الكتاب ١٨/٤١٤-٤١٥، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/١٩٦)

(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣١٢/٢٧)

(٦) ينظر: نظم الدرر للبقاعي ٧/٤١٥، تفسير البيضاوي ٥/٢٨٩)

(٧) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣١٢/٢٧)

ويوم الدين يوم الجزاء والمجازاة على الأعمال<sup>(١)</sup>، وفيه رد عليهم في إنكارهم ليوم البعث والجزاء على الاعمال، فناسب ذكر يوم الدين والتي يدور محور السورة الكريمة على تقريره وختام تفصيل جزاء الأصناف الثلاثة به، فحتم الله تفصيل جحيم أصحاب الشمال بالإشارة الى أن هذا العذاب المتنوع نزلهم يوم الدين، وهو يوم البعث ويوم الجزاء على أعمالهم الذي أنكروه ووجدوا الإيمان به والتصديق بوقوعه، وسماه يوم الدين إشارة أنه جزاء أعمالهم التي أدينوا بها.

"وما تضمنته هذه الآية الكريمة من إطلاق النزول على عذاب أهل النار، جاء موضحا في

غير هذا الموضع كقوله في آخر هذه السورة الكريمة: ﴿فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ ۙ وَتَصَلِيَةٌ جَحِيمٍ﴾،

وقوله تعالى في آخر الكهف: ﴿إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾<sup>(٢)</sup> (٣)»

ولم يذكر هنا تقدير مجموعهم كما ذكر في السابقين وأصحاب اليمين استخفافا بهم وبوزنهم، وهو إنما ذكر تقدير المؤمنين بين سابق ومسبوق للحث والتحفيز على السبق وبيان عازاة أهل السبق والقرب وأنهم الأعز والأقل، وأصحاب الشمال ليس لهم إلا صنف واحد فما احتيج لبيان مجموعهم، ولأنه قد علم من أن أهل الشر هم الاكثر في الناس في أكثر من آية نحو قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ ۗ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَلِنْ تُطِعَ أَكْثَرَمَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ١٩٦/٢٧، إعراب القرآن للنحاس ٣٣٨/٤، النكت والعيون للماوردي ٦٩٦/٥،

الوجيز للواحد ١٠٦٢/٢، تفسير البغوي ٢٨٦/٤، المحرر الوجيز لابن عطية ٢٤٧/٥، زاد المسير لابن الجوزي

١٤٦/٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٢١٥/١٧، تفسير البيضاوي ٢٨٩/٥، البحر المحيط لأبي حيان ٢٨٩/٨

(٢) سورة الكهف، آية: (١٠٢).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٥٢٦-٥٢٧).

(٤) سورة المائدة، آية: (١٠٠).

(٥) سورة الأنعام، آية: (١١٦).

ثم أثبت المولى سبحانه حقيقة البعث للجزاء بالأدلة العقلية وساق منها دليل الخلق فقال  
الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ (٥٧) وسيأتي بيانها في الفصل التالي.

### المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع

يبين الله تبارك وتعالى حال الناس يوم القيامة ومآل كل واحد منهم حسب عمله، فيخاطبهم بأنهم إذا قامت القيامة ووقعت الواقعة وبعثوا صاروا ثلاثة اصناف لا رابع لهم، ثم شرع في بيان تلك الأصناف الثلاثة بعد أن أجمل عددها، فإما أصحاب يمين وإما أصحاب شمال وإما سابقون، ثم بدأ بوصف مكان ونعيم السابقين فبين أنهم مقربون منه سبحانه وعنده في جنات يتنعمون فيها، ثم بين مجموعهم إجمالاً في الأولين والآخرين، فهم كثير في الأولين قليل في الآخرين، ثم استأنف وصف نعيمهم بعد ذلك فبين أنهم على سرر مزينة بأبهى الحلل والجمال يجلسون جلسة الملوك يتكئون عليها على هيئة المقابلة لبعضهم البعض ليكتمل أنسهم بالحديث والتنعم بأنواع الملذات والشهوات حيث يتردد على خدمتهم ولدان لا يفنون ولا يفنى نشاطهم ولا خدمتهم، يقدمون إليهم أشهى الشراب في أقداح وكؤوس متنوعة الأشكال والألوان، لا يصيبهم بشرها أي أذى كانوا يعرفونه في الدنيا من تصدع الرؤوس والإعياء وذهاب العقل بسكرة الشراب، ويتفكهون بفاكهة من جميع الأنواع والأشكال والألوان على ما يختارونه ويوافق رغباتهم، ويأكلون كذلك مما تشتهي نفوسهم من لحوم الطير على اختلاف أشكالها بجميع أنواعها التي خلقها الله، ويتمتعون بنساء خالصات الحسن واسعات العين جميلات الطرف، يشبهن اللؤلؤ الناصع البياض البهيج المحفوظ عن الأعين، كل ذلك النعيم الذي يتنعمون به استحقوه جزاء أعمالهم الصالحة والتي سبقوا بها غيرهم من المؤمنين، ولا يكدر نعيم مسامعهم شيء من الكلام الباطل أو المؤذي، بل كلامهم في السلام ومعانيه.

وأما أصحاب اليمين الذين هم بعد السابقين في المنزلة فلهم نعيم يناسب حالهم وأعمالهم، فهم يتنعمون في أشجار سدر ليس فيه مايؤذي من شوك ونحوه، وأشجار الطلح المورقة المثمرة بأجمل منظر ونظم، وظلال لا ينقطع زمانا ومكانا لامتداده وراحته، وماء جاهز للشرب والتمتع به، وفواكه ليس لها حصر ولا عد، متوفرة في كل مكان ووقت لا يعيبها قطع ولا منع كفاكهة الدنيا، ينعمون على فرش عالية المكان والهيئة، ويتلذذون بنساء حصن الله بعنايته فخلقهن بأحسن وأجمل الخلق وجعلهن أبكارا لم يمسهن أحد، متحبات ومتوددات في سن واحدة لا

يتفاوتن نقصا بل كمالا، وهذا النعيم الموصوف خصه الله لأصحاب اليمين الأبرار، ثم ذكر مجموعهم إجمالا كما ذكر السابقين، فبين أنهم الأكثر في الأولين والآخرين على حد سواء.

وأما أصحاب الشمال فهم يتعذبون في حر يصيبهم في ظواهرهم وحميم يقطع بواطنهم، وظلالهم قطع من عذاب النار وحممها، فيه زيادة عذابهم وشقائهم ومهانتهم وليس فيه ما يرجون من الراحة والتلطف والكرامة، واستحقوا ذلك لأنهم غرقوا في النعم حتى تكبروا وبطروا ولم يراعوا حق الله فيها والاعتراف بفضله، بل كفروا به وجحدوا نعمه واشركوا معه في العبادة غيره وتمسكوا بذنبهم عنادا واستكبارا، واستبعدوا الحياة بعد الموت وأنكروا البعث للجزاء والمجازاة على الاعمال، واحتجوا بما يرونه دليلا عقليا على فناء الأجساد واستحالة إحيائها بعد موتها بآبائهم الأقدمون الذين فنوا وتحللت أجسادهم واندثرت، ثم يكذبهم الله جل وعلا بأنه جامعهم وآبائهم الأولين لوقت محدد معلوم عنده بالساعة وعند الخلق بعلاماته، ثم يعود الحق سبحانه ليبين ثمرة ضلالهم وتكذيبهم البعث وبما جاء به الرسول من عند ربه، وأن لهم طعاما في مقر إقامتهم يناسب حالهم وأعمالهم فيجوعون فيأكلون من شجر اسمه الزقوم يغصون به ويملئون منه بطونهم مع ما فيه من العذاب والنكال، ثم يهرعون إلى الماء ليظفيء لهيب بطونهم فيجدونه حارا قد انتهى حره فيزيدهم عذابا ونكالا، ومع ما فيه من الحرارة والعذاب إلا أنهم يشربونه بنهم كالإبل العطاش التي لا تروى، ويؤكد المولى سبحانه أن ما ذكر من وصف عذابهم أنه ضيافتهم وما أعد لهم جزاء أعمالهم في يوم الجزاء والحساب الذي أنكروه وجحدوه.

## المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه آيات الموضوع

- ١- المجازاة على الأعمال وانقسام الناس بحسب أعمالهم إلى ثلاثة أقسام من البواعث على التوحيد والعبادة والطاعة، وهو المقصود من خلق البشر ليؤمنوا ويتقوا<sup>(١)</sup>.
- ٢- جعل الله التكليف مما يخالف هوى النفس، فكان لازما من ذكر محفز للنفس التي تنفر من التكليف وهوى الراحة والدعة حتى تنشط وتجتهد في نيل ذلك المحفز، ولذلك جعل الله للتكليف جزاء في دار أعدها لذلك الجزاء، فصور الله جل وعلا نعيم المؤمنين المصدقين والقائمين بما أمر الله تصويرا بديعا بتفاصيل متعددة ترغيبا لعباده في نيل ذلك النعيم والفوز به، كما صور سبحانه عذاب الكافرين الجاحدين المعرضين عن أوامر الله وما كلفهم به تصويرا بكل تفاصيله المهيبه ترهيبا لعباده وتحذيرا لهم من عقوبة الجحيم وعاقبة الخسران والعياذ بالله.
- ٣- في تفصيل النعيم ترغيبا والعذاب ترهيبا، البشارة لاهل التوحيد والإيمان والطاعة والندارة لاهل الشرك والكفر والعصاة<sup>(٢)</sup>.
- ٤- إقامة الحجة على من أنكر وحجد وكذب بالبعث والجزاء<sup>(٣)</sup>.
- ٥- بيان أقسام الناس يوم البعث دليل على حقيقة وقوعه للجزاء والحساب.
- ٦- بيان حكمة الله في خلق الناس والحياة الدنيا ابتلاء وامتحانا ليصيروا إلى الأقسام الثلاثة التي لا رابع لها يوم البعث للجزاء والحساب.
- ٧- المؤمنون صنفان مقربون وأبرار لأنهم يتفاوتون في العلو والقرب من الله، وأما الضالون فهم صنف واحد دوني سفلي فالكفر ملة واحدة.
- ٨- دليل عظمة الخالق في الإحاطة والعلم بتفاصيل أعمال العباد من خلال دقة وصف نعيمهم وتقسيمهم درجات ودركات حسب أعمالهم.
- ٩- في التقسيم إلى ثلاثة أصناف بيان صفة العدل التي يتصف بها الرحمن سبحانه.

(١) الأساس في التفسير لسعيد حوى مع تصرف (٥٦٨٩/١٠)

(٢) الأساس في التفسير لسعيد حوى (٥٦٩٠/١٠)

(٣) المصدر السابق من نفس الصفحة.

- ١٠- تميز السابقين مع قلتهم بالنعيم الخاص الذي لا يشاركون فيه أحد لقربهم من الله جزاء أعمالهم، والقلة تكون الصفوة.
- ١١- الحث على التسابق في القرب من الله بالأعمال الصالحة التي نوه العظيم أن السابقين استحقوا منزلتهم الرفيعة جزاء أعمالهم.
- ١٢- سعة رحمة الله ولطفه بعباده المؤمنين التي شملت المقصر منهم فجعل لهم سبحانه نعيما يناسب حالهم ويكافيء أعمالهم.
- ١٣- الترتيب الثلاثي في تصنيف الناس يوم القيامة حسب أعمالهم هو ترتيب فطري مما يبعث على التصديق والاعتناء للتوافق الفطري.
- ١٤- تهويل عقاب الضالين المكذبين من خلال وصف عذابهم وما أعد لهم من خزي ومهانة.
- ١٥- التخويف من إنكار البعث للجزاء المعلوم ديانة وعقلا، والتخويف من الشرك بالله المفضيان لأعظم عقاب.

# الفصل الثاني

إثبات البعث بالأدلة العقلية الحسية، والقسم

بشرف القرآن الكريم وحقيقته

ويشمل الآيات: ( ٥٧ - ٨٠ )

## ويشتمل على مبحثين: -

✍ **المبحث الأول:** إبراز مظاهر توحيد الله وقدرته على البعث من خلال إثبات أدلة قدرته على بدء الخلق وإنبات الزرع وإنزال الماء وإنشاء النار.

✍ **المبحث الثاني:** القسم العظيم من الرب العظيم على شرف كلامه العظيم وصدقه.

\* \* \* \* \*



## المبحث الأول

إبراز مظاهر توحيد الله وقدرته على البعث من خلال إثبات أدلة  
قدرته على بدء الخلق وإنبات الزرع وإنزال الماء وإنشاء النار  
ويشمل الآيات: ( ٥٧ - ٧٤ )

وفيه خمسة مطالب: -

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة.

المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والموضوع  
السابق.

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه آيات الموضوع.

\* \* \* \* \*

### المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة

بعد أن ذكر الحق سبحانه الخبر الدال على حقيقة البعث والجزاء؛ ناسب تأكيد الخبر الغيبي بالدليل المحسوس، فشرع سبحانه في ذكر الأدلة العقلية على صدق ما أخبر به من أمر البعث الذي هو موضوع السورة الكريمة، وفي ذلك تنويع لأسلوب تقرير الحقائق، وهو ما يسوق النفس المكذبة والمستكبرة عن الإذعان للحق إلى الاعتراف به ولو عاندت وجادلت دحضا للحق وإخفاء له.

فإذا كانوا لا يصدقون بأخبار يوم البعث وما يحصل فيه من أهوال وأحوال وانقسام الناس جزاء أعمالهم، ويستدلون بعقولهم الضعيفة على استبعاد واستحالة وقوع البعث لزم مقابلتهم بأدلة عقلية تثبت ضد ما أنكروه ونفوهوا واستحالوا وقوعه، فالخالق لهم هو الله وهم يؤمنون بذلك، والمحيي للأرض بعد موتها هو الله وهم يقولون بذلك، والمنزل للماء من السماء هو الله وهم لا ينكرون ذلك، والمنشيء للنار وأصلها هو الله وهم يعترفون بذلك، فإذا كانت تلك الأمور وهي بعض خلق الله من دلائل قدرة الله على الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة فأنى لهم إنكار إعادتهم بعد الموت وبعث أجسادهم وأجساد آبائهم الأولين، والقادر على الإنشاء من العدم وعلى تلك المصنوعات ابتداء منه فإنه لا يعجز عن الإعادة وعن تكرار الخلق وتبديله عقلا.

## المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والتي قبلها

لما أنكروا بعث أجسادهم وأرواحهم بعد موتها وفنائها، واستدلوا بعقولهم احتجاجا على استحالة إعادة آبائهم الأولين وبعث أجسادهم بعد ما بليت وصارت ترابا في قولهم ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِيَّانَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ناسب محاجتهم بالعقل على فساد قولهم وضلال معتقدتهم وذلك مقابل استدلالهم العقلي الباطل لتفنيده وتكذيبه.

فبعد أن انتهى من وصف مآل كل صنف من الأصناف الثلاثة التي تكون في يوم البعث للجزاء باغتهم الحق سبحانه بتقرير ما يؤمنون به من ربوبيته وأنه الخالق الموجد لهم من العدم، وأقام الحجة عليهم بأسلوب الاستفهام التقريري الذي يحاصر المنكر للحق فيما أن يعترف بالحق وإما أن يكفره ويستمر في الباطل مع علمه بالحق وبذلك تقوم الحجة عليه.

فبدأ المولى جل في علاه بتقرير حقيقة أصل خلقهم ووجودهم في هذه الحياة وهي النطفة المهينة فهل هم من خلقها أي هل هم خلقوا أنفسهم أم الله سبحانه، ثم يؤكد حقيقة الأمر في ذلك وأنه الخالق وهو كما أنه الخالق فهو المميت وكما أنه المميت فهو المحيي، يحيي الأنفس ليوم البعث وهو القادر سبحانه لا يسبقه على ذلك أحد أبدا، فأكد تقرير بعثهم بخلقهم الأول، فالقادر على البعث من العدم أقدر على البعث بعد الوجود بل هو أهون عليه ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (١).

ثم يقرر وحدانيته في أولهيته من خلال تقرير وحدانيته في ربوبيته التي لا ينكرونها، وانه المستحق للتسبيح والتنزيه عن الشريك وذلك بأسلوب الاستفهام التقريري بالسؤال عن بعض الموجودات التي تقوم حياة الناس عليها من إنبات الزرع وعن أسباب وجوده وحياته وسلامته من الهلاك والدمار، ومن إيجاد الماء العذب الذي به تقوم حياة الأحياء على وجه الأرض، وعن

(١) سورة الروم، آية: (٢٧).

أسباب عذوبته وعدم ملوحته، ومن ابتداع النار وإنشاء شجرتها التي هي سبب وجودها، وفي كل يذكرهم نعمته في تلك المخلوقات التي لا غنى لهم عنها لعلهم يتذكرون ويتفكرون فيشكرون ويسبحون.

وخص المولى سبحانه تلك الأمور الأربعة التي تتجلى فيها معاني القدرة العظيمة في الإيجاد، فأثبت إمكان الحشر والنشر بناء على أنه تعالى قادر على أمور تشبه الحشر والنشر، وقد قرر الله تعالى هذه الطريقة على وجوه، فأجمعها ما جاء في هذه السورة الكريمة فإنه تعالى ذكر فيها حكاية عن أصحاب الشمال أنهم كانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون، فأجابهم الله تعالى بقوله ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ ثم إنه تعالى احتج على إمكانه بأمر أربعة : أولها : قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ وجه الاستدلال بذلك إنما كانت متفرقة في أطراف بدن ذلك الحيوان فجمعها الله سبحانه وتعالى في أوعية المني، ثم إنه تعالى أخرجها ماء دافقا إلى قرار الرحم فإذا كانت هذه الأجزاء متفرقة فجمعها وكون منها ذلك الشخص، فإذا افترت بالموت مرة أخرى فكيف يمتنع عليه جمعها مرة أخرى؟ فهذا تقرير هذه الحجة، وإن الله تعالى ذكرها في مواضع من كتابه، منها : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ (١) ثم قال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ (٧) (٢) وقال في سورة قد أفلح المؤمنون بعد ذكر مراتب الخلقة : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (١٦) (٣).

(١) سورة الحج، آية: (٥).

(٢) سورة الحج، آية: (٦، ٧).

(٣) سورة المؤمنون، آية: (١٥، ١٦).

وثانيها: قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ (٦٣) ﴿ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ وجه الاستدلال أنه يخرج من النواة الصغيرة شجرتان : إحداهما : خفيف صاعد ، والأخرى ثقيل هابط مع اتحاد العنصر واتحاد طبع النواة والماء والهواء والتربة أفلا يدل ذلك على قدرة كاملة وحكمة شاملة فهذا القادر كيف يعجز عن جمع الأجزاء وتركيب الأعضاء . ونظيره قوله تعالى في الحج : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ﴾ (١).

وثالثها : قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ (٦٨) ﴿ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ ﴾ وتقديره أن الماء جسم ثقيل بالطبع ، وإصعاد الثقيل أمر على خلاف الطبع ، فلا بد من قادر قاهر يقهر الطبع ويبطل الخاصية ويصعد ما من شأنه الهبوط والنزول . ثم إن تلك الذرات المائية اجتمعت بعد تفرقتها . ثم تسييرها بالرياح ، ثم إنزالها في مظان الحاجة والأرض الجرز ، وكل ذلك يدل على جواز الحشر . أما صعود الثقيل فلأنه قلب الطبيعة ، فإذا جاز ذلك فلم لا يجوز أن يظهر الحياة والرطوبة من حساوة التراب والماء ؟ ثم لما قدر على جمع تلك الذرات المائية بعد تفرقتها فلم لا يجوز جمع الأجزاء الترابية بعد تفرقتها ؟ ثم تسيير الرياح فإذا قدر على تحريك الرياح التي تضم بعض تلك الأجزاء المتجانسة إلى بعض فلم لا يجوز ههنا ؟ ثم أنه تعالى أنشأ السحاب لحاجة الناس إليه فههنا الحاجة إلى إنشاء المكلفين مرة أخرى ليصلوا إلى ما استحقوه من الثواب والعقاب أولى ، واعلم أن الله تعالى عبر عن هذه الدلالة في موضع آخر من كتابه فقال في الأعراف لما ذكر دلالة التوحيد : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي ﴾ (٢) إلى قوله : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٦) ﴿ ثُمَّ ذَكَرَ دَلِيلَ الْحَشْرِ فَقَالَ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ ﴾ إلى قوله : ﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٥٧) ﴾ (٤) .

(١) سورة الحج، آية: (٥)

(٢) سورة الأعراف ، آية: (٥٤).

(٣) سورة الأعراف، آية: (٥٦).

(٤) سورة الأعراف، آية: (٥٧).

ورابعها : قوله ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ (٧١) ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿ (٧٢)

وجه الاستدلال أن النار صاعدة والشجرة هابطة ، وأيضا النار لطيفة ، والشجرة كثيفة . وأيضا النار نورانية والشجرة ظلمانية ، والنار حارة يابسة والشجرة باردة رطبة ، فإذا أمسك الله تعالى في داخل تلك الشجرة الأجزاء النورانية النارية فقد جمع بقدرته بين هذه الأشياء المتنافرة ، فإذا لم يعجز عن ذلك فكيف يعجز عن تركيب الحيوانات وتأليفها ؟ والله تعالى ذكر هذه الدلالة في سورة يس فقال : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ﴾ (١) ، واعلم أنه تعالى ذكر في هذه السورة أمر الماء والنار وذكر في سورة النمل أمر الهواء بقوله : ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ (٢) إلى قوله : ﴿ أَمَّنْ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ (٣) ، وذكر الأرض في سورة الحج في قوله : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ (٤) فكأنه سبحانه وتعالى بين أن العناصر الأربعة على جميع أحوالها شاهدة بإمكان الحشر والنشر (٥) .

(١) سورة يس، آية: (٨٠).

(٢) سورة النمل، آية: (٦٣).

(٣) سورة النمل، آية: (٦٤).

(٤) سورة الحج، آية: (٥).

(٥) التفسير الكبير للرازي (٢/١٣٤-١٣٦) بتصرف

## المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع

قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَيَّ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

قوله سبحانه: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

## القراءات:

{ قدرنا } بالتخفيف : ابن كثير ( أئنا لمغرمون ) بهمزيين : أبو بكر وحما (١) . الآخرون :  
بهمزة واحدة مكسورة على الخبر (٢) . (٣)

وفي البدء بالضمير الدال على العظمة ( نحن ) الإشارة إلى تفخيم وتعظيم القائل والاهتمام بما يقول وما سيذكر ويقرر، وبالتالي فيه تعظيم ما ذكر من صنعه وخلقه سبحانه لجنس الإنسان، كما أن فيه البدء بالتعريف للذات عند المناظرة والمحااجة قبل البدء فيها، ومع أنه سبحانه أعرف المعارف فقد عرفهم سبحانه مكانته منهم وأنه الخالق الموجد لهم وكان

(١) حماد بن سلمة بن دينار البصري، ولد في حياة أنس بن مالك ولم يلقه، قرأ على عاصم وابن كثير وخلق، إمام في

الحديث والعربية، ثقة حافظ مأمون، تُوفي عام: ١٦٧هـ، بغية الوعاة: ٥٤٨/١، غاية النهاية: ٢٥٨/١.

(٢) ينظر: السبعة في القراءات (ص: ٦٢٣، ٦٢٤).

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/٢٣٧).

يكفيهم ذلك إيماناً وتصديقاً لولا استكبارهم وعنادهم.

والكاف في ( خلقناكم ) خطاب لهم ليقرهم ويقيم الحجة عليهم لتأكيد ما سيذكر من حقائق.

وفي تعقيب الحق سبحانه بقوله نحن خلقناكم بعد انتهاء ذكر مصير وجزاء أصحاب كل صنف من الأصناف الثلاثة فيه عنصر المفاجأة والمباغطة بما يقرون به ويعترفون من ربوبية الله وخلقهم لهم تنفيذاً لما أنكروه وجحدوه من إعادة الخلق وبعثهم للجزاء والحساب.

وفي الآية يخبر المولى سبحانه أنه الذي خلقهم وليس هذا الخبر مقصوداً بذاته فهم يقرون

بأنه الخالق سبحانه ولا ينكرون ذلك يقول الحق سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ

اللَّهُ ۗ ﴾ (١) ولكنه تقرير لحقيقة الخلق الثاني وإعادة خلقهم وبعثهم للجزاء الذي ينكرونه، وإقامة

الحجة عليهم عقلاً في مقابل حججهم العقلية في استحالة بعث من مات من آبائهم الأولين

الذين صاروا تراباً كما زعموا، فالمقصود تقرير حقيقة البعث الذي هو محور السورة وعليه

مدارها، والتقرير هو للتقريع حيث أنهم أقروا وصدقوا بنصف الحقيقة وأنكروا وجحدوا نصفها

الآخر، فهم يؤمنون بخلق الله لهم الخلق الأول من العدم وينكرون ويستبعدون إعادة خلقهم

وبعثهم للجزاء، وفيه دليل اتباع أهوائهم وأنهم ينكرون ما ليس فيه شك، فالقادر على الخلق

الأول قادر على الإعادة.

ومتعلق التصديق محذوف وأكثر المفسرين على تقديره بالبعث (٢)، وليس الخلق كما قال

البعض (٣) مع وجاهته لذكره، وذلك لأنهم يقرون بالخلق الأول وإنما ينكرون إعادته بعد الموت

(١) سورة الزخرف، آية: (٨٧).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٦، جامع البيان للطبري ٢٧/١٩٦، إعراب القرآن لأبي جعفر ٤/٣٣٨،

تفسير السمرقندي ٣/٣١٦، تفسير ابن زنين ٤/٣٤١، الكشف والبيان للثعلبي ٩/٢١٤، الوجيز في تفسير الكتاب

العزیز للواحدی ٢/١٠٦٢، تفسير البغوي ٤/٢٨٧، الكشف للزخشري ٤/٤٦٣، زاد المسير لابن الجوزي ٨/١٤٦،

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢١٦، تفسير البيضاوي ٥/٢٨٩، لباب التأويل ٧/٢٢، غرائب القرآن لليسابوري

٦/٢٤٢، البحر المحيط لأبي حيان ٨/٢١٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٩٦، تفسير الجلالين ١/٧١٦)

(٣) ينظر: الكشف للزخشري ٤/٤٦٣، نظم الدرر للبقاعي ٧/٤١٥، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/١٩٦،

الدر المصون للسمين الحلبي ١/٥٣٨١)



فجاء اللفظ بتقرير حقيقة ما أنكروه.

وظهر لي بعد التأمل أن الآية وردت كالمخلص والعنوان لما سيقررهم الله به بعد ذلك عقلا من ربط قدرة الخالق للخلق الأول على الخلق الثاني، حيث اشتملت الآية على شطرين الأول تقريرهم بالإخبار أنه الخالق وهم لا ينكرون ذلك ثم حضهم على التصديق بخلقهم وبعثهم بعد الموت للجزاء، وهو ما شرحته الآيات بعد ذلك من قوله سبحانه: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ (٥٨) الآيات، حيث قررت خلق الله لنطفهم بطريق الاستفهام التقريري ثم جاء الإخبار بأن الذي خلق نطفهم من العدم هو الذي قدر الموت عليهم وسيعيدهم يوم البعث للجزاء. (و لولا ) تحضيض على التصديق<sup>(١)</sup>، وفيه الإشارة إلى تقرير أنهم كذبوا فلا يطلب التصديق إلا من مكذب وجاحد.

وفي الآية "دليل على كذبهم وصدق الرسل في الحشر لأن قوله : ( ءأنتم تخلقونه ) إلزام على الإقرار بأن الخالق في الابتداء هو الله تعالى ، ولما كان قادرا على الخلق أولا كان قادرا على الخلق ثانيا<sup>(٢)</sup>".

"ولما ذكر الواقعة وما يكون فيها للأصناف الثلاثة، وختم بها على وجه بين فيه حكمتها وكانوا ينكرونها، دل عليه بقوله: ( نحن ) أي لا غيرنا ( خلقناكم ) أي بما لنا من العظمة، ولما كانوا منكرين للبعث عدوا منكرين للابتداء<sup>(٣)</sup>"، والآية "تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة بطريق الإلزام والتبكيك والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها<sup>(٤)</sup>".

وتناسق الآية بما قبلها من حيث إنكارهم البعث "فأعقب إبطال نفيهم البعث بالاستدلال على إمكانه وتقريب كيفية الإعادة التي أحالوها فاستدل على إمكان إعادة الخلق بأن الله خلقهم أول مرة فلا يبعد أن يعيد خلقهم، قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾<sup>(٥)</sup>

(١) الكشاف للزمخشري (٤/٤٦٣)

(٢) التفسير الكبير للرازي (٢٩/١٧٦)

(٣) نظم الدرر للبقاعي (٧/٤١٥) بتصرف

(٤) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٨/١٩٦)

(٥) سورة الأنبياء، آية: (١٠٤).

لأنهم لم يكونوا ينكرون ذلك ، وليس المقصود إثبات أن الله خلقهم<sup>(١)</sup> ، " فلما أنكر الكفار بعثهم وآباءهم الأولين ، وأمر الله رسوله أن يخبرهم أنه تعالى باعث جميع الأولين والآخرين ، وذكر جزاء منكري البعث بأكل الزقوم وشرب الحميم ، أتبع ذلك بالبراهين القاطعة الدالة على البعث فقال: نحن خلقناكم هذا الخلق الأول فلولا تصدقون. أي فهل لا تصدقون بالبعث الذي هو الخلق الثاني ، لأن إعادة الخلق لا يمكن أن تكون أصعب من ابتدائه كما لا يخفى، وهذا البرهان على البعث بدلالة الخلق الأول على الخلق الثاني، جاء موضحا في آيات كثيرة جدا كقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله : ﴿ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾<sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> .

ثم ساق الحجة الموجبة للتصديق<sup>(٨)</sup> ، وبرهن أنه لا خالق إلا هو<sup>(٩)</sup> ، فقال الحق سبحانه:

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾<sup>(٥٨)</sup>

أول الحجج والبراهين على قدرة الله في البعث والنشور وإعادة الخلق وإنشائهم مرة أخرى للجزاء على الأعمال هي حجة تقرير سبب وجودهم من صلب آبائهم وهي النطفة، وقد

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣١٢-٣١٤)

(٢) سورة الروم، آية: (٢٧).

(٣) سورة الأنبياء، آية: (١٠٤).

(٤) سورة الحج، آية: (٥).

(٥) سورة يس، آية: (٧٩).

(٦) سورة الإسراء، آية: (٥١).

(٧) أضواء البيان للشنقيطي (٧/٨٣٥)

(٨) المحرر الوجيز لابن عطية (٥/٢٤٧)

(٩) غرائب القرآن للنيسابوري (٦/٢٤٧)

اشتمل تقرير تلك الحقيقة بإقامة الحجج والبراهين على الأسلوب الاستفهامي التقريري، وأسلوب الاستفهام هو من أقوى الأساليب في تقرير الحقائق وإقامة الحجج على المنكر المكذب بالحقيقة.

فالمزمة للاستفهام، وقوله أرأيتم أي أخبروني<sup>(١)</sup>، واختار لفظ الرؤية ليحرك فيهم نظر التفكير للربط بين ما يؤمنون وبين ما ينكرون مع أن الفاعل واحد، وكأنه ينعت من اعترف بقدرة الإيجاد من العدم وجحد الإعادة للموجود بعد موته بأنه عديم الرؤية والبصيرة، و ( ما ) موصولة بمعنى الذي، أي الذي تمنون.

وتمنون من الإيماء وهو المني أي إلقاءه في الأرحام، والمني النطفة من أمني يمني ومنى يمني، وتمنون بفتح التاء وضمها لغتان<sup>(٢)</sup>.

والآية تقرير للمكذبين بالبعث<sup>(٣)</sup>، "فهذه الآية وما بعدها تتضمن إقامة براهين على الوجدانية وعلى البعث وتتضمن أيضا وعيد وتعيد نعم<sup>(٤)</sup>"، وفيها "حض على التصديق على وجه تقريرهم بسياق الحجج الموجبة للتصديق<sup>(٥)</sup>".

ومن تنوع أساليب القرآن في تقرير الحقائق تقريراً عقلياً: "الجام الخضم بالحجة؛ وهو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه، ومن الأدلة على ذلك ما يتوافق مع مراد الآية هذه، مثل قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾<sup>(٦)</sup>،

(١) ينظر: الباب لابن عادل ٤١٥/١٨، فتح القدير للشوكاني ١٥٦/٥، الدر المصون للسمين الحلبي ٣٠٨/١  
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري ١٩٦/٢٧، بحر العلوم للسمرقندي ٣٧٤/٣، تفسير القرآن العزيز لابن زنين ٣٤١/٤، الكشف والبيان للتعلي ٢١٤/٩، النكت والعيون للماوردي ٤٥٧/٥، الوجيز للواحدي ١٠٦٢/٢، تفسير السمعاني ٣٥٤/٥، تفسير البغوي ٢٨٧/٤، زاد المسير لابن الجوزي ١٤٦/٨، تفسير القرآن للعز بن عبد السلام ٢٧٨/٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٦/١٧، تفسير البيضاوي ٢٨٩/٥، لبلب التأويل للخازن ٢٢ /٧، غرائب القرآن للنيسابوري ٢٤٢/٦، التسهيل للكلبي ٩١/٤، الباب لابن عادل ١٨ /٤١٥، تفسير الجلالين ٧١٦/١، ارشاد العقل السليم لأبي السعود ١٩٧/٨، فتح القدير للشوكاني ١٥٦/٥، روح المعاني للألوسي ١٤٧/٢٧، أضواء البيان للشنقيطي ٥٢٧/٧

(٣) جامع البيان للطبري (١٩٦/٢٧)

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩١/٤)

(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٩١/٨)

(٦) سورة يس، آية: (٧٩).

وقوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ (١)،  
 وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (٢)،  
 والمعنى أن الأهون أدخل في الإمكان من غيره وقد أمكن هو فالإعادة أدخل في الإمكان من  
 بدء الخلق، وفي الآية دلالة التمانع؛ ومفهومها: أن رفع النقيضين محال ولا وقوعهما للتضاد  
 فنفي وقوع أحدها دون الآخر وهو المغلوب، ومنها هذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ  
 تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ فبين أنا لم نخلق المنى لتعذرنا علينا فوجب أن يكون الخالق  
 غيرنا (٣) .

"ففرع على هذا التذكير تحضيضهم على التصديق ، أي بالخلق الثاني وهو البعث فإن ذلك  
 هو الذي لم يصدقوا به، تفرع على ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾، أي خلقناكم الخلق الذي لم تروه  
 ولكنكم توقنون بأننا خلقناكم فتدبروا في خلق النسل لتعلموا أن إعادة الخلق تشبه ابتداء الخلق  
 . وذكرت كائنات خمسة مختلفة الأحوال متحدة المال إذ في كلها تكوين لموجود مما كان عدما ،  
 وفي جميعها حصول وجود متدرج إلى أن تتقوم بها الحياة وابتداء بإيجاد النسل من ماء ميت ،  
 ولعله مادة الحياة بنسلكم في الأرحام من النطفة تكويننا مسبقا بالعدم، والاستفهام للتقرير  
 بتعيين خالق الجنين من النطفة إذ لا يسعهم إلا أن يقرروا بأن الله خالق النسل من النطفة وذلك  
 يستلزم قدرته على ما هو من نوع إعادة الخلق.

"وإنما ابتدء الاستدلال بتقديم جملة (أأنتم تخلقونه) زيادة في إبطال شبهتهم إذ قاسوا  
 الأحوال المغيبة على المشاهدة في قلوبهم لا نعاد بعد أن كنا ترابا وعظاما، وكان حقهم أن  
 يقيسوا على تخلق الجنين من مبدأ ماء النطفة فيقولوا: لا تتخلق من النطفة الميتة أجسام حية  
 كما قالوا: لا تصير العظام البالية ذواتا حية، وإلا فإنهم لم يدعوا قط أنهم خالقون، فكان قوله:

(١) سورة يس، آية: (٨١).

(٢) سورة الروم، آية: (٢٧).

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣/٣٦٧-٣٦٩) بتصرف

(أأنتم تخلقونه) تمهيدا للاستدلال على أن الله هو خالق الأجنة بقدرته، وأن تلك القدرة لا تقصر عن الخلق الثاني عند البعث<sup>(١)</sup>.

"ومن تأمل براهين القرآن على وحدانية الله تعالى، وعلى قدرته، على البعث وهما أهم القضايا العقائدية يجد أهمها وأوضحها وأكثرها، هو هذا الدليل، أعني دليل الخلق والتصوير. وقد جاء هذا الدليل في القرآن جملة وتفصيلا، فمن الإجمال ما جاء في أصل المخلوقات جميعا

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٤)</sup> ثم قال

﴿فَسَبَّحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وقال: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ

الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٦)</sup> الذي خلق الموت والحياة<sup>(٦)</sup> أي خالق الإيجاد والعدم، وخلق

العدم يساوي في الدلالة على القدرة خلق الإيجاد، لأنه إذا لم يقدر على إعدام ما أوجد يكون الموجود مستعصيا عليه، فيكون عجزا في الموجد له، كمن يوجد اليوم سلاحا ولا يقدر على إعدامه، وإبطال مفعوله، فقد يكون سببا في إهلاكه، ولا تكتمل القدرة حقا إلا بالخلق

والإعدام معا، وقال في خلق السماوات والأرض: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾<sup>(٧)</sup>.

وقال في خلق الأفلاك وتنظيمها: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾<sup>(٨)</sup>. ثم

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣١٢-٣١٤)

(٢) سورة الزمر، آية: (٦٢).

(٣) سورة الملك، آية: (١).

(٤) سورة يس، آية: (٨٢).

(٥) سورة يس، آية: (٨٣).

(٦) سورة الملك، آية: (١، ٢).

(٧) سورة الأنعام، آية: (١).

(٨) سورة الأنبياء، آية: (٣٣).

في أصول الموجودات في الأرض بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup>.

وفي أصول الأجناس: الماء والنار والنبات والإنسان، قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾<sup>(٥٨)</sup> ءَأَنْتُمْ

تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾<sup>(٥٩)</sup>، وذكر معه القدرة على الإعدام: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ

وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾<sup>(٦٠)</sup>.

وفي أصول النبات: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾<sup>(٦٣)</sup> ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾<sup>(٦٤)</sup>

وفي أصول الماء: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾<sup>(٦٨)</sup> ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾<sup>(٦٩)</sup>

وفي أصول تطوير الحياة: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾<sup>(٧١)</sup> ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ

الْمُنشِئُونَ﴾<sup>(٧٢)</sup>

وفي جانب الحيوان ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾<sup>(١٧)</sup> ﴿<sup>(٢)</sup>﴾<sup>(٣)</sup>.

"نتبيه: إن بيان أطوار خلق الإنسان على النحو المتقدم أقوى في انتزاع الاعتراف بقدرة الله

من العبد، من يحيي المخلوق جملة، لأنه يوقفه على عدة مراحل من حياته وإيجاده، وكل

طور منها آية مستقلة، وهذا التوجيه موجود في الظواهر الكونية أيضا من سماء وأرض،

فالسما كانت دخانا وكانت رتقا ففتقهما، والأرض كانت على غير ما هي عليه الآن، وبين

الجميع في قوله: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ حَلَقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾<sup>(٢٧)</sup> رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا﴾<sup>(٢٨)</sup> وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ

ضُعْبَهَا﴾<sup>(٢٩)</sup> وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾<sup>(٣٠)</sup> أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا﴾<sup>(٣١)</sup> وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾<sup>(٣٢)</sup>

﴿<sup>(٤)</sup>﴾، وأجمع من ذلك كله في قوله تعالى في فصلت ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ

فِي يَوْمَيْنِ وَيَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٩)</sup> وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ

(١) سورة البقرة، آية: (٢٩).

(٢) سورة الغاشية، آية: (١٧).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٧١-٧٠/٨)

(٤) سورة النازعات، آية: (٣٢-٢٧).

فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ﴿١٢﴾. ثم ختم تعالى هذا التفصيل الكامل بقوله : ﴿

ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٣﴾ ، ففيه بيان أن تلك الأطوار في المخلوقات بتقدير معين ، وأنه بعلم ، ومن العزيز سبحانه ، فكان من الممكن خلقها دفعة واحدة ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، ولكن العرض على هذا التفصيل أبعد أثراً في نفس السامع وأشد تأثيراً عليه . والعلم عند الله تعالى (٢) .

ثم قررهم بالاستفهام المباشر ليحرك كوامن الحق في نفوسهم عسى أن يغلب عنادهم وتعتنهم، أو يقيم عليهم الحجة إن أبوا إلا كفر الحق، فقال الحق سبحانه:

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

الهمزة للاستفهام التقريري، وردُّ مسألة الخلق إليهم لبيان عجزهم وضعفهم وتقريهم به، ولاستثارة الحق الكامن في نفوسهم وفطرتهم وتقريهم به.

وجملة الاستفهام في موضع المفعول الثاني (٣)، وعبر بالخلق لأنها مقصود تقرير الحجة في إثبات البعث الذي ينكروه، والضمير يعود على النطفة مع تذكيره، وذكره ليدل على ما ينشأ عنها من بشر مكتمل المراحل بعد تطوره من نطفة ميتة ليس فيها حياة إلى بشر كامل الخلقة، وفي ذلك يشير إلى أنه أوجد النطفة من العدم وأحيا الإنسان بعد الموت.

والآية تتضمن الجواب، فهو استفهام للإيجاب بالحقيقة البديهية، فلفظ ( أم ) بمعنى بل على خلاف في اتصالها وانقطاعها أي بل نحن الخالقون، "لأن الاستفهام إذا كان فيه معنى التقرير صار نفياً إذا كان موجبا، وإن كان نفياً صار موجبا لأن نفي النفي إيجاب كما قال:

(١) سورة فصلت، آية: (٩-١٢).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٣٠٩-٣٠٨/٨)

(٣) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ٢٠٧/٨، فتح القدير للشوكاني ١٥٦/٥، روح المعاني للآلوسي ١٤٧/٢٧، التحرير

والتنوير للطاهر بن عاشور ٣١٤/٢٧

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح<sup>(١)</sup>.

وفي الآية إقامة الحجة عليهم والمعنى "أنا خلقنا مما شاهدتموه من المني بشرا فنحن على خلق ما غاب من إعادتكم أقدر ، فيكون ذلك خارجا مخرج البرهان<sup>(٢)</sup>".

"قال الأزهري في هذه الآية : إن الله تعالى احتج عليهم بأبلغ دليل في البعث والإحياء بعد الموت في هذه الآية ، وذلك لأن المني الذي يسقط من الإنسان ميت ، ثم يخلق الله منه شخصا حيا ، وقد كانوا مقرين أن الله خلقهم من النطف ، وكانوا منكرين للإحياء بعد الموت ، فألزمهم أنهم لما أقروا بخلق حي من نطفة ميتة يلزمهم أن يقروا بإعادة الحياة في ميت . ومعنى الآية : كما أقرتم بذلك فأقروا بهذا<sup>(٣)</sup>" ، "فهذا توقيف يقتضي أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق لا إله إلا هو<sup>(٤)</sup>".

وقوله سبحانه: ( أم نحن الخالقون ) "زيادة في تقرير إسناد الخلق إلى الله في المعنى وللإيفاء بالفاصلة وامتداد نفس الوقف<sup>(٥)</sup>".

"تنبيه: هذا البرهان الدال على البعث الذي هو خلق الإنسان من نطفة مني تمنى ، يجب على كل إنسان النظر فيه ، لأن الله جل وعلا وجه صفة الأمر بالنظر فيه إلى مني الإنسان ، والأصل في صيغة الأمر على التحقيق الوجوب إلا للدليل صارف عنه ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ فَيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۗ ﴾<sup>(٦)</sup><sup>(٧)</sup>.

(١) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (١٦٧/٤) بتصرف يسير

(٢) النكت والعيون للماوردي (١٦٧/٥)

(٣) تفسير القرآن للسمعاني (٣٥٤/٥)

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩١/٤)

(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧١٦/٢٧)

(٦) سورة طارق، آية: (٥).

(٧) أضواء البيان للشنقيطي (٧١٦/٧) .



ثم أكد قدرته سبحانه على الخلق بتقرير حقيقة الموت التي يؤمنون بها والادلة على إمكانية ضدها وهي الحياة، فأجابهم على ما سألمهم في الآية قبلها فقال الحق سبحانه:

﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَيْنَ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا

تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

### القراءات

قرأ ابن كثير وحده (نحن قدرنا بينكم الموت) خفيفة والباقون يشددون<sup>(١)</sup>.  
قال البغوي: هما لغتان<sup>(٢)</sup> وذكر السمرقندي أن: معناهما واحد لأن التشديد للتكثير<sup>(٣)</sup>.  
عاد بذكر ضمير الجمع الدال على العظمة (نحن) مرة أخرى فبدأ به الآية الكريمة، وفيه ربط الكلام بعضه ببعض الذي يشير إلى توحيد الفاعل والموجد والخالق سبحانه، حيث قال في الآيات السابقة ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ وهنا قال (نحن قدرنا) وسيأتي كذلك تكرار ذلك في قوله (أم نحن الزارعون) وقوله (أم نحن المنزلون) وقوله في الحرث والماء (لو نشاء) ثم في النار يقول (نحن جعلناها تذكرة) فكرر ضمير العظمة للربط والتناسق والإشارة لتوحيد الخالق.  
وجاء بلفظ (قدرنا) ليناسب معنى لفظ الموت، وهو وإن كان هو الخالق للموت سبحانه كما قال ذلك في قوله تعالى (هو الذي خلق الموت والحياة) إلا أنه جاء بلفظ التقدير (قدرنا) بدل الخلق دلالة على تفاوت الأعمار والآجال ومواعيد الموت للخلق المتفاوتة الميقات والمكان، وفيه الإشارة إلى القدرة العظيمة التي أشار إليها بضمير العظمة (نحن) فلا يقدر على تقدير تلك الآجال والأعمار وتفاوتها وحسبانها بين بني البشر على كثرتهم وانتشارهم في الأرض عبر الأزمنة إلا عظيم قادر وهو الله سبحانه، ولفظ (بينكم) هو المؤكد لمعنى التفاوت الحاصل بين الآجال والأعمار، ولذلك فسر جل المفسرين لفظ التقدير هنا بمعنى تقدير الآجال مسماة بين متقدم ومتأخر<sup>(٤)</sup>.

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (١/٣٦٧)..

(٢) تفسير البغوي (٤/٢٨٧).

(٣) بحر العلوم للسمرقندي، (٣/٣٧٤).

(٤) (ينظر: تفسير مجاهد ٢/٦٥٠، تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٦، جامع البيان للطبري ٢٧/١٩٦، بحر العلوم

"وهل في قوله تعالى : ( بينكم ) بدلا عن غيره من الألفاظ فائدة ؟ نقول : نعم فائدة جلييلة ، وهي تبين بالنظر إلى الألفاظ التي تقوم مقامها فنقول : قدرنا لكم الموت ، وقدرنا فيكم الموت ، فقوله : قدرنا فيكم يفيد معنى الخلق لأن تقدير الشيء في الشيء يستدعي كونه ظرفا له إما ظرف حصول فيه أو ظرف حلول فيه كما يقال : البياض في الجسم والكحل في العين ، فلو قال : قدرنا فيكم الموت لكان مخلوقا فينا وليس كذلك ، وإن قلنا : قدرنا لكم الموت كان ذلك ينبىء عن تأخره عن الناس فإن القائل إذا قال : هذا معد لك كان معناه أنه اليوم لغيرك وغدا لك ، كما قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١) (٢) ."

"فالموت يأتي على آحادهم تداولا وتناوبا ، فلا يفلت واحد منهم ولا يتعين لحلوله صنف ولا عمر فأذن ظرف ( بين ) بأن الموت كالشيء الموضوع للتوزيع لا يدري أحد متى يصيبه قسطه منه ، فالناس كمن دعوا إلى قسمة مال أو ثمر أو نعم لا يدري أحد متى ينادى عليه ليأخذ قسمه ، أو متى يطير إليه قطه ولكنه يوقن بأنه نائله لا محاله ، وبهذا كان في قوله : ( بينكم الموت ) استعارة مكنية إذ شبه الموت بمقسوم ورمز إلى المشبه به بكلمة ( بينكم ) الشائع استعمالها في القسمة ، قال تعالى : ﴿ أَنْ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ﴾ (٣) . وفي هذه الاستعارة كناية عن كون الموت فائدة ومصلحة للناس إما في الدنيا لئلا تضيق بهم الأرض والأرزاق وإما في الآخرة فللجزاء الوفاق ، وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي لإفادة تقوي الحكم وتحقيقه ، والتحقيق راجع إلى ما اشتمل عليه التركيب من فعل ( قدرنا ) و ظرف ( بينكم ) في دالتهما على ما في خلق الموت من الحكمة (٤) ."

"ويفيد قوله : ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ ﴾ الخ وراء ذلك عبرة بحال الموت بعد الحياة فإن في

للسمرقندي ٣/٣٧٤ ، الكشف والبيان للثعلبي ٩/٢١٤ ، الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١٩/١٦٠ ، تفسير البيضاوي

٥/٢٩٠ ، لباب التأويل للنيسابوري ٧/٢٢ ، التسهيل للكلي ٤/٩١ ، أضواء البيان للشنقيطي ٧/٥٢٩ .

(١) سورة آل عمران، آية: (١٤٠) .

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٧٩/٢٩) .

(٣) سورة القمر، آية: (٢٨) .

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣١٥-٣١٦) .

تقلب ذينك الحالين عبرة وتدبرا في عظيم قدرة الله وتصرفه فيكون من هذه الجهة وزانه وزان قوله الآتي : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا﴾ وقوله : ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ وقوله : ﴿وَمَا نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَتًا لِلْمُقْوِينَ﴾ (٧٣) (١) .

وقوله سبحانه ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ ﴿ عبر بالسبق، والسبق من "سبقته على الشيء: إذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه، فمعنى قوله : ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ ﴿ أنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه، وأمثالكم جمع مثل : أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق، وعلى أن (نشأكم) في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها ، يعني : أنا نقدر على الأمرين جميعا : على خلق ما يماثلكم ، وما لا يماثلكم ؛ فكيف نعجز عن إعادتكم (٢) ."

وفي قوله سبحانه ( وما نحن بمسبوقين ) معنى التحدي وإثبات القوة، فإن نفي الضعف ونفي التأخر دليل إثبات الضد وهو السبق والتقدم، فأثبت لنفسه سبحانه القدرة على البعث بنفي العجز عن إعادة الخلق والتبديل والإنشاء، وهو احتجاج عليهم بأن الذي يقدر على الإماتة يقدر على الخلق وإذا قدر على الخلق قدر على البعث، وفيه كذلك تهديد لهم ووعيد وتخويف (٣) .

ومتعلق قصر السبق عليه سبحانه في الآية التي تليها حيث قال ( على أن نبدل أمثالكم ) (٤) ، وفي التعريض بالعلو بلفظ ( على ) إشارة إلى الاستعلاء وأنه الأعلى والأقدر على من تحته ومن دونه وأنه أمكن، "وكلمة على في هذا الوجه مأخوذة من استعمال لفظ المسابقة فإنه

(١) المصدر السابق (٣١٧/٢٧)

(٢) الكشاف للزمخشري (٢٠٧/٤)

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٦، تفسير القرآن لابن زنين ٤/٣٤١، الكشاف والبيان للثعلبي ٩/٢١٤، المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٢٤٨، تفسير العز بن عبدالسلام ٣/٢٧٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢١٦، غرائب القرآن للنيسابوري ٦/٢٩٠، التسهيل للكلي ٤/٩١، نظم الدرر للبقاعي ٧/٤١٦، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٨/٤١٧، فتح القدير للشوكاني ٥/١٥٧.

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٥٧/٢٧)

يكون على شيء ، فإن من سبق غيره على أمر فهو الغالب<sup>(١)</sup> .

"وفيه لطيفة: وهي أن قوله: ( فيما لا تعلمون ) تقرير لقوله: ﴿ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> وكأنه قال : كيف يمكن أن تقولوا هذا وأنتم تنشأون في بطون أمهاتكم على أوصاف لا تعلمون وكيف يكون خالق الشيء غير عالم به ؟ وهو كقوله تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> وعلى ما ذكرنا فيه فائدة وهي التحريض على العمل الصالح ، لأن التبديل والإنشاء وهو الموت والحشر إذا كان واقعا في زمان لا يعلمه أحد فينبغي أن لا يتكل الإنسان على طول المدة ولا يغفل عن إعداد العدة ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> تقريرا لإمكان النشأة الثانية<sup>(٥)</sup> ، ففي المراد بقدرته على خلق مثلهم هو قدرته على إعادتهم كما أخبر بذلك في قوله: ﴿ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُنَّ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾<sup>(٦)</sup> فإن القوم ما كانوا ينازعون في أن الله يخلق في هذه الدار ناسا أمثالهم فإن هذا هو الواقع المشاهد يخلق قرنا بعد قرن يخلق الولد من الوالدين وهذه هي النشأة الأولى وقد علموها وبها احتج عليهم على قدرته على النشأة الآخرة كما قال ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾<sup>(٧)</sup> ."

"وعطف بالواو دون الفاء لأنه بمفرده تصوير لقدرة الله تعالى وحكمته بعدما أفاده قوله : ( أن نبدل أمثالكم ) من إثبات أن الله قادر على البعث .

و ( ما ) من قوله : ( في ما لا تعلمون ) صادقة على الكيفية ، أو الهيئة التي يتكيف بها الإنشاء ، أي في كيفية لا تعلمونها إذ لم تحيطوا علما بخفايا الخلقة . وهذا الإجمال جامع

(١) التفسير الكبير للرازي (١٨٠/٢٩)

(٢) سورة النجم، آية: (٣٢).

(٣) التفسير الكبير للرازي (١٨١/٢٩)

(٤) سورة الأحقاف، آية: (٣٣).

(٥) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٢٥١/١٧)

لجميع الصور التي يفرضها الإمكان في بعث الأجساد لإيداع الأرواح. والظرفية المستفادة من ( في ) ظرفية مجازية معناها قوة الملابس الشبيهة بإحاطة الظرف بالمظروف كقوله: ﴿ فَعَدَّلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾<sup>(١)</sup>، ومعنى (لا تعلمون): أنهم لا يعلمون تفاصيل تلك الأحوال<sup>(٢)</sup>، والإنشاء بمعنى الخلق<sup>(٣)</sup> وفيه إشارة إلى البعث الذي أنكروه.

وفي نفي العلم عنهم بيان جهلهم وعلمهم القاصر أن يدركوا حقائق الأمور يقينا لأن حقائق الأمور لا يعلمها إلا الله ومنها الخلق والإماتة، بل جهلهم لما أنكروا مما هو معلوم بالضرورة.

ثم ذكرهم النشأة الأولى ليكون تذكيرا بعد تذكير<sup>(٤)</sup>، وتقريراً لإمكان النشأة الثانية<sup>(٥)</sup>، فقال الحق سبحانه بعد ذلك:

﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

يختم الله آيات تقرير خلق الانسان بالاحتجاج على المنكرين للبعث مستدلا بالنشأة الأولى على تحقق النشأة الثانية والبعث، وفيه ربط لصدر هذا المقطع المقرر لأصل وحقيقة خلقهم التي ذكرها في قوله سبحانه ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ وهي النطفة التي هي أصل النشأة الأولى، وقد للتحقيق بأنه حصل في علمهم علم اليقين النشأة الأولى أصل خلقتهم ولا ينكرونها فكيف ينكرون إعادتها وإنشائهم ثانية للبعث، وقيل المراد من النشأة الأولى خلق آدم عليه السلام<sup>(٦)</sup>، وبما أنه لم يرد له إشارة فالمقدم النطفة والله اعلم بحقائق كلامه.

(١) سورة الانفطار، آية: (٧، ٨).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣١٨/٢٧)

(٣) ينظر: الوجيز للواحدي ١٠٦٢/٢، لباب التاويل للخازن ٢٢/٧، تنوير المقباس للفيروزآبادي ٤٥٤/١، الباب في

علوم الكتاب لابن عادل ٤١٧/١٨، تفسير الجلالين ٧١٦/١، الدر المنثور للسيوطي ٤٢/٨

(٤) غرائب القرآن للنيسابوري (٢٩٠/٦)

(٥) التفسير الكبير للرازي (١٨١/٢٩)

(٦) ينظر: تفسير مجاهد ٦٥٠/٢، تفسير مقاتل بن سليمان ٣١٦/٣، تفسير الصنعاني ٢٧٢/٣، جامع البيان للطبري

١٩٧/٢٧، بحر العلوم للسمرقندي ٣٧٤/٣، تفسير القرآن العزيز لابن زنين ٣٤٢/٤، الكشف والبيان للثعلبي ٢١٥/٩،

"وتأمل قوله تعالى في الواقعة : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ ٥٨ ﴿ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ ٥٩ ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ ﴾ كيف ذكر مبدأ النشأة وآخرها مستدلا بها على النشأة الثانية بقوله: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴾ ٦٠ ﴿ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ٦١ ﴿ فإنكم إنما علمتم النشأة الأولى في بطون أمهاتكم ومبدأها مما تمنون ولن نغلب على أن ننشئكم نشأة ثانية فيما لا تعلمون فإذا أنتم أمثال ما كنتم في الدنيا في صوركم وهيئاتكم وهذا من كمال قدرة الرب تعالى ومشيعته لو تذكرتم أحوال النشأة الأولى لددكم ذلك على قدرة منشئها على النشأة التي كذبتكم بها فأبي استدلال وإرشاد أحسن من هذا وأقرب إلى العقل والفهم وأبعد من كل شبهة وشك وليس بعد هذا البيان والاستدلال إلا الكفر بالله وما جاءت به الرسل والإيمان<sup>(١)</sup>".

"وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى<sup>(٢)</sup>"، وفيها "تخصيص على النظر المؤدي إلى الإيمان<sup>(٣)</sup>".

"فأعقب دليل إمكان البعث المستند للتنبيه على صلاحية القدرة الإلهية لذلك ولسد منافذ الشبهة بدليل من قياس التمثيل، وهو تشبيه النشأة الثانية بالنشأة الأولى المعلومة عندهم بالضرورة، فنبهوا ليقيسوا عليها النشأة الثانية في أنها إنشاء من أثر قدرة الله وعلمه ، وفي أنهم لا يحيطون علما بدقائق حصولها، فالعلم المنفي في قوله : ( فيما لا تعلمون ) ، هو العلم التفصيلي ، والعلم المثبت في قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ٦٢ ﴿ هو

الوجيز للواحد ١٠٦٢/٢، تفسير القرآن للسمعاني ٣٥٥/٥، تفسير البغوي ٢٨٧/٤، المحرر الوجيز لابن عطية ٢٤٨/٥، زاد المسير لابن الجوزي ١٤٧/٨، الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٢١٧/١٧، لباب التاويل للخان ٢٣/٧، البحر المحيط لأبي حيان ٢١١/٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٩٦/٤، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٤١٥/١٨، الدر المنثور لليسوطي ٢٣/٨، فتح القدير للشوكاني ١٥٧/٥، روح المعاني للألوسي ١٤٨/٢٧، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٨٣٥/١

(١) التبيان في أقسام القرآن لأبي عبدالله الدمشقي (١٢٣/١)

(٢) الكشاف للزمخشري (٢٠٧/٤)

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٢٤٨/٥)

العلم الإجمالي ، والإجمالي كاف في الدلالة على التفصيلي إذ لا أثر للتفصيل في الإعتقاد .  
 وفي المقابلة بين قوله : ( في ما لا تعلمون ) بقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ ﴾ محسن الطباقي ، ولما كان علمهم بالنشأة الأولى كافيا لهم في إبطال إحالتهم النشأة الثانية رتب عليه من التوبيخ ما لم يرتب مثله على قوله : ﴿ وَمَا تَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ (٦٠) عَلَى أَنْ تُبَدَّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشَأَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ ٦١ ﴾ فقال : (فلولا تذكرون) ، أي هلا تذكرتم بذلك فأمسكتم عن الجحد ، وهذا تجهيل لهم في تركهم قياس الأشباه على أشباهها ، ومثله قوله آنفا : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ (٥٧) ، وجيء بالمضارع في قوله : ( تذكرون ) للتنبية على أن باب التذكر مفتوح فإن فاتهم التذكر فيما مضى فليتداركوه الآن (١) .

وقد جاء الاستدلال والاحتجاج العقلي للإقناع وإقامة الحجة عليهم في إثبات البعث وقدرته سبحانه على النشأة الثانية بما يؤمنون به من خلقهم من العدم وإنشائهم النشأة الأولى مقررا في آيات كثيرة منها قوله سبحانه : ﴿ إِنَّهُ يُبَدِّلُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ (٢) وقوله : ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٣) وقوله : ﴿ قُلِ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٤) وقوله : ﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (٥) وقوله جل في علاه : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الذُّكْرَ وَالْأُنثَى ﴾ (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿ ٤٦ ﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النُّشْأَةَ الْآخِرَى ﴾ (٤٧) . (٦)

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣١٨-٣١٩)

(٢) سورة يونس ، آية : (٤) .

(٣) سورة الإسراء ، آية : (٥٣) .

(٤) سورة يس ، آية : (٧٩) .

(٥) سورة ق ، آية : (١٥) .

(٦) سورة النجم ، آية : (٤٥-٤٧) .

"ثم دل على كمال عنايته ورحمته ببريته مع دليل آخر على قدرته<sup>(١)</sup>" فقال الحق سبحانه:

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ (٦٣)

ذكر الحق سبحانه حجة ودليل عقلي ثان لتقرير إثبات قدرته في البعث، فأعقب ذكر خلقهم الاستدلال بما فيه بقاء حياتهم وحياة أنعامهم.

فقوله (أفأرأيتم) أي أخبروني وسبق بيانه عند قوله سبحانه ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ (٥٨)، و"تكون (ما) مصدرا أي حرثكم ويجوز أن تكون بمعنى الذي أي أفأرأيتم الحرث الذي تحرثون<sup>(٢)</sup>".

وفي الآية الكريمة تقسيم في إيجاد الزرع إلى قسمين:

القسم الأول: ما عملته أيديهم وفي ذلك تتجلى حكمتان:

الأولى: الاعتراف بنصيبهم من التسبب في إيجاد الزرع بالحرث.

الثانية: تحجيم جهدهم وانحصاره في الحرث لبيان حدود قدرتهم والوصول إلى الغاية من إقامة الحجة عليهم في إنبات الزرع.

القسم الثاني: ما لم تعمله أيديهم وفي ذلك تتجلى حكمتان:

الأولى: إثبات عجزهم عن الإنبات وإثبات قصر علمهم عن الإحاطة بكنهه وكيفية خروجه من باطن الأرض.

الثانية: إثبات قدرة الله في الإنبات ومنه يستدل على قدرته في الإيجاد للمعدوم وفي الإعادة للموجود بعد فنائه.

ولذلك "أضاف الحرث إليهم والزرع إليه تعالى لأن الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم ، والزرع من فعل الله وينبت على اختياره لا على اختيارهم<sup>(٣)</sup>".

(١) غرائب القرآن للنيسابوري (٢٤٣/٦)

(٢) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (٣٣٩/٤)

(٣) النكت والعيون للماوردي (٣٣٩/٥)



وقد ذكر أهل التأويل أن هذه الآية الكريمة تتضمن أمران:

أحدهما : الامتنان من الله عليهم بأن أنبت ما حرثوا زرعاً يكون من معاشهم يقتاتون عليه وأنعامهم مما يدعوهم إلى توحيد سبحانه وعبادته والإيمان به وبما جاء من عنده<sup>(١)</sup>.

الثاني : برهان ثان قاطع على تقرير البعث للجزاء، موجب للاعتبار والتفكير بأن القادر على إحياء ما يحرثون بعد تلاشي بذوره في الأرض فيصير زرعاً أخضراً هو قادر سبحانه على بعث أجسادهم وإعادة الحياة بعد تلاشيها في الأرض<sup>(٢)</sup>.

"فذكر بعد دليل الخلق دليل الرزق فقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ﴾<sup>(٥٨)</sup> إشارة إلى دليل الخلق وبه

الابتداء، وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾<sup>(٦٣)</sup> إشارة إلى دليل الرزق وبه البقاء، وذكر أموراً ثلاثة

المأكل والمشروب وما به إصلاح المأكل، ورتبه ترتيباً فذكر المأكل أولاً لأنه هو الغذاء، ثم

المشروب لأن به الاستمرار، ثم النار التي بها الإصلاح وذكر من كل نوع ما هو الأصل، فذكر

من المأكل الحب فإنه هو الأصل، ومن المشروب الماء لأنه هو الأصل، وذكر من المصلحات

النار لأن بها إصلاح أكثر الأغذية وأعمها، ودخل في كل واحد منها ما هو دونه، هذا هو

الترتيب<sup>(٣)</sup>، "ولما كان علمهم بأمر النبات الذي هو الآية العظمى لإعادة الأموات أعظم من

علمهم بجميع ما مضى ، وكان أمره في الحرث وإلقاء البذر فيه أشبه شيء بالجماع وإلقاء

النفطة، ولذلك سميت المرأة حرثاً، وصل بما مضى مسبباً عنه قوله منكر عليهم: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾

أي أخبروني هل رأيتم بالبصر أو البصيرة ما نبهناكم عليه ، وفيما تقدم فتسبب عن تنبهكم

لذلك أنكم رأيتم ﴿مَا تَحْرُثُونَ﴾<sup>(٦٣)</sup> أي تجددون حرثه على سبيل الاستمرار بتهيئة أرضه

للبذر وإلقاء البذر فيه<sup>(٤)</sup>."

(١) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٥/٣٣٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/٢٤٨)، تيسر الكريم الرحمن للسعدي

(١/٨٣٥)، أضواء البيان للشنقيطي (٧/٥٣١)

(٢) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٥/٣٣٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/٢١٧)، روح المعاني للآلوسي

(٢/١٢٤)، أضواء البيان للشنقيطي (٧/٥٣١)

(٣) التفسير الكبير للرازي (٢٩/١٨١)

(٤) نظم الدرر للبقاعي (٧/٢٤٣)

فلاية "انتقال إلى دليل آخر على إمكان البعث وصلاحية قدرة الله له بضرب آخر من ضروب الإنشاء بعد العدم، فالفاء لتفريع ما بعدها على جملة: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ (٥٧) ﴿ ٥٧ ﴾ كما فرع عليه قوله: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ (٥٨) ﴿ ٥٨ ﴾ ليكون الغرض من هذه الجمل متحدا وهو الاستدلال على إمكان البعث، فقصد تكرير الاستدلال وتعداده بإعادة جملة ( أفرايتم ) وإن كان مفعول فعل الرؤية مختلفا وسيجيء نظيره في قوله بعده ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ وقوله: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ (١) ، "ومناسبة الانتقال من الاستدلال بخلق النسل إلى الاستدلال بنبات الزرع هي التشابه البين بين تكوين الإنسان وتكوين النبات ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ (٢) (٣) كما سبقت الإشارة إليه.

ولبيان مقصود هذه الآية (٤) أورد استفهاما تقريريا عن المسبب في تحقيق غاية الحرث فقال الحق سبحانه:

﴿ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ (٦٤) ﴿ ٦٤ ﴾

الهمزة الأولى للاستفهام، والاستفهام بقصد الإثبات (٥)، وقال الطاهر بن عاشور أنه استفهام في معنى النفي (٦) وقال أيضا: "والاستفهام في ﴿ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ ﴾ إنكاري كالذي في قوله: ﴿ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ ﴾، والقول في موقع أم من قوله: ﴿ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ (٦٤) ﴿ ٦٤ ﴾ كالقول في موقع نظيرتها من قوله: ﴿ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ أي أن ( أم ) منقطعة للإضراب (٧) . وفي الآية السابقة نسب الحرث لهم لأنه فعلهم وهنا نسب الزرع وهو الإنبات له لأنه فعله

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣١٩/٢٧-٣٢٠)

(٢) سورة نوح، آية: (١٧).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٢٠/٢٧)

(٤) المصدر السابق (٣٢١/٢٧)

(٥) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٤١/١٨)

(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٢٠/٢٧)

(٧) المصدر السابق (٣٢١/٢٧)

وحده سبحانه، فلا يمكن لأحد أن ينسب إنبات الزرع لنفسه أو يدعيه لأحد غير الله<sup>(١)</sup>، ولذلك ذكر في الآية السابقة ما يكون في قدرتهم من الحرث والبذر والسقي وذكر في هذه الآية ما هو في قدرته وحده سبحانه من إنبات الزرع وليس لهم فيه أدنى عمل وقدرة، فذكر ما هو في قدرتهم باسمه ومعناه وهو الحرث وذكر ما ليس في قدرتهم وما ليس لهم فيه تصرف باسمه ومعناه وهو الزرع فدل التعبير باللفظين على قصد التفريق بينهما، وإن كان الجميع من الله إلا أنه سبحانه ذكر ما يكون فيه حجة على إثبات قدرته التي لا ينكرونها على إحياء البذرة التي يجرثون الأرض لها ومنه يستدل احتجاجا على قدرته على البعث الذي ينكرونه.

ولأن في إنبات الزرع إحياء لبذرة جامدة في أرض ميتة أورد الاحتجاج به على البعث مما يحمل معناه عند العرب حيث "يقال للولد: زرعه الله أي: أنبته الله"<sup>(٢)</sup>، "وقد نبه هذا الكلام على أشياء منها إحياء الموتى ومنها الامتنان بإخراج القوت ومنها القدرة العظيمة الدالة على التوحيد"<sup>(٣)</sup>.

"فالقول في نفي الزرع عنهم وإثباته لله تعالى يفيد معنى قصر الزرع، أي الإنبات على الله تعالى، أي دونهم، وهو قصر مبالغة لعدم الاعتداد بزرع الناس، ويؤخذ من الآية إيماء لتمثيل خلق الأجسام خلقا ثانيا مع الانتساب بين الأجسام البالية والأجسام المحددة منها بنبات الزرع من الحبة التي هي منتسبة إلى سنبله زرع أخذت هي منها فتأتي هي بسنبله مثلها"<sup>(٤)</sup>.

"فيقال لهم: كل عاقل يعلم أن من أنبت هذا السنبل من هذا البذر الذي تعفن في باطن الأرض قادر على أن يبعثكم بعد موتكم، وكون إنبات النبات بعد عدمه من براهين البعث، جاء موضحا في آيات كقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْظُرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ

(١) التفسير الكبير للرازي (١٨٢/٢٩)

(٢) تفسير القرآن للسمعاني (٣٥٥/٥)

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (١٤٨/٨)

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٢١/٢٧)

(٥) سورة فصلت، آية: (٣٩).

اللَّهِ كَيْفَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴿١﴾ ،  
 وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نِّقَالًا سَفَعْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ  
 كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴿٢﴾ .

تنبيه: اعلم أنه يجب على كل إنسان أن ينظر في هذا البرهان الذي دلت عليه هذه الآية  
 الكريمة ، لأن الله جل وعلا وجه في كتابه صيغة أمر صريحة عامة في كل ما يصدق عليه  
 مسمى الإنسان بالنظر في هذا البرهان العظيم المتضمن للامتنان ، لأعظم النعم على الخلق ،  
 وللدلالة على عظم الله وقدرته على البعث وغيره ، وشدة حاجة خلقه إليه مع غناه عنهم ،

وذلك قوله تعالى : ﴿ ٢٣ ﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۚ ﴿ ٢٤ ﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿ ٢٥ ﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ  
 شَقًّا ﴿ ٢٦ ﴾ فَأَبْتَأْنَا فِيهَا جَبًّا ﴿ ٢٧ ﴾ وَعَبْنَا وَقَضَبًّا ﴿ ٢٨ ﴾ وَزَيَّنَّاهَا لِيُؤْخَذَ ﴿ ٢٩ ﴾ وَحَدَائِقِ غُلَبًا ﴿ ٣٠ ﴾ وَفِكَهَةٌ وَأَبًّا ﴿ ٣١ ﴾

مَنْعًا لَكُمْ وَلِيَنْعَمَكُمُ ﴿ ٣٢ ﴾ ﴿ ٣ ﴾ . والمعنى : انظر أيها الإنسان الضعيف إلى طعامك كالخبز  
 الذي تأكله ولا غنى لك عنه ، من هو الذي خلق الماء الذي صار سببا لإنباته هل يقدر أحد  
 غير الله على خلق الماء ؟ أي إبرازه من أصل العدم إلى الوجود . ثم هب أن الماء خلق ، هل  
 يقدر أحد غير الله أن ينزله على هذا الأسلوب الهائل العظيم الذي يسقى به الأرض من غير  
 هدم ولا غرق ؟ ثم هب أن الماء نزل في الأرض من هو الذي يقدر على شق الأرض عن مسار  
 الزرع ؟ ثم هب أن الزرع طلع ، فمن هو الذي يقدر على إخراج السنبل منه ؟ ثم هب أن  
 السنبل خرج منه ، فمن هو الذي يقدر على إنبات الحب فيه وتنميته حتى يدرك صالحا للأكل

؟ ﴿ أَنْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ ١٩ ﴾ ﴿ ٤ ﴾ ، والمعنى :  
 انظروا إلى الثمر وقت طلوعه ضعيفا لا يصلح للأكل ، وانظروا إلى ينعه ، أي انظروا إليه بعد  
 أن صار يانعا مدركا صالحا للأكل ، تعلموا أن الذي رباه ونماه حتى صار كما ترونه وقت ينعه

(١) سورة الروم، آية: (٥٠).

(٢) سورة الأعراف، آية: (٥٧).

(٣) سورة عبس، آية: (٢٣-٣٢).

(٤) سورة الأنعام، آية: (٩٩).

قادر على كل شيء منعم عليكم عظيم الإنعام ، ولذا قال : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٩٩) ﴿<sup>(١)</sup>﴾ ، فاللازم أن يتأمل الإنسان وينظر في طعامه ويتدبر قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾ (٦٦) ﴿<sup>(٢)</sup>﴾ أي عن النبات شقاً<sup>(٣)</sup> .

ثم أكد قدرته سبحانه المتضمنة معاني الرحمة في حفظ قوتهم وقوت أنعامهم من الهلاك مع كفرهم وحجودهم الحق فقال الحق سبحانه:

﴿ ٦٤ ﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴿

### القراءات:

"قرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر (أءنا لمغرمون) استفهام بـمـزتين، وقرأ الباقون وحفص عن عاصم (إنا لمغرمون) (على الخبر<sup>(٤)</sup>)".

لو حرف شرط غير جازم يفيد التعليق في الماضي أو المستقبل، يستعمل في الامتناع أو في غير الإمكان أي امتناع الجواب لامتناع الشرط، وكل ما جاء في القرآن وكلام العرب من هذا التركيب لا يكون محذوفه إلا من جنس جوابه، فيكون التقدير لو نشاء جعلناه حطاما بلجعلناه حطاما، ومثله نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ﴾<sup>(٦)</sup><sup>(٧)</sup>، ولو هنا لتأكيد قدرته سبحانه على إهلاك ما حرثوه وأنبتته لهم وأناماه، وفي معنى القدرة تذكير بنعمته عليهم في حفظه من الهلاك وكذا لطفه وحلمه بهم فلم يؤاخذهم بأفعالهم ويعاجلهم العقوبة، وكذلك فيه تهديد لهم ووعيد بأن قدرته في الهلاك قد تشملهم كما طالت الحرث والزرع لينزجروا وينتهوا عن كفرهم وتكذيبهم

(١) سورة الأنعام، آية: (٩٩).

(٢) سورة عبس، آية: (٢٦).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٥٣٢-٥٣١/٧)

(٤) السبعة في القراءات لابن مجاهد (٦٢٣/١-٦٢٤).

(٥) سورة الأنعام، آية: (٣٥).

(٦) سورة يونس ، آية: (٩٩).

(٧) البحر المحيط لأبي حيان (٤٦٩/٧)

البعث وما جاء به الرسول، فهلاك أنفسهم أعظم من هلاك زروعهم<sup>(١)</sup>. وفيه إشارة إلى حقارة الدنيا وهوانها مأخوذ ذلك من التعبير بلفظ الحطام، "والحطام اليابس المتفتت من النبات الصائر إلى ذهاب وبه شبه حطام الدنيا"<sup>(٢)</sup>، يقول المولى سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يَهَيِجُ فَتَرَنَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾<sup>(٣)</sup>، كما أن في لفظ الحطام معنى الهلاك وفيه إشارة إلى هلاك الدنيا وزوالها وعدم بقائها وأنها ليست دارا للبقاء والنعيم فهي وما فيها من نعيم زائل لا محالة.

وفي الآية الكريمة معنى إبطال ما قد يدعونه من نسبة الزرع إليهم من حيث حرثه وسقيه وأنهم سبب إنباته وليس الله وذلك جوابا للاستفهام في الآية السابقة ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ فلو حصل منهم مثل هذا الزعم وكانوا صادقين فمن يحفظ زروعهم التي حرثوها وسقوها إذا، ومن يدفع الضرر والآفات والهلاك عنها، هل يستطيعون حمايتها وحفظها مما قد يحصل لها من الهلاك، فهي حجة بعد حجة وتدرج في الإثبات على القدرة وحتى يكون آخر الحجج أعظمها تقريرا وأكثرها قطعا وأشدّها إلزاما<sup>(٤)</sup>.

ويلاحظ تناسق ضمائر العظمة في سياق الآيات وتوحيدها والتي تدل على أنه الفاعل وحده سبحانه، فلا زال مستمر يذكر للدلالة على نفسه العلية بنون العظمة كما سبق بقوله (نحن) و(نبدل) و(وننشئكم) وهنا يسوق المشيئة بضمير العظمة (نشأ) ومعلوم ما في ذلك من الإشارة إلى تعظيمه حق عظمته وقدره حق قدره، وقد ورد لفظ (نحن) فيما سبق خمس مرات.

والتعبير بالمشيئة حث وتحضيض على الإيمان بالقدر وتقرير بأن كل ما يجري في الكون إنما يكون تحت مشيئة الله وإرادته وحده سبحانه.

(١) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٤٦٠/٥-٤٦١، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ٨٣٥/١

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٢٤٩/٥)

(٣) سورة الحديد، آية: (٢٠).

(٤) التفسير الكبير للرازي (١٨٢/٢٩)

وجواب لو هنا ماض مثبت وفي الغالب دخول اللام في المبتدأ ( لجعلناه )<sup>(١)</sup>، وزيدت اللام في جعلناه هنا ولم تذكر في قوله سبحانه ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾، وقد أورد العلماء لذلك تعليقات منها ما هو نحوي صرف ومنها ما هو بلاغي وهو محل عنايتنا وقصدنا وهو ما سنقتصر على ذكره، فقال بعضهم أن اللام لإفادة نوع تأكيد لزيادة الاهتمام بالمأكل أكثر من المشروب وأن نعمته أعظم<sup>(٢)</sup>، وقيل أنه اكتفى بذكر اللام هنا عن إعادتها ثانيا لأن المأكل والمشروب مقترنان دائما فهما متقاربان لفظا ومعنى.

واختار لفظ الجعل لمناسبة لفظ التحطيم بعده والذي يشعر بالحرمان<sup>(٣)</sup>، ويشتمل على معاني القوة الفاعلة في جعل الأشياء كما يشاء سبحانه، فلفظ الجعل الذي يشعر بالقوة متناسب مع ما قبله من المشيئة التي تشعر بالقدرة ومع ما بعده من التحطيم الذي يشعر بالحرمان.

وفي التعبير بلفظ ( ظل ) من قوله تعالى ( فظلمتم ) معنى الاستمرارية في الحال وهو الفكاهة التي تعني الدهول وإن كانت تستعمل في الفرح والضحك إلا أنها تأتي في ضد ذلك فتعني الدهول بسبب الحزن الذي هو ضد الفرح، "ولهذا عبر عما المراد به الإقامة مع الدوام بـ( ظل ) الذي معناه أقام نهارا إشارة إلى ترك الأشغال التي تهم ومحلها النهار ويمنع الإنسان من أكثر ما يهيمه من الكلام لهذا النازل الأعظم ، وحذف إحدى لامي ظل وتاء التفاعل من تفكه إشارة إلى ضعف المصابين عن الدفاع في بقائهم وفي كلامهم حال بقائهم الضعيف ، وكون المحذوف عين الفعل وهو الوسط ، إشارة إلى خلع القلب واختراق الجوف والقهر العظيم ، فلا قدرة لأحد منهم على ممانعة هذا النازل بوجه ولا على تبريد ما اعتراه منه من حرارة الصدر وخوف الفقر بغير الشكاية إلى آماله ممن يعلم أنه لا ضرر في يده ولا نفع ، وربما كان ذلك إشارة إلى أنه عادته سبحانه قرب الفرج من شدائد الدنيا ليكون الإنسان متمكنا من الشكر لا عذر له

(١) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (٥٠٩/٢)

(٢) (ينظر: الكشاف للزمخشري ٤/٤٦٤، التفسير الكبير للرازي ٢٩/١٨٢، الدر المصون للسمين الحلبي ١/٥٣٨٣،

اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٨/٣٢٠)

(٣) البرهان في علوم القرآن لزرکشي (٤٧٣/٣)

في تركه ، ويكون المعنى أنكم مع كثرة اعتيادكم للفرج بعد الشدة عن قرب تياسوا أول ما يصدمكم البلاء ، فتقبلون على كثرة الشكاية ، ولا ينفعكم كثرة التجارب لإدراك النعم أبداً<sup>(١)</sup> .

"وجملة ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ موقعها كموقع جملة: ﴿مَنْ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ في أنها استدلال بإفئائه ما أوجده على انفراده بالتصرف إيجاداً وإعداماً، تكملة لدليل إمكان البعث<sup>(٢)</sup> ."

وقوله ( تفكهون ) من التفكه والتفكن : وهو التعجب، والتفكن أيضاً: التندم على ما فات، والتأسف والتلهف، وقيل: هو التلهف على ما يفوتك بعد ظنك الظفر به؛ قال الشاعر:

ولا خارب إن فاته زاد ضيفه يعرض على إبهامه يتفكن<sup>(٣)</sup> .

"وقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ تفريع على جملة ( لجعلناه حطاماً ) أي يتفرع على جعله حطاماً أن تصيروا تقولون : إنا لمغرمون بل نحن محرومون<sup>(٤)</sup> ."

ولأن النفس تعبر عما يحصل لها في مواقف الفرح أو الحزن وبما تتفاجأ به ويؤثر فيها بحال اللسان فقد عبر عنهم بما سيقولونه لو أهلك حرثهم وزروعهم، فوصف حالهم فعلاً وقولاً بأنهم سيترحون الفكاهة عن أنفسهم حتى يقولوا: ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ ﴿٦٧﴾<sup>(٥)</sup> .  
فقوله ( إنا لمغرمون ) هو تفسير لمعنى وصفهم بقوله ( فظلمت تفكهون )، ففي الكلام متروك اكتفى بدلالة الكلام عليه وهو فظلمت تفكهون تقولون إنا لمغرمون<sup>(٦)</sup> .

(١) نظم الدرر للبقاعي (٤١٨/٧)

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٢١/٢٧)

(٣) تاج العروس للزبيدي (٥١١/٣٥-٥١٢)، والتفكن التندم.

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٢١/٢٧)

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٦/٢)

(٦) جامع البيان للطبري (٢٠٠/٢٧)



وعبر بضمير المتكلم ( إنا ) ليحرك ضمائرهم الغائبة عن الحق بسبب تكذيبهم وكفرهم، وأنهم سيعودون باللوم على أنفسهم، وأكد حقيقة ذلك باللام المؤكدة في تأنيب أنفسهم بيانا لشدة ملامة أنفسهم وما سيكونون فيه من حسرة وندامة فقال ( لمغرمون ) .  
والغرم هو الدين ولزوم الأداء، غرم يغرّم غرما و غرامة ، و أغرمه و غرمه . و الغرم : الدين .  
ورجل غارم : عليه دين، و الغرامة : ما يلزم أداءه، والغرم أداء شيء لزم، و غرما و غرامة لزمه ما لا يجب عليه<sup>(١)</sup> .

﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾<sup>(٦٧)</sup> " المحروم ضد المرزوق<sup>(٢)</sup> "، وهو "المنوع من الرزق الذي لا حظ له فيه وهو المخارف<sup>(٣)</sup>" .

فبرؤوا أنفسهم بعد ملامتها أولا وقالوا ما اعتادوا عليه في مثل هذه الأحوال التي تصيبهم فقالوا بل نحن قوم ( محرومون ) محارفون محدودون، لا حظ لنا ولا بخت لنا؛ فأسندوا ذلك إلى ما كتب عليهم في الأزل من الإدبار وسوء القضاء<sup>(٤)</sup> .  
"وقد نبه بهذا على أمرين:

أحدهما إنعامه عليهم إذ لم يجعل زرعهم حطاما، والثاني قدرته على إهلاكهم كما قدر على إهلاك الزرع<sup>(٥)</sup>" .

ونحن هنا للتحقير وبيان ضعفهم حيث لم ولن يستطيعوا دفع الحرمان عن أنفسهم، وهي في مقابل نحن التي هي للتعظيم في مقام الله، فهي في حق الله بيان كماله وعظمه وفي حقهم بيان نقص وضعف .

وفي التعبير بأقوالهم تلك بيان طباعهم وما جبلت عليه نفوسهم من الجزع عند المصائب

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور ٤٣٦/١٢، العين للخليل بن أحمد ٤١٨/٤، المعجم الوسيط لمجموعة مؤلفين ٦٥١/٢

(٢) الكشف والبيان للتعليبي (٢١٦/٩)

(٣) فتح القدير للشوكاني (١٥٨/٥)

(٤) ينظر: الكشف للزمخشري ٤٦٤/٤، غرائب القرآن للنيسابوري ١٤٩/٦، فتح القدير للشوكاني ١٥٨/٥، روح المعاني للآلوسي ١٤٩/٢٧

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (١٤٩/٨)

والتسخط كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ ﴾ (١) ،  
 وفيه بيان شدة تعلقهم بالدنيا وما فيها من حرث وزرع وتأسفهم على فوات شيء منها، وفيه  
 كذلك الإشارة إلى سعة علم الله واطلاعه على سرائرهم بإظهار ما تخفيه نفوسهم من الأقوال  
 وحتى ما يكون توقعاً في المستقبل، وفي إظهار خفايا نفوسهم التي لا يطلع عليها إلا خبير بها  
 عليم حث لهم على الرجوع للحق والتصديق بوحداية الله العليم الخبير والإيمان به والتصديق  
 برسوله وبكلامه وما جاء فيه من أمر البعث والجزاء والجنة والنار.  
 ثم أورد حجة أخرى على قدرته سبحانه فذكرهم بعد نعمة الأكل نعمة الشرب الذي فيه  
 حياتهم وحياء زروعهم وأنعامهم فقال الحق سبحانه:

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْلَا نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ  
 أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠ ﴾

قوله ( أفأريتم ) "مذكور للتنبية على ما فيه من الدليل (٢)"، وهذه حجة ودليل عقلي ثالث  
 لتقرير إثبات قدرة الله في البعث وإعادةهم بعد الموت (٣).  
 ويقال في ( أفأريتم ) كما قيل سابقاً من أنها بمعنى أخبروني، وكرر اللفظ ليكون تأكيداً بعد  
 تأكيد في الحض على أعمال العقل وليكون حجة بعد حجة ودليلاً بعد دليل.  
 وقوله ( الماء الذي تشربون ) "يريد : الماء العذب الصالح للشرب (٤)"، وهو تذكير لهم بنعمته  
 عليهم في إنزال المطر الذي لا يقدر عليه إلا الله (٥)، وفي النص على وصف الماء بالمشروب مع  
 تعدد منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به (٦)، وليبين قدرته على توفيره خاصة وتعذيبه

(١) سورة المعارج، آية: (١٩، ٢٠).

(٢) تفسير القرآن للسمعاني (٣٥٦/٥)

(٣) ينظر: غرائب القرآن للنيسابوري ٦/٢٣٧-٢٣٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢٢١

(٤) الكشاف للزمخشري (٣٥٦/٤)

(٥) ينظر: لباب التأويل للخازن ٧/٢٣-٢٤، غرائب القرآن للنيسابوري ٦/٢٣٧-٢٣٨، البحر المحيط لأبي حيان

٨/٢١١، نظم الدرر للبقاعي ٧/٤١٩-٤٢٠، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ١/٨٣٥، أضواء البيان للشنقيطي

(٥٣٣-٥٣٥)

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/١٩٨، فتح القدير للشوكاني ٥/١٥٨، نظم الدرر للبقاعي ٧/٤١٩-٤٢٠.

لهم دون عناء ومشقة، ففيه حياتهم وحياة زروعهم وأنعامهم، وفيه بيان أن الماء العذب الصالح للشرب من أعظم النعم التي أنعم الله بها على خلقه والتي تستوجب الشكر والإخلاص. وذكر الماء بعد الأكل على ما هو معروف من إتباع الأكل بالماء، وليذكرهم ما فيه قوام أجسادهم وحياتهم، وهو تسلسل منطقي في ذكر خلقهم وإحيائهم ثم ذكر سبب بقاء حياتهم واستمرار معاشهم من طعام وشراب، وفي الكل تذكير بالقدرة والنعمة.

فذكرهم قدرته سبحانه في خلقهم وإحيائهم بعد عدمهم ثم ذكرهم قدرته في إيجاد سبب حياتهم من طعام وشراب وفي ذلك ما يدل على قدرته على بعثهم، وحث لهم على توحيد المنعم وشكره وإقرارهم بكمال قدرته ومنها قدرته على البعث<sup>(١)</sup>، "فقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ

الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (٦٨) أي لتحياوا به أنفسكم وتسكنوا به عطشكم لأن الشراب إنما يكون تبعا للمطعم ولهذا جاء الطعام مقدما في الآية قبل ألا ترى أنك تسقي ضيفك بعد أن تطعمه<sup>(٢)</sup>"، كما أن الماء سبب في وجود الزرع فناسب ذكره بعده<sup>(٣)</sup>، ولذلك نص في الآيات على أمرين مرتبطين بأمر الزرع ارتباطا وثيقا، على العذوبة التي يكون فيها حياة الزرع، وعلى السحاب الذي يسقي الأرض الميتة فيحييها بإنبات زرعها، "فمناسبة الانتقال أن الحرث إنما ينبت زرعه وشجره بالماء فانتقل من الاستدلال بتكوين النبات إلى الاستدلال بتكوين الماء الذي به حياة الزرع والشجر . ووصف ( الماء ) بـ ( الذي تشربون ) إدماج للمنة في الاستدلال ، أي الماء العذب الذي تشربونه ، فإن شرب الماء من أعظم النعم على الإنسان ليقابل بقوله بعده: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٠) (٤)".

وفي الآية بيان مدى عجزهم عن إيجاد الماء العذب النافع والصالح للشرب ، وأنه لا يمكن لأحد إيجاده وتوفيره بمحض قدرته وطلبه مهما بلغت عنده القدرته ومهما بلغ عنده الطلب ، فجاءت الآية التي تليها لتبين أن هذه الآية هي مقدمة لسؤال يقرر قدرة الله وعجزهم

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني ١٥٨/٥، أضواء البيان للشنقيطي ٥٣٣/٧-٥٣٥

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٠/١٧) بتصرف يسير

(٣) نظم الدرر للبقاعي (٤١٩/٧-٤٢٠)

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٢٣/٢٧-٣٢٥)

وضعفهم، فقال الحق سبحانه:

﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ (٦٩)

فخاطبهم بالاستفهام باعنا على تقرير الحق الذي في نفوسهم ولا ينكرونه، وهو أن المنزل للماء من السحاب هو الله، وهو ما يقرون به ولا ينكرونه، وفي قوله ( أنزلتموه ) إشارة لما سيؤكد بعد من أنه المنزل له وبلا شك، وفيه تعريض بضعفهم وعجزهم مع إثبات لقدرته سبحانه في الإنزال كيفما شاء وحيثما شاء، ومن هذه قدرته فهو قادر على البعث "ولما كان عنصره في جهة العلو، قال منكرًا عليهم مقررا لهم: ﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ﴾ ولما كان الإنزال قد يطلق على مجرد إيجاد الشيء النفيس، وكان السحاب من عادته المرور مع الريح لا يكاد يثبت، عبر بقوله تحقيقًا لجهة العلو وتوقيفا على موضع النعمة في إثباته إلى أن يتم حصول النفع به: ( من المزن ) أي السحاب المملوء الممدوح الذي شأنه الإسراع في المضي<sup>(١)</sup>.

"و(المزن) السحاب: الواحدة مزنة . وقيل : هو السحاب الأبيض خاصة ، وهو أعذب

ماء<sup>(٢)</sup>"، وقيل: "المزن السحاب الثقيل بالماء لا بغيره من أنواع العذاب<sup>(٣)</sup>".

وقوله ( أم نحن المنزلون ) جاءت على صيغة الاستفهام للتقرير، لأنهم لن يستطيعوا إنكار حقيقة نسبة ذلك لله وحده، فيكون ذلك سائقا لهم من خلال تقرير هذه الحقيقة لتقرير ما أنكروه واستبعدوه من قضية البعث، فإنزال المطر وجعله عذبا صالحا للشرب من آياته الدالة على كمال قدرته وشدة حاجة خلقه إليه<sup>(٤)</sup>.

وفي الآية دليل على إثبات القدرة على الإحياء "ووجه الاستدلال بإنشاء ما به الحياة بعد أن كان معدوما بأن كونه الله في السحاب بحكمة تكوين الماء . فكما استدل بإيجاد الحي من أجزاء ميتة في خلق الإنسان والنبات استدل بإيجاد ما به الحياة عن عدم تقريبا لإعادة الأجسام بحكمة دقيقة خفية ، أي يجوز أن يمطر الله مطرا على ذوات الأجساد الإنسانية يكون سببا في

(١) نظم الدرر للبقاعي (٤١٩/٧-٤٢٠)

(٢) الكشاف للزمخشري (٣٥٦/٤)

(٣) التفسير الكبير للرازي (١٨٤/٢٩).

(٤) ينظر: فتح القدير للشوكاني ١٥٨/٥، أضواء البيان للشنقيطي ٥٣٣/٧-٥٣٥

تخلقها أجسادا كاملة كما كانت أصولها ، كما تتكون الشجرة من نواة أصلها ، وقد تم الاستدلال على البعث عند قوله : ﴿ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ﴾ جعل استدلالا منوطا بإنزال الماء من المزن ، على طريقة الكناية بإنزاله ، عن تكوينه صالحا للشرب ، لأن إنزاله هو الذي يحصل منه الانتفاع به ولذلك وصف بقوله : ﴿ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ . وأعقب بقوله ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا ﴾ فحصل بين الجملتين احتباك كأنه قيل : أنتم خلقتموه عذبا صالحا للشرب وأنزلتموه من المزن لو نشاء جعلناه أجاجا ولأمسكناه في سبحاته أو أنزلناه على البحار أو الخلاء فلم تنتفعوا به<sup>(١)</sup> .

ولما ذكرهم نعمة حفظ زروعهم كرر التنبيه بتذكيرهم نعمة توفير الماء العذب وحفظه من تحوله للملوحة والمرارة فقال الحق سبحانه :

﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٧٠)

والتعبير بنون العظمة في المشيئة دليل القدرة التامة وتذكير بفضل على خلقه ورحمته بهم ، وفيه التهديد لهم بسلبهم هذه النعمة العظيمة إن أصروا على تكذيبهم أمر البعث والمعاد . وفي حذف لام التأكيد هنا في قوله ( جعلناه أجاجا ) وإثباتها في قوله ( لجعلناه حطاما ) ذكر العلماء عدة تأويلات بيانية ، فقيل : حذف اللام هنا لعلم السامع بمكانها وقيل للاكتفاء بسبق ذكرها وقيل خص ما يقصد لذاته ويكون أهم والوعيد بفقده أشد وأصعب بمزيد التأكيد وهو المطعوم دون المشروب<sup>(٢)</sup> ، وقيل "إن اللام أدخلت في المطعوم دون المشروب لأن جعل الماء العذب ملحا أسهل إمكانا في العرف والعادة والموجود من الماء الملح أكثر من الماء العذب وكثيرا ما إذا جرت المياه العذبة على الأراضي المتغيرة التربة أحالتها إلى الملوحة فلم يحتج في جعل الماء العذب ملحا إلى زيادة تأكيد فلذا لم تدخل لام التأكيد المفيدة لزيادة التحقيق وأما المطعوم فإن جعله حطاما من الأشياء الخارجة عن المعتاد وإذا وقع يكون عن سخط شديد

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣٢٣-٣٢٥)

(٢) ينظر: الكشاف للزخشري ٤/٣٥٦ ، تفسير البيضاوي ٥/٢٩١ ، غرائب القرآن للنيسابوري ٦/٢٣٧-٢٣٨ ،

إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/١٩٨

فلذا قرن باللام لتقرير إيجاده وتحقيق أمره<sup>(١)</sup>، "فجعل الحرث حطاما قلب للمادة والصورة وجعل الماء أجاجا قلب للكيفية فقط وهو أسهل وأيسر<sup>(٢)</sup>"، وقيل: "لأن الزرع ونباته وجفافه بعد النضارة حتى يعود حطاما مما يحتمل أنه من فعل الزارع أو أنه من سقي الماء، وجفافه من عدم السقي، فأخبر سبحانه أنه الفاعل لذلك على الحقيقة وأنه قادر على جعله حطاما في حال نموه لو شاء، وإنزال الماء من السماء مما لا يتوهم أن لأحد قدرة عليه غير الله تعالى<sup>(٣)</sup>".

والأجاج الشديد الملوحة الذي لا يستساغ في الشرب ولا ينتفع به في سقيا الزرع، وهو يقابل العذب أو الشديد العذوبة، كما قال تعالى: ﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾<sup>(٤)</sup>، وقيل الأجاج هو الماء الجامع بين الملوحة والمرارة الشديديتين<sup>(٥)</sup>.

وقوله: ( فلولا تشكرون ) لولا حرف حث وتحضيض بمعنى هلا وهو الطلب بحت وحض، والمعنى هلا شكرتم المنعم بحت وحض<sup>(٦)</sup>، وهي تفيد التجديد والاستمرار أي هلا جددتم الشكر على سبيل الاستمرار<sup>(٨)</sup>.

فختم الآية بالحض على الشكر ولم يذكره في الزرع لأنه ليس في إيجاد المطر لأحد يد سوى الله فهو نعمة محضة، ولأنه لما ذكر الطعام والشراب حض على الشكر ليشمل النعمتين، والشراب يعد تنمة للطعام فناسب ذكر الحض على الشكر ليشمل ما فيه قوام حياتهم من مطعوم ومشروب، وقيل أكثر من ذلك وهو أنه لما ذكرهم نعمة الطعام والشراب بين أنه الحافظ لهما فحضرهم على الشكر على إيجاد النعمتين وعلى حفظهما<sup>(٩)</sup>.

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (٢/ ٥٢)، روح المعاني للآلوسي (١٤٩/٢٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣/ ٨٩).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/ ٣٢٣).

(٤) سورة الفرقان، آية: (٥٣).

(٥) ينظر: الكشاف للزخشري ٤/ ٣٥٦، التفسير الكبير للرازي (٢٩/ ١٨٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

١٧/ ٢٢١، فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٥٨).

(٦) أضواء البيان للشنقيطي (٧/ ٥٣٣-٥٣٥).

(٧) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ٥١١-٥١٢، أضواء البيان للشنقيطي (٧/ ٥٣٣-٥٣٥).

(٨) نظم الدرر للبقاعي (٧/ ٤١٩-٤٢٠).

(٩) ينظر: غرائب القرآن للنيسابوري ٦/ ٢٣٧-٢٣٨، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/ ١٩٨، روح المعاني

ويؤكد قول من قال أنه خص الشكر لأنه ذكر نعمة الشرب هنا بقوله (الذي تشربون) ولم يذكر نعمة الأكل في الزرع قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ (١) إلى قوله سبحانه: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (٢) فلما ذكر نعمة الأكل في زروعهم حثهم على الشكر وهنا لما ذكر نعمة الشرب حثهم على الشكر. ويمكن ان يقال أنه حثهم على الشكر هنا لأن نعمة الماء العذب ليس لها نظير، ولأن التذكير يسبق الأمر بالشكر فبعد أن حثهم على تذكر نعمة خلقهم ونعمة المطعوم؛ حثهم بعد ذلك على الشكر، وفي تحصيل نعمتي الطعام والشراب غاية طلب الإنسان لبقاء حياته، فهو يجوع ويعطش فإذا شبع وارتوى فقد بلغ غاية النعيم واجتمعت له النعم فوجب الشكر، وعندها إما أن يجحد المعطي فيبطر أو يتذكر المنعم فيشكر.

والآيات في هذا المقطع على طريقة المقابلة والتفريع لما سبق، فقوله ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ﴾ تقابل ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ﴾ (٥٨) وقوله ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣) ويقال فيما بعدها كذلك (٣). ثم أكمل التفريع بالاستفهام التقريري بما هو مرتبط بحياة الناس ومعاشهم أشد الارتباط ولا يستطيعون الاستغناء عنه بأي حال فقال الحق بعد ذلك:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (٧١) ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ (٧٢) ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذِكْرًا وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ (٧٣)

وهذه حجة ودليل عقلي رابع لتقرير إثبات قدرة الله في البعث والنشور، وخلق النار هو من الأدلة الواضحة على البعث يتضح ذلك في قول الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ

﴿﴾ =

للألوسي (١٤٩/٢٧)

(١) سورة يس، آية: (٣٣).

(٢) سورة يس، آية: (٣٥).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٢٣/٢٧)

الْأَخْضِرِ نَارًا ﴿١﴾ بعد قوله: ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ﴿٢﴾ (٣).

ويقال في ( أفرايم ) كما قيل سابقا من أنها بمعنى أخبروني، وكرر اللفظ ليكون تأكيدا بعد تأكيد في الحض على إعمال العقل وليكون حجة بعد حجة ودليلا بعد دليل. وأخر ذكر النار في سياق الاستدلال بالمحسوسات العقلية والبراهين المشاهدة على تقرير حقيقة البعث والمعاد وذلك تدرجا في ذكر الأهم في الموجودات، وهو وجود الإنسان نفسه ثم وجود أسباب استمرار حياته من طعام وشراب ثم ذكر النار التي لا يستغني عنها بحال. والنار هي من ضروريات الحياة التي لا غنى للخلق عنها<sup>(٤)</sup>، ومن أصول تطوير الحياة<sup>(٥)</sup>، كما أن ذكرها في آخر الحجج والدلائل العقلية على قدرة الله في البعث ملمح إلى أن النار هي إحدى داري الجزاء والحساب والعاقبة يوم البعث، فهي نهاية المستقر للمكذبين الجاحدين وجزاؤهم في الآخرة.

قوله تعالى ( تورون ) أي توقدون النار وتشعلونها<sup>(٦)</sup>، ويؤكد ذلك المعنى قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٧﴾ فعبّر هنا بقوله (تورون) أي (توقدون)<sup>(٨)</sup>، واختلاف اللفظ توافقا مع كل سياق.

فذكرهم بمادتها ومنافعها التي تنشأ من إشعالها، وفي الإيقاد والإشعال معنى الحرارة وهو لفت لأنظارهم في بيان قدرة الله المطلقة في خلق الأشياء من أضدادها، فخلق من الشجر الأخضر البارد نارا حمراء حارقة، وقد بين ذلك سبحانه في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ

(١) سورة يس ، آية: (٨٠).

(٢) سورة يس، آية: (٧٩).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٣٥٣/٧)

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٨٣٥/١)

(٥) أضواء البيان للشنقيطي (١٧/٨)

(٦) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٧، الكشاف للزحشري ٤/٤٦٥-٤٦٦، أضواء البيان للشنقيطي

(٣٥٦-٣٥٣/٧)

(٧) سورة يس، آية: (٨٠).

(٨) أضواء البيان للشنقيطي (٣٥٦/٧)



أَلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾<sup>(١)</sup> وهذه الآية ذكرها الله في معرض الرد على المنكر للبعث في قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> وفي الآية الكريمة إثبات قدرته سبحانه على إعادة الخلق بعد الممات وذلك من خلال إيجاد المتضادات وصنع الخوارق<sup>(٣)</sup>، فالشجر الأخضر الذي عادته الخضرة والبرودة يتحول لمادة حارقة فيشتعل منه وبسببه النار، فلا يُعجز من هذا صنعه إعادة الخلق وبعثهم بعد مماتهم، ولذلك كان المبدع الصانع لمثل هذه الخوارق ليس أحدا سوى الله، بل هذه القدرة لا تكون إلا من عظيم مستحق للعبادة والتوحيد وقادر على بعث الناس وإعادتهم بعد موتهم للجزاء.

"ومناسبة الانتقال من الاستدلال بخلق الماء إلى الاستدلال بخلق النار هي ما تقدم في مناسبة الانتقال إلى خلق الماء من الاستدلال بخلق الزرع والشجر، فإن النار تخرج من الشجر بالاشتداد وتذكي بالشجر في الاشتعال والالتهاب، وهذا استدلال على تقريب كيفية الإحياء للبعث من حيث إن الاقتداح إخراج والزند الذي به إيقاد النار يخرج من أعواد الاقتداح وهي ميتة.

وفي قوله: ﴿الَّتِي تُورُونَ﴾ إدماج للامتنان في الاستدلال بما تقدم في قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ أَلْمَاءَ الَّتِي شَرَبْتُمْ﴾<sup>(٤)</sup> وهو أيضا وصف للمقصود من الدليل وهو النار التي تقتدح من الزند لا النار الملتهبة . وضمير شجرتها عائد إلى النار<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة يس، آية: (٨٠).

(٢) سورة يس، آية: (٧٩).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (٤٢٠/٧-٤٢١)

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٢٥/٢٧)

"وجملة ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ الخ بيان لجملة ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ﴾ الخ كما تقدم في قوله: (أأنتم تخلقونه) الجملة بدل اشتمال من جملة ﴿أَمْ نَخْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فقال الحق سبحانه:

﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَخْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ (٧٢)

استفهام تقريري<sup>(٢)</sup> لمحاجتهم وتقدير الحق الكامن في نفوسهم ولا يخفونه لجلائه، وهي بيانية لما طالبهم به من النظر والتفكير في خلق النار وطبيعتها للربط بين ما تقره نفوسهم من خلق الله للنار ومادتها وما أنكروه وجحدوه باستبعاد أمر البعث والنشأة الآخرة، فهو حث لهم على التصديق بأمر البعث والمعاد وعدم إنكار قدرته سبحانه على البعث<sup>(٣)</sup>، ولذلك عبر بلفظ الإنشاء الذي هو بمعنى الخلق الدال على بديع الصنعة<sup>(٤)</sup>، ومعنى الإيجاد من العدم ليربط بين قدرته على إنشاء مادة النار وأصلها وبين قدرته على إنشاء مادة خلقهم من العدم ومن ثم قدرته من باب أولى على إعادتهم وبعثهم بعد الموت، "والتعبير عن خلقها بالإنشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الشجر التي لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما ان التعبير عن نفخ الروح بالإنشاء في قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر"<sup>(٥)</sup>.

وذكر شجرتها ليبين أن من منافع الزرع الذي يكون منه طعامهم وطعام أنعامهم أشجارا جعل مع خضرتها خاصية الإيقاد للنار، وكما قيل أنفا أن في ذلك بيان لقدرة سبحانه في خلق الخوارق وصنع المعجزات، وأن مادة النار التي من خصائصها الحرارة والإحراق تنشأ من الضد وهو الشجر الأخضر والذي من خصائصه البرودة والتبريد وذلك تأكيدا لبيان قدرته في إنشاء الأشياء من متضاداتها فكيف بما هو دون ذلك من إعادة ما كان موجودا بعد موته وبعثه.

(١) المصدر السابق من نفس الصفحة.

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٧/٤٢٠-٤٢١)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧١/٢٢١)

(٤) فتح القدير للشوكاني (٥/١٥٨)

(٥) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٨/١٩٨)

وأكد بقوله ( أم نحن المنشئون ) عظمتها المشار إليها بنون العظمة في الضمير ( نحن ) وجواب ( أم نحن المنشئون ) هو ( بل نحن المنشئون ) وهو جواب معروف بداهة وهم يقرون به ولا ينكرونه، "فمن قدر على إيجاد النار التي هي أيسر ما يكون من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائة المضادة لها في كفيتهما، كان أقدر على إعادة الطرواة والغضاضة في تراب الجسد الذي كان غضا طريا فييس وبلي، والآية من الاحتباك بمثل ما مضى في أخوتها سواء، ولما كان الجواب قطعاً: أنت وحدك، قال دالاً على ذلك تنبيهاً على عظم هذا الخبر: ( نحن ) أي خاصة ( جعلناها ) بما اقتضته عظمتنا، وقدم من منافعها ما هو أولى بسياق البعث الذي هو مقامه فقال: ( تذكرة ) أي شيئاً تتذكرون به تذكرنا عظيماً جليلاً عن كل ما أخبرنا به من البعث وعذاب النار الكبرى وما ينشأ فيها من شجرة الزقوم وغير ذلك<sup>(١)</sup>" فقال الحق سبحانه:

﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا وَرَحْمَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٧٢)

ولأن جواب الاستفهام التقريري في الآية السابقة معروف بداهة وهم يقرون به ولا ينكرونه فلم يذكر جوابه مباشرة بل ضمنه في ذكر تعداد منافعها التي جعلها الله فيها. وفي الآية بيان لما خلق الله في النار من النعم تصريحا دون تعريض خلافا لما ذكره في أمر الخلق والزرع والماء من التعريض بالنعمة من خلال بيان قدرته على الإماتة وإهلاك الزرع وتغيير الماء للملوحة، لأن تلك الموجودات بعد حاجتها للموجد فهي تحتاج للحافظ لها من الهلاك والآفات والتغيير، فصرح هنا بنعمة منافع النار عليهم وفي الخلق والزرع والماء عرض نعمة الانتفاع بهما تعريضا<sup>(٢)</sup>، فقوله ( نحن جعلناها تذكرة ) أي تذكيرا بنار الآخرة نار جهنم الكبرى ونموذجاً من جهنم التي أعدت جزاء للجاحدين المكذبين بالبعث للجزاء فتتعظون وتعتبرون بها، وقيل تذكرة أي تبصرة للناس من الظلام أو تبصرة في أمر البعث<sup>(٣)</sup>.

والآية تذكير لهم بالنعمة وتحذير من النعمة، وهو من بلاغة البيان فيذكرهم ما فيها من

(١) نظم الدرر للبقاعي (٧/٤٢٠-٤٢١ء)

(٢) أسرار التكرار للكرماني (١/١٩٩)

(٣) ينظر: تفسير مقاتل ٣/٣١٧، جامع البيان للطبري ٢٧/٢١٠، بحر العلوم للسمرقندي ٣/٣٧٥، الكشف

والبيان للثعلبي ٩/٢١٧، النكت للماوردي ٥/٤٦١، تفسير البيضاوي ٥/٢٩١

المنافع العظيمة التي لا تنحصر من إصلاح الطعام، والتدفئة من البرد، وتليين الحديد والصخر والطين وغير ذلك كثير، ويذكرهم نار الآخرة التي أعدها الله لمن كذب بها وبالبعث والمعاد "ففي قوله : ( تذكرة ) وجهان أحدهما : تذكرة لنار القيامة فيجب على العاقل أن يخشى الله تعالى وعذابه إذا رأى النار الموقدة وثانيهما : تذكرة بصحة البعث ، لأن من قدر على إيداع النار في الشجر الأخضر لا يعجز عن إيداع الحرارة الغريزية في بدن الميت وقد ذكرناه في تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ﴾ (١)(٢) ."

"واعلم أنه سبحانه بدأ في هذه الدلائل بذكر خلق الإنسان لأن النعمة فيه سابقة على جميع النعم، ثم أعقبه بذكر ما فيه قوام الناس وقيام معاشهم وهو الحب ، ثم أتبعه الماء الذي به يتم العجين، ثم ختم بالنار التي بها يحصل الخبز ، وذكر عقيب كل واحد ما يأتي عليه ويفسده فقال في الأولى ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ ﴾ وفي الثانية ( لو نشاء لجعلناه حطاما ) وفي الثالثة ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ ولم يقل في الرابعة ما يفسدها بل قال: ( نحن جعلناها تذكرة ) تتعظون بها ولا تنسون نار جهنم (٣) ، " وفي نسق هذه الآيات بشارة للمؤمنين وذلك أنه سبحانه بدأ بالوعيد الشديد وهو تغيير ذات الإنسان بالكلية في قوله ( وما نحن بمسبوقين على نبدل أمثالكم ) ثم ترك ذلك المقام إلى أسهل منه وهو تغير قوته ذاتا فقال ( لو نشاء لجعلناه حطاما ) ثم عقبه بأسهل وهو تغيير مشروبه نعتا لا ذاتا ولهذا حذف اللام في قوله ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ (٧٠) ... ثم ختم بتذكير النار وفيه وعد من وجه ووعيد من وجه، أما الأول فلأنه لم يبين ما يفسدها كما قلنا يدل على أن الختم وقع على الرأفة والرحمة، وأما الثاني فلأن عدم ذكر مفسدها يدل على بقائها في الآخرة، وفي قوله ( تذكرة ) إشارة إلى ما قلنا (٤) ."

"وقدم من فوائد النار ما هو أهم وأكد من تذكيرها بنار جهنم، ثم أتبعه بفائدتها في الدنيا

(١) سورة يس، آية: (٨٠).

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٨٥/٢٩)

(٣) غرائب القرآن للنيسابوري (٢٤٤/٦)

(٤) غرائب القرآن للنيسابوري (٢٤٤/٦)

وهذه الأربعة التي ذكرها الله تعالى ووقفهم عليها، من أمر خلقهم وما به قوام عيشهم من المطعوم والمشروب والنار من أعظم الدلائل على البعث، وفيها انتقال من شيء إلى شيء، وإحداث شيء من شيء، ولذلك أمر في آخرها بتزييه تعالى عما يقول الكافرون ووصف تعالى نفسه بالعظيم، إذ من هذه أفعاله تدل على عظمته وكبريائه وانفراده بالخلق والإنشاء<sup>(١)</sup>.

وقوله ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾<sup>(٢٣)</sup> أي منفعة ل يتمتع بها المنتفعون أو المسافرون بشتى المنافع والمتع المتنوعة<sup>(٢)</sup>، "وخص الله المسافرين لأن نفع المسافر أعظم من غيره ، ولعل السبب في ذلك ؛ لأن الدنيا كلها دار سفر ، والعبد من حين ولد ، فهو مسافر إلى ربه ، فهذه النار ، جعلها الله متاعا للمسافرين في هذه الدار ، وتذكرة لهم بدار القرار<sup>(٣)</sup>".

" والمقوي : الداخل في القواء ( بفتح القاف والمد ) وهي القفر ، ويطلق المقوي على الجائع لأن جوفه أقوت ، أي خلقت من الطعام إذ كلا الفعلين مشتق من القوى وهو الخلاء . وفراغ البطن : قواء وقوى . فإيثار هذا الوصف في هذه الآية ليجمع المعنيين فإن النار متاع للمسافرين يستضيئون بها في مناخهم ويصطلون بها في البرد ويراهم السائر ليلا في القفر فيهدتي إلى مكان النزول فيأوي إليهم ، ومتاع للجائعين يطبخون بها طعامهم في الحضر والسفر ، وهذا إدماج للامتنان في خلال الاستدلال . واختير هذان الوصفان لأن احتياج أصحابهما إلى النار أشد من احتياج غيرهما<sup>(٤)</sup>".

وسياق الآيات التي جاءت للاستدلال العقلي على قدرة الله على البعث والمعاد بدءا بخلق الإنسان ثم ذكر الحرث والماء والنار بعد ذكر خلق الإنسان وترتيبها على هذا النسق البديع تشبه ما ذكره المولى جل شأنه في موضع آخر بقوله سبحانه: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾<sup>(٢٤)</sup> أَنَا

صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا<sup>(٢٥)</sup> ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا<sup>(٢٦)</sup> فَأَبْتْنَا فِيهَا جَبًّا<sup>(٢٧)</sup> وَعَبْنَا وَقَصَبًا<sup>(٢٨)</sup> وَزَيَّنَّا وَنَخْلًا<sup>(٢٩)</sup>

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٢١٢/٨)

(٢) ينظر: تفسير مقاتل ٣/٣١٧، جامع البيان للطبري ٢٧/٢١٠، بحر العلوم للسمرقندي ٣//٣٧٥، الكشف والبيان للثعلبي ٩/٢١٧، النكت للماوردي (٤٦١/٥).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٨٣٦/٥)

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٢٦/٢٧)

وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَةً وَأَبًا ﴿٣١﴾ ﴿١﴾ بعد ما بين له مم خلق ، بين له هنا كيف يطعمه ، وفي كليهما آية على القدرة .

وقد اتفقت الآيتان على خطوات ثلاث متطابقة فيهما . فصب الماء من السماء إلى الأرض ، يقابل دفع الماء في الرحم . وشق الأرض للنبات ، يقابل خروجه إلى الدنيا . وإنبات أنواع النباتات ، يقابل تقادير الخلق المختلفة.

وفي التنصيص على أنواع النبات من حب وقضب وعنب ورمان وزيتون ونخيل وفواكه متعددة ، وحدائق ملتفة ، لظهور معنى المغايرة فيها ، مع أنها من أصلين مشتركين : الماء من السماء . والتربة في الأرض ، يسقى بماء واحد، ومرة أخرى يقال للشيوعيين والدهريين: ﴿قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿٢﴾ (٣) .

وفي الآيات السابقة ذكر الله من الأدلة العقلية والبراهين الحسية التي تذكرهم وتقررهم بقدرة الله ما فيه البيان للجاهل والهداية للضال والحجة على من جحد وكابر، "ولما ذكر الله الدلائل على الكفار في هذه الآيات المتقدمة ، ووجه الدليل فيها أنهم كانوا مقرين أن فاعل هذه الأشياء هو الله ، وأنهم عاجزون عنها ، وينكرون البعث والنشأة الآخرة ؛ فقال الله تعالى لهم : لما لم تنكروا قدرة الله تعالى على هذه الأشياء وما فيها من عجب الصنع ، فكيف تنكرون قدرته على بعثكم وإحيائكم بعد موتكم ؟ فلما ألزمهم الدليل قال لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ كأنه أرشده إلى الاشتغال بتنزيه الرب وتسيبحه وتقديسه حين لزم الكفار الحجة (٤) ، فقال الحق سبحانه:

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٧٤﴾

الفاء لترتيب ما بعده على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة لتسيبحه

(١) سورة عبس، آية: (٢٤-٣١).

(٢) سورة عبس، آية: (١٧).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٤٣٥/٨)

(٤) تفسير القرآن السمعاني (٣٥٧/٥) بتصرف يسير

استحقاقا لمقامه العظيم سبحانه، فأمر الله نبيه الكريم بالتسبيح والأمر للقدوة أمر لمن دونه امتثالا واقتداء، ولما دل على قدرته من خلال المحسوسات وعلى إنعامه على عباده بالنعم الظاهرة حث على التسبيح إما تنزيها لما اتهمه المنكرون للبعث من عجزه عن الإعادة بعد الموت، وإما تعجبا من إنكارهم ما يخالف العقل والحق وجحدهم نعمه عليهم، وإما شكرا له على إنعامه على خلقه وخاصة ما ذكر من النعم التي يعرفونها ولا ينكرونها، وقد يحمل الأمر بالتسبيح تلك المعاني جميعا، ويجمع تلك المعاني هو أن يكون المقصود بالأمر بالتسبيح الحث على توحيده، والتوحيد عبادته بألوهيته المقتضية تنزيهه عن النقص والعجز وشكره على الإيجاد من العدم وسائر النعم<sup>(١)</sup>.

والأمر بتنزيه الله عن كل نقص يقتضي التعظيم ولذلك ختم الآية بصفة العظمة، "فلما كان المقام للتعظيم قال: (العظيم) الذي ملأ الأكوان كلها عظمة، فلا شيء منها إلا وهو مملوء بعظمته تنزهها عن أن تلحقه شائبة نقص أو يفوته شيء من كمال<sup>(٢)</sup>".

"فرتب على ما مضى من الكلام المشتمل على دلائل عظمة القدرة الإلهية وعلى أمثال لتقريب البعث الذي أنكروا خبره، وعلى جلائل النعم المدحجة في أثناء ذلك أن أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن ينزهه تنزيها خاصا معقبا لما تفيضه عليه تلك الأوصاف الجليلة الماضية من تذكروا جديد يكون التنزيه عقبه ضربا من التذكر في جلال ذاته والتشكر لآلائه فإن للعبادات مواقع تكون هي فيها أكمل منها في دونها، فيكون لها من الفضل ما يجزل ثوابه فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يخلو عن تسبيح ربه والتفكير في عظمة شأنه ولكن لاختلاف التسبيح والتفكير من تجدد ملاحظة النفس ما يجعل لكل حال من التفكير مزايا تكسبه خصائص وتزيده ثوابا، فالجملة عطف على جملة ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴾<sup>(٤٩)</sup>

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٧، الكشاف للزمخشري ٤/٤٦٥-٤٦٦، زاد المسير لابن الجوزي ٨/١٥٠، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢٢٢، تفسير البيضاوي ٥/٢٩١، لباب التأويل للحازن ٧/٢٤، غرائب القرآن للنيسابوري ٦/٢٤٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٩٨، نظم الدرر للبقاعي ٧/٤٢٠-٤٢٣، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٨/٢٢٧-٢٢٨، ارشاد العقل السليم لأبي السعود ٨/١٩٨، فتح القدير للشوكاني (٥/١٥٩)

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٧/٤٢٢)

﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾<sup>(١)</sup> وهي تذييل

وبعد كل هذه الأدلة يؤكد المولى صدق ما جاء في كلامه من توحيده وتسييحه والبعث بالقسم على صدق كلامه وكرامته وشرفه ورفعة قدره وأنه منزل من رب العالمين، فيقول الحق سبحانه:

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ﴾<sup>(٧٥)</sup> وسيأتي بيان الآيات في المبحث اللاحق.

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٢٨/٢٧)



### المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع

يبين الله لعباده دلائل قدرته العظيمة على الخلق وأسباب الحياة، وحتى يقرر الحق في النفوس بدأ سبحانه بذكر الحقيقة التي لا ينكرها مخلوق وهي أنه الخالق للعباد، مصاحباً ذلك البيان بالترغيب والتحذير على التصديق والإيمان بتلك الحقيقة، في أسلوب متواضع تقرباً من النفوس لتستجيب وتدعن لحقيقة لا ينكرها أحد، ثم نهج بعد ذلك أسلوب الاستفهام التقريري لحقائق معروفة في النفوس من إيجاد أصل خلقهم وهي النطفة المهينة التي جعلها الله سبباً في تناسل الخلق، وفي إنشاء الخلق من نطفة حقيرة ليتطور إلى خلق عظيم من بيان القدرة والعظمة ما لا يقدر عليه إلا الله الخالق الموجد سبحانه، ثم ذكر أمر الموت وأن الذي قدر الحياة لتلك النطفة المهينة حتى أصبحت خلقاً عظيماً بأمر الله؛ قدر على ذلك المخلوق الموت والذي لا يستطيع أحد أن يفر منه، فالذي هذه قدرته في الخلق والإيجاد من العدم وقدرته على الإماتة فإنه لا يعجزه إعادة تلك النطفة وذلك المخلوق بعد أن أوجده من العدم، فجعل الخلق الأول دليلاً على الخلق الثاني للبعث والنشور، ثم أتبع خلق الإنسان بإنبات الزرع الذي يشبه في خروجه من الأرض خروج العباد في يوم البعث والمعاد والذي فيه أسباب حياة الخلق ومعاشهم، فمن أنبت الزرع وشق له الأرض ليخرج منها، ومن الذي حفظه من الهلاك والدمار، ثم يؤكد قدرته على إهلاكه وإزالته بقوته وعظمته، ولكن رأفته ورحمته تقتضي الإنعام والحلم والإمهال، ثم أتبع إيجاد الزرع بذكر أسباب خروجه من الأرض وحياته وهو إنزال الماء من السحاب وفي تكوين عذوبته والتي لا يمكن لأحد أن يفعل ذلك، فهل أحد غير الله يستطيع خلق الماء وإنشاءه في السحاب عذبا وإنزاله حياة للأرض ومن عليها، ثم أتبع خلق الماء بإنشاء النار التي هي من أسباب معاش العباد ولا يستغنون عنها بحال، وذكر عنصر مادتها وأنها مع حرارتها إلا أنها تنشأ بقدرة الله من الضد وهي البرودة، فالشجر فيه صفة البرودة ولكن بقدرة الله جعل فيه خاصية إنشاء حرارة النار، ومن الشجر وحطبه يكون إيقاد النار، فهل من موجد لتلك المتضادات غير الله سبحانه، ومن هذه قدرته أفيعجز عن إعادة الخلق للبعث والنشور.

ففي الآيات الكريمات يسوق الله جملة من الدلائل العقلية المحسوسة التي تدل على قدرته

على الإحياء والإماتة ثم البعث والنشور، وناسب ذكرها بعد ذكر حال أصحاب الشمال يوم القيامة وبعد أن بين سبب سوء مآلهم وهو استبعادهم البعث واستدلالهم العقلي على استحالة البعث بعد الموت فذكر لهم من الأدلة العقلية على بطلان حجتهم وفساد استدلالهم ما يصل إلى الإقناع ويقيم الحجة على المستكبر المعاند.

يقول المولى سبحانه ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ (٥٧) ذكرهم ما يقرون به ولا ينكرونه من خلق الله لهم، ثم ذكرهم اصل خلقتهم وهي النطفة التي جعل الله منها تناسلهم من ظهور آباءهم وأرحام أمهاتهم فقال سبحانه ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ (٥٨) ﴿ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ (٥٩) ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴾ (٦٠) ﴿ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٦١) ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٦٢) فخاطبهم خطاب الاستفهام التقريري بحقيقة خلقهم التي يعرفونها وربطها بقدرته على الإماتة وانه سبحانه كما قدر الحياة والإنشاء من العدم فهو الذي قدر الموت بعد الحياة ثم هو الذي قدر البعث بعد الموت، وان الذي قدر على الإنشاء من العدم قادر على الإنشاء والإعادة مرة أخرى بعد الموت بل هو أقدر على ذلك من باب أولى.

وبعد ذكر قدرته سبحانه على خلقهم وإيجاد سبب خلقهم وتناسلهم وعلى نشأتهم الأولى وربطها بقدرته على الإعادة والبعث ذكر دليلا ثان على قدرته على الإحياء بعد الإماتة وهذا الدليل هو مما يشاهدونه وليس حديثا عليهم بل هو مما عملته أيديهم من أمر الحرث في الأرض، فذكر عملهم فيه من حيث الحرث ثم ذكر قدرته على زرع وإنبات ما حرثوه وليس لهم فيه جهد ولا عمل بل هو خارج عن قدرتهم فعملهم يقتصر على حرث الأرض دون الإنبات ثم يرجون من بذرتهم الإنبات والنماء وهم يعلمون أن المنبت لبذرتهم والمحيي للأرض إنما هو الله ولا يجزؤ احد منهم أن يدعي أن الإنبات وإحياء الأرض من عمل يده وكسبه، ولذلك ألقمهم الحجة لو فكر احدهم أن يدعي ذلك لقليل له لو كنت صادقا ان حياة الزرع وإنباته من عملك وجهدك فاحفظه من الهلاك والزوال وفيه من الإبهات ما في قصة إبراهيم عليه السلام مع الملك الذي ادعى الإحياء والإماتة فحاجة إبراهيم عليه السلام بأن يأتي بالشمس من

المغرب فبهت الذي كفر، وفي الاستدلال بالحرث والإنبات حجة على قدرة الله على الإحياء بعد الموت يقول سبحانه ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ ٦٣ ﴿ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَتَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ﴾ ٦٤ ﴿ لَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَاهُ حُطًا مَّا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ ٦٥ ﴿ إِنَّا لَمَعْرُومُونَ ﴾ ٦٦ ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ ٦٧ .

ثم ذكر المولى سبحانه دليلا عقليا ثالثا ليقرر فيه قدرته على البعث، فذكر عنصرا مهما في حياة الأحياء وخاصة الإنسان ألا وهو الماء، فخاطبهم بأسلوب الاستفهام المتكرر لتقرير حقيقة قدرته على الإيجاد والإنشاء من العدم فسألهم عن الماء الذي منه منافعهم الكثيرة وأعظمها الشرب، سألمهم سؤال تقرير عن الموجد له وهم يعلمون أنه ليس لهم ولا لأحد سوى الله في إيجاده وتسخييره طول ولا عمل، ثم ذكرهم نعمته عليهم بحمله في السحب وتسخير السحاب لهم وإنزاله عليهم وجعله عذبا سائغا للشرب وسقيا زروعهم وأنعامهم، وحفظه من الملوحة وما يفسد صلاحيته، يقول سبحانه ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ ٦٨ ﴿ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ ٦٩ ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ ٧٠ .

ثم ختم الأدلة العقلية بدليل رابع فيه من المنافع ما لا يستغني عنه الناس في معاشهم، ففي خلق النار وإنشائها من خضرة الشجر مع حرارتها عنصر المخالفة والضد لما عليه تركيب المواد من طبيعة، وفيه إثبات القدرة على خلق الشيء من ضده مما يقرر القدرة المطلقة للخالق على خلق وصنع وإيجاد وإنشاء ما يشاء وقت ما يشاء وفيما يشاء سبحانه ثم ذكر بعض منافعها التي لا يستغني عنها الإنسان فهي تذكر بنار الآخرة التي ينبغي على العاقل الحذر منها والتوقي منها لينجوا منها وهي منفعة لا يستغني عنها الإنسان في جميع أحواله وخاصة في سفره، ثم ختم تلكم الأدلة التي تؤكد قدرته على البعث والإعادة بالأمر بتسبيحه تنزيها له عما افتراه عليه الجاحدون من عدم قدرته على البعث والنشور وإثباتا لكماله المطلق في القدرة على الإحياء والإماتة والإعادة للجزاء والحساب، فقال سبحانه ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ ٧١ ﴿ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمُ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ ٧٢ ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا وَرَحْمَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ٧٣ ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ ٧٤ .

## المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه آيات الموضوع

من الأمور التي ترشد إليها الآيات الكريمة ما يلي:

١ - شروع في انه الخالق للناس ابتداءً، وأنه المعيد لهم انتهاءً، مع التحضيض على التصديق<sup>(١)</sup>.

٢ - في تقرير أنه الخالق مع إقرارهم بذلك وتصديقهم بيان أن في إنكارهم للبعث واستبعادهم وقوعه دليل تلازم الأمرين وأن من أنكر أحدهما أنكر الآخر لزوماً لأن إثبات عجز القادر لأحد الأمرين إثبات للآخر.

٣ - بيان سخافة عقولهم وسفاهة أحلامهم في إنكارهم لأمر البعث مع ثبوته عقلاً وعرفاً ولذلك كان ذكر الأدلة العقلية بطريقة الاستفهام الإنكاري للتوبيخ.

٤ - في تطور خلقهم من نطفة مهينة إلى إنسان متكامل عظيم الخلق سوي الخلقة دليل قدرة الخالق على النشأة الآخرة وتطورها كما النشأة الأولى.

٥ - بيان ضعفهم في مقابل عظمة قدرة الخالق من خلال تقدير الموت عليهم وعدم قدرتهم على دفعه عن أنفسهم أو حتى معرفة وقت أجله للحماية منه أو الاستعداد له.

٦ - بيان محدودية علمهم في مقابل علم الله وأن علمه تلازم قدرته فهو العليم القدير ولذلك فهو قادر على إنشاء الخلق بإعادتهم على خلق وهيئة لا يعلمونها.

٧ - النشأة الأولى دليل على النشأة الأخرى عقلاً وليس في ذلك استبعاد البتة.

٨ - في إنبات الزرع دليل قدرة الله على البعث من حيث شق الأرض بالنبات وإحيائها بعد موتها.

٩ - أهمية ضرورة إعطاء كل ذي حق حقه ونسبة الأعمال والأقوال لأصحابها وذلك في نسبة الحرث إليهم مع مخالفتهم وجحودهم ومع أنه سبحانه خلق الجميع الحارث والمحروث.

١٠ - في إنبات الزرع دليل النعمة من الخالق الحافظ لها من الهلاك والزوال وأنه المستحق للعبادة والطاعة والتوحيد.

(١) تفسير سورة الواقعة صور من الإعجاز البياني وإحكام المعاني للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة (١/٦٢)

- ١١ - في هلاك زروعهم إشارة إلى هلاك الدنيا وزوالها فلا يركن إليها إلا الغافلون.
- ١٢ - وفي هلاك زروعهم بيان مدى ضعفهم في مقابل قدرة الله على التحطيم والإزالة.
- ١٣ - بيان قدرة الله في إهلاك زرعهم مع وقف التنفيذ هو بيان حلمه عليهم حيث حفظه لهم لينتفعوا به مع كفرهم وتكذيبهم للقرآن وما جاء به من حقائق كالبعث والجزاء.
- ١٤ - إثبات قدرة الله على البعث من خلال قدرته على خلق الماء وإيجاده وإعذابه وإنزاله.
- ١٥ - بيان أن من أعظم نعم الماء نعمة الشرب، وفي الاكتفاء بذكر نعمة الشرب إشارة لما دون ذلك من منافع الماء التي لا يجهلها أحد.
- ١٦ - في الإشارة إلى نزول الماء من الأعلى بيان ضعف الخلق عن جلب ما ليس في مقدور أحد من الخلق غير الخالق.
- ١٧ - بيان استحقاق الشكر للمنع بآعذاب الماء وجعله صالحا للانتفاع به من شرب وسقيا للزروع والانعام.
- ١٨ - الحض على الشكر للخالق المنعم بنعمة الماء التي جعلها الله من أسباب حياة الأحياء.
- ١٩ - إثبات قدرة الله على البعث من خلال خلق النار وخلق أصل مادتها.
- ٢٠ - خلق الخوارق ليس من مقدور المخلوق، فإيجاد النار التي من خصائصها الحرارة من الشجر الأخضر الذي من خصائصه البرودة هو خلق الشيء من ضده وهو من خوارق السنن المعروفة في الكون، وفيه إشارة إلى قدرة الخالق على خلق المستحيل والمستبعد في عرف الخلق.
- ٢٢ - في اختصاص ذكر النار من ادلة العقل الحسية على إثبات قدرة الله ببيان أهميتها وعظيم منافعها للخلق وعدم استغنائهم عنها.
- ٢٣ - في وجود النار منافع عظيمة يصعب حصرها تستوجب التأمل والنظر في خلقها ومنافعها ليستدل على عظيم قدرة الله وعلى عظيم إنعامه ليعبد وحده ويشكر وحده.
- ٢٤ - الحث على التسبيح للخالق المستحق وحده، وفيه تنزيه له عما افتراه عليه المبطلون للحق من نقص في القدرة والعلم والحكمة.

## المبحث الثاني

القسم العظيم من الرب العظيم على شرف كلامه العظيم  
وصدقه: ويشمل الآيات ( ٧٥ - ٨٠ )

وفيه خمسة مطالب: -

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة.

المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والموضوع السابق.

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه آيات الموضوع.

\* \* \* \* \*

### المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة

لما كان خبر البعث والنشور حديث القرآن ومن القضايا التي نزل لتقريرها؛ ولأن القسم له في النفوس وقع بليغ وخاصة عند العرب؛ جاء القسم من رب العزة والجلال على صدق القرآن وما جاء به من حقائق، وعلى كرامته ورفعته وشرفه والثناء عليه وبيان مكانته وأنه منزل من عند رب العالمين، وذلك تأكيداً لحقيقته وحق ما جاء به من أمور وحقائق ومنها موضوع السورة الكريمة وهو البعث والنشور، رداً على المكذب به استكباراً، وتقريراً للحق في النفوس، وإقامة للحجة على المكذب المعاند.

## المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والتي قبلها

"لما كان من العظمة الباهرة ما ظهر في هذه السورة من أفانين الإنعام في الدارين ، وبدأ  
بنعمة الآخرة لكونها النتيجة ، ثم دل عليها بإنعامه في الدنيا فكان تذكيراً بالنعم لتشكر ،  
ودلالة على النتيجة لتذكر ، وفي كل حالة تستحضر فلا تكفر ، فوصلت الدلالة إلى حد هو  
أوضح من المحسوس وأضوأ من المشموس ، وكان مع هذه الأمور الجليلة في مظهر أعجز  
الخلائق على أن يأتوا بمثله من كل وجه ، أما من جهة الجواب عن تشبههم وتعنتهم فلكونه  
يطابق ذلك مطابقة لا يمكن أن يكون شيء مثلها ، ويزيد على ذلك بما شاء الله من المعارف  
من غير أن يدع لبسا ، وأما من جهة المفردات فلكونها النهاية في جلاله الألفاظ ورشاقة  
الحروف وجمع المعاني ، فيفيد ذلك أنه لا تقوم كلمة أخرى مقام كلمة منه أصلاً ، وأما من  
جهة التركيب فلكون كل كلمة منها أحق في مواضعها بحيث إنه لو قدم شيء منها أو أخر  
لاختل المعنى المراد في ذلك السياق بحسب ذلك المقام ، وأما من جهة الترتيب في الجمل  
والآيات والقصاص في المبادئ والغايات فلكونه مثل تركيب الكلمات ، كل جملة منتظمة بما  
قبلها انتظام الدر اليتيم في العقد المحكم التنظيم ، لأنها إما أن تكون علة لما تلتها أو دليلاً أو  
متممة بوجه من الوجوه الفائقة على وجه ممتع الجناب جليل الحجاب لتكون أحلى في فمه ،  
وأجلى بعد ذوقه في نظمه وسائر عمله ، فكان ثبوت جميع ما أخبر به على وجه لا معتمر فيه  
ولا وقفة في اعتقاد حسنه ، فثبت أن الله تعالى أرسل الآتي بهذا القرآن صلى الله عليه وسلم  
بالهدى وبالحق ، لا أنه آتاه كل ما ينبغي له ، فاتاه الحكمة وهي البراهين القاطعة واستعمالها  
على وجوهها ، والموعظة الحسنة ، وهي الأمور المرققة للقلوب المنورة للصدور ، والمجادلة التي  
هي على أحسن الطرق في نظم معجز موجب للإيمان ، فكان من سمعه ولم يؤمن لم يبق له من  
المحلات إلا أن يقول : هذا البيان ليس لظهور المدعى وثبوت بل لقوة عارضة المدعي وقوته  
على تركيب الأدلة وصوغ الكلام وتصريف وجوه المقال ، وهو يعلم أنه يغلب لقوة جداله لا  
لظهور مقاله ، كما أنه ربما يقول أحد المتناظرين عند انقطاعه لخصمه : أنت تعلم ان الحق



معني لكنك تستضعفني ولا تنصفي ، فحينئذ لا يبقى للخصم جواب إلا الإقسام بالإيمان التي لا مخرج عنها أنه غير مكابر وأنه منصف ، وإنما يفرغ إلى الإيمان لأنه لو أتى بدليل آخر لكان معرضاً لمثل هذا ، فيقول : وهذا غلبتني فيه لقوة جدالك وقدرتك على سوق الأدلة ببلاغة مقالك ، فلذلك كانوا إذا أفحمهم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : إنه يريد أن يتفضل علينا فيما نعلم خلافه ، فلم يبق إلا الإقسام ، فأنزل الله أنواعاً من الأقسام بعد الدلائل العظام ، ولهذا كثرت الآيات في أواخر القرآن ، وفي السبع الأخيرة خاصة أكثر ، فلذلك سبب عن هذه الأدلة الرائعة والبراهين القاطعة قوله : ( فلا أقسم ) بإثبات ( لا ) النافية ، إما على أن يكون مؤكدة بأن ينفي ضد ما أثبتته القسم ، فيجمع الكلام بين إثبات المعنى المخبر به ونفي ضده ، وإما على تقدير أن هذا المقام يستحق لعظمته وإنكارهم له أن يقسم عليه بأعظم من هذا على ما له من العظمة لمن له علم - والله أعلم<sup>(١)</sup> .

(١) نظم الدرر للبقاعي (٧/٤٢٠-٤٢٣)

## المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع

قال الله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۗ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۗ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۗ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۗ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۗ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۗ (٨٠)﴾

قوله سبحانه: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۗ (٧٥)﴾

## القراءات

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر (بِمَوَاقِعِ) جماعة، وقرأ حمزة والكسائي: (بموقع) واحدا. (١)

"يبدأ الله تعالى هذا المقام العظيم بالقسم بمواقع النجوم، وفيه تعظيم بشأن المقسم عليه وهو القرآن الكريم" (٢)، وهذا القسم يعد تتيما وتأكيدا ليختم به الأدلة العقلية والبراهين الحسية التي ساقها لتقرير قدرته على البعث والنشور، ليكتمل عقد البيان تذكيرا وحجة على المنكر. "وكما جاء القرآن الكريم بالأدلة الموضحة التي تبرز المعقول في صورة المحسوس والمتخيل في صورة المتحقق، والأدلة المحاورة التي تتجه إلى إلزام الخصم وقطع شبهته بطريق البرهان والحجة، كذلك جاء بالأدلة التي تتجه إلى تحقيق الخبر وتأكيد... والقسم لون من ألوان تصريف البيان في الذكر الحكيم الذي نزل للناس كافة على تفاوت عقولهم واختلاف منازعهم وهو أحد الوسائل التي يستخدمها القرآن الكريم لتقرير دعوته وتثبيت شريعته، والقسم أقوى وأعظم تأثير بالنسبة لأولئك الذين لا يزالون على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وذلك لما يدخله من الروعة في قلوبهم ونفوسهم" (٣).

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد (٦٢٤/١).

(٢) تأملات في سورة الواقعة للأستاذ الدكتور عماد زهير حافظ (٩٧/١) الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، المدينة المنورة.

(٣) فتح الوهاب في علوم الكتاب للدكتور محمد أحمد محمد محمود (١٢٨/١) الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م،

ولأن للقسم أثر في النفوس بالغ أقسم العظيم سبحانه، ولو قيل إن المؤمن مصدق من غير قسم والكافر لا ينتفع به فيجاب على ذلك بأمور منها:  
أولاً: العرب تعظم أمر القسم، وتقسم لتأكيد الخبر وتحقيقه، والقرآن نزل بلغتهم فاشتمل على أساليب التأكيد ومنها القسم.

ثانياً: اشتمل القرآن الكريم في إثبات الحقائق التي وردت فيه على تنوع أساليب تقرير تلك الحقائق وتأكيدها ومنها القسم وذلك ليناسب ميول الناس في الوصول للإقناع وإقامة الحجة.

وقد أقسم الله عز وجل على توحيده في قوله: ﴿وَالصَّغَفَاتِ صَفَاً﴾ (١) ﴿فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا﴾ (٢) ﴿فَالنَّيْلَاتِ ذِكْرًا﴾ (٣) ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (٤) (١)، وأقسم على عظم شأن القرآن كما هنا، وأقسم على البعث والجزاء فقال سبحانه: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ (١) ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ (٢) ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ (٣) ﴿فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا﴾ (٤) ﴿إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ (٥) ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوْفَعٌ﴾ (٦) (٢) (٣).

﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ "بمساقطها ومغاربها ، لعل الله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالا مخصوصة عظيمة ، أو للملائكة عبادات موصوفة ، أو لأنه وقت قيام المتجهدين والمبتلهين إليه من عباده الصالحين ، ونزول الرحمة والرضوان عليهم ؛ فلذلك أقسم بمواقعها (٤)".  
"هل في اختصاص مواقع النجوم للقسم بها فائدة ؟ قلنا : نعم فائدة جلييلة ، وبيانها أن القسم بمواقعها كما هي قسم كذلك هي من الدلائل، وذلك من حيث إن الله تعالى لما ذكر خلق الآدمي من المنى وموته ، بين بإشارته إلى إيجاد الضدين في الأنفس قدرته واختياره ، ثم لما ذكر دليلا من دلائل الأنفس ذكر من دلائل الآفاق أيضا قدرته واختياره ، فقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣) ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ﴾ إلى غير ذلك ، وذكر قدرته على زرعه وجعله حطاما ،

==

مطبعة الفجر الجديد، ٤٤ شارع الكباري منشية ناصر بالدراسة.

(١) سورة الصافات، آية: (١-٤).

(٢) سورة الذاريات، آية: (١-٦).

(٣) فتح الوهاب في علوم الكتاب للدكتور محمد أحمد محمد محمود (١٢٩/١-١٣٠).

(٤) الكشاف للزمخشري (٤/٦٢٤).

وخلقه الماء فراتا عذبا، وجعله أجاجا، إشارة إلى أن القادر على الضدين مختار، ولم يكن ذكر من الدلائل السماوية شيئا، فذكر الدليل السماوي في معرض القسم، وقال: مواقع النجوم، فإنها أيضا دليل الاختيار، لأن كون كل واحد في موضع من السماء دون غيره من المواضع مع استواء المواضع في الحقيقة دليل فاعل مختار، فقال: ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۗ﴾ (٧٥) ليس إلى البراهين النفسية والآفاقية بالذكر كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (١) وهذا كقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ (٢٠) ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۚ﴾ (٢١) ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۚ﴾ (٢٢) حيث ذكر الأنواع الثلاثة كذلك هنا (٣).

"ولما كان الكلام السابق في الماء الذي جعله سبحانه مجمعا للنعيم الدنيوية الظاهرة وقد رتب سبحانه لإنزاله الأنواء على منهاج دبره وقانون أحكمه ، وجعل إنزال القرآن نجوما مفرقة وبوارق متألثة متألفة قال: ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۗ﴾ أي بمساقط الطوائف القرآنية المنيرة النافعة المحيية للقلوب، وبهبوطها الذي يبني عليه ما يبني من الآثار الجليلة وأزمان ذلك وأماكنه وأحواله ، وبمساقط الكوكب وأنوائها وأماكن ذلك وأزمانه في تدبيره على ما ترون من الصنع المحكم والفعل المتقن المقوم ، الدال بغروب الكواكب على القدرة على الطي بعد النشر والإعدام بعد الإيجاد ، وبطلوعها الذي يشاهد أنها ملجأة إليه إلهاء الساقط من علو إلى سفلى لا يملك لنفسه شيئا ، لقدرته على الإيجاد بعد الإعدام ، وبآثار الأنواء على مثل ذلك بأوضح منه، إلى غير ذلك من الدلالات التي يضيق عنها العبارات ، ويقصر دون علينا مديد الإشارات (٤) ."

والقسم "تفريع على جملة ﴿قُلْ إِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۚ﴾ (٤٩) ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ يعرب عن خطاب من الله تعالى موجه إلى المكذبين بالبعث القائلين : ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِيَّانَا لَمَجْمُوعُونَ﴾ ، انتقل به إلى التنويه بالقرآن لأنهم لما كذبوا بالبعث وكان إثبات

(١) سورة الذاريات، آية: (٢٠-٢٢).

(٢) سورة فصلت، آية: (٥٣).

(٣) التفسير الكبير للرازي (١٨٩/٢٩) بتصرف يسير.

(٤) نظم الدرر للبقاعي (١٣٧/٧)

البعث من أهم ما جاء به القرآن وكان مما أغراهم بتكذيب القرآن اشتماله على إثبات البعث الذي عدوه محالا ، زيادة على تكذيبهم به في غير ذلك مما جاء به من إبطال شركهم وأكاذيبهم ، فلما قامت الحجة على خطئهم في تكذيبهم ، فقد تبين صدق ما أنبأهم به القرآن فثبت صدقه ولذلك تهيأ المقام للتنويه بشأنه.

فالفاء لتفريع القسم على ما سبق من أدلة وقوع البعث فإن قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ ﴾ ، إخبار بيوم البعث وإنذار لهم به وهم قد أنكروه ، ولأجل استحالته في نظرهم القاصر كذبوا القرآن وكذبوا من جاء به ، ففرع على تحقيق وقوع البعث والإنذار به تحقيق أن القرآن منزه عن النقائص وأنه تنزيل من الله وأن الذي جاء به مبلغ عن الله . فتفريع القسم تفريع معنوي باعتبار المقسم عليه ، وهو أيضا تفريع ذكري باعتبار إنشاء القسم إن قالوا لكم : أقسم بمواقع النجوم<sup>(١)</sup> ، ثم عظم القسم<sup>(٢)</sup> فقال الحق سبحانه:

﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٧٦﴾

والآية الكريمة اعتراض بين القسم والمقسم عليه، وهو لتعظيم أمر القسم وتفخيمه وليبيان أهمية المقسم عليه، فالقسم من عظيم جل شأنه أقسم بعضهم من خلقه على عظيم. بدأت الآية الكريمة ب ( إن ) التي للتحقيق تقريرا للكلام المراد تحقيقه، ثم أكد الكلام المراد تحقيقه بلام التأكيد في قوله ( لقسم ) ، ولو حرف يفيد الحض والأمر، فهو حض على العلم بعظمة القسم ومنه يستدل على عظمة المقسم عليه وهو القرآن الكريم. وعظم أمر القسم "لأن قسم الله عظيم ، وكل ما أقسم به . ويقال : إن تخصيصه هذا القسم بالعظيم ؛ لأنه أقسم بالقرآن على القرآن"<sup>(٣)</sup>.

ووصف القسم بالعظيم مناسب لعظمة الله وما يتصف به سبحانه من صفات عظيمة وهو في مقابل ما يقال في حق يمين المخلوق للاهتمام بها: يمين مغلظة، وفي القسم وتعظيمه دلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة والرحمة فمن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى، وفي

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣٢٥-٣٣٠)

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٧، الكشاف للزمخشري ٤/٤٦٦، البحر المحيط لأبي حيان ٨/٢١٣

(٣) تفسير القرآن للسمعاني (٥/٣٥٩)

الاعتراض من لطافة العبارة وحسن البيان وجزالة المعاني ما لا يستطيع وصفه واصف، خاصة إن جاء تأكيدا أو تنبيها أو احترازا، وقد وقع هنا تأكيدا للقسم لأنه من الله العظيم للاهتمام به وبما أقسم به من مواقع النجوم وما فيها من آيات وعبر، وبالمقسم عليه وهو القرآن الكريم وما فيه من هدايات وعظات وعبر، وعظم أمر القسم للجاحدين لأنهم لم يكونوا معظمين لله بدليل شركهم به وتكذيبهم لرسوله ولما جاء به من قرآن وما فيه من حقائق البعث<sup>(١)</sup>.

والقسم وتعظيمه ذو أثر بالغ خاصة في نفوس المنكرين المكذبين، حيث أنهم يعظمون أمر القسم، وتعظيمة مما يستدعي اهتمامهم ليصل لإقناعهم الملح عليهم، واستغراقا في بيان الحق لهم، وإشعارا لهم بالحرص على هدايتهم، وإقامة الحجة على المستكبر المصر.

ثم ذكر المقسم عليه<sup>(٢)</sup> وهو القرآن فقال الحق سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ

مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾

اشتملت هذه الآيات على أربع صفات أقسم عليهن المولى سبحانه وهن جواب القسم، كرامة القرآن، وأنه رفيع القدر، ومن رفعته أن لا يمسه إلا المطهرون، وأنه منزل من رب العالمين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾

بدأ سبحانه الآية الكريمة ب (إن) التي للتحقيق وذلك لتقرير كرامة القرآن، وفي تقرير كرامته تقرير لحقيقته وصدقه، فرفع شأنه بوصفه بالكرامة ليشير إلى أن صدقه هو أمر مسلم به لا يحتاج إلى قسم، وصاحب التحقيق ب(إن) تأكيد الموصوف بلام التأكيد وذلك في قوله (لقرآن).

ووصفه بالكرم دون غيره من الصفات لما في هذه الصفة من مكانة في نفوس العرب الذين يفتخرون بالاتصاف بها وهي مقصود شهرتهم، وكذا معرفتهم وفطنتهم بالكلام الكريم من غيره وتمييزهم للألفاظ التي تحمل جزالة المعاني وحسن البلاغة وفصاحة البيان والتي تفيض من الدعوات لمعالي الصفات والأفعال البشرية السامية فيحرك بذلك حقيقة مشاعرهم التي يعرفونها فيه ويؤمنون بها، ولما يحمل الوصف بالكرم من صفات المحامد ما لا يحمله غيره من الأوصاف.

(١) ينظر: تفسير البيضاوي ٢٩٢/٥، التبيان في أقسام القرآن لابن القيم الجوزية ١/١٣٨، نظم الدرر للبقاعي

١٣٨/٧، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٧/١٣٨، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (١/٨٣٦).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٨/١٥١).

والقرآن كريم على الله جل وعلا وفيه البيان والهدى والحكمة ويدل على مكارم الأخلاق، فوصفه بالكرم إثبات صفات المدح له ودفع الحطيطة عنه، ومن معاني الكرم النفع العظيم المتعدي وهو كذلك، وقيل كريم بنزوله بواسطة كريم إلى أكرم الخلق، وقيل سمي كريماً لأنه يفيد الدلائل التي تؤدي إلى الحق في الدين من توحيد الله وإثبات البعث والجزاء، وفيه رد على قولهم أنه أساطير الأولين وأنه سحر أو كهانة أو شعر، واللفظ يحمل تلك المعاني وغيرها<sup>(١)</sup>. وفيه لطيفة وهو أنه وصفه بالكرم لأن الكلام إذا تكرر ترداده هان وثقل على النفس بخلاف القرآن فمهما تكرر لا يزيد في الأسماع إلا تلذذا وشوقاً في النفوس<sup>(٢)</sup>.

ثم تلا هذا الوصف وصف ثان فيه بيان لمكانته وقدره الرفيع فقال الحق سبحانه:

﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝ ٧٨ ﴾

( في ) للظرفية المكانية وهو ما يؤيد ما ذهب إليه أكثر المفسرين بأن المقصود هو اللوح المحفوظ وأن المراد بالمكنون أي مصون من الشياطين محفوظ أن ينالون منه شيء، ومن قال أن المقصود بالكتاب المصحف فيكون المراد أنه مصون محفوظ من التحريف بزيادة أو نقص<sup>(٣)</sup>.

وقيل كتاب من كتب الملائكة الكرام عليهم السلام بينه قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝ ١٢ ﴾ في صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ۝ ١٣ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝ ١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ ١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝ ١٦ ﴾<sup>(٤)</sup> وجميع الأوصاف المذكورة في الآيات السابقة متوافقة مع الأوصاف التي وصف بها القرآن الكريم هنا في هذه السورة مما يعضد هذا المعنى ويؤكد<sup>(٥)</sup>.

والأصوب أن المقصود بالكتاب اللوح المحفوظ، ومما يؤكد قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝ ١١ ﴾

(١) ينظر: حقائق التفسير للسلمي ٣٠٢/٢، النكت والعيون للماوردي ٤٦٢/٥، المحرر الوجيز لابن عطية ٢٥١/٥، زاد المسير لابن الجوزي ١٥١/٨، لباب التأويل للخازن ٢٥/٧، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٣٠/٢٧).

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٩٢/٢٩).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣١٧/٣، جامع البيان للطبري ٢٧/٢٥٠، بحر العلوم للسمرقندي ٣٧٦/٣.

النكت والعيون للماوردي ٤٦٣/٥، لباب التأويل للخازن ٢٥/٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٤/١٧).

(٤) سورة عبس، آية: (١٢-١٦).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٧٥/٤).

﴿ ٢٢ ﴾ (١) (٢)، "فإن قيل : فما فائدة كونه ( في كتاب ) وكل مقروء في كتاب ؟ نقول : هو لتأكيد الرد على الكفار لأنهم كانوا يقولون : إنه مخترع من عنده مفترى ، فلما قال : مقروء عليه اندفع كلامهم (٣)".

"ولما ذكر المعنى ، ذكر محل النظم الدال عليه بلفظ دال على نفس النظم فقال: (في كتاب) أي خط ومخطوط فيه جامع على وجه هو في غاية الثبات (مكنون) أي هو في ستر مصون لما له من النفاسة والعلو في السماء في اللوح المحفوظ ، وفي الأرض في الصدور المشرفة ، وفي السطور في المصاحف المكرمة المطهرة ، محفوظا مع ذلك من التغيير والتبديل (٤)".

ثم زكاه بوصف ثالث بديع متوافق مع كونه مصون مرفوع القدر والمكانة فقال الحق سبحانه:

﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٧٩)

والآية خبرية واختلف في حرف (لا) هل هو للنفي أم للنهي، والخلاف يعود إلى هاء الضمير في لفظ المس، فمن قال أن هاء الضمير في لفظ المس يعود للكتاب فيكون المقصود بالمطهرين هم الملائكة الكرام الذين طهروا من الذنوب، وعلى هذا يكون المقصود من الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ أو صحف الملائكة كما سبق بيانه في الآية الكريمة، وتكون (لا) نافية وليست ناهية ويكون الخبر على حقيقته وهو ما عليه أكثر المفسرين لاعتبارات عديدة منها أن السياق سياق وصف للقرآن وليس تشريع، وأن الضمير يعود لأقرب مذكور كما هو معروف عند أهل اللغة إلا بوجود قرينة تصرفه عن هذه القاعدة، وسيأتي تفصيل في ترجيح هذا القول.

ومن قال بأن الضمير يعود على القرآن فيكون المقصود بالمطهرين هم البشر الذين يقرئونه سواء كان المقصود بالطهارة المعنوية من الشرك والنفاق أو الطهارة الحسية من الحدثين، وعلى هذا يكون المقصود من الكتاب المكنون هو المصحف، وتكون (لا) ناهية في صورة الخبر وبذلك تكون الآية تشريعا لا وصفا للقرآن، وعلى إثر ذلك تم تفصيل القول في حكم

(١) سورة البروج، آية: (٢١، ٢٢).

(٢) التفسير الكبير للرازي (١٩٣/٢٩).

(٣) التفسير الكبير للرازي (١٩٤/٢٩).

(٤) نظم الدرر للبقاعي (٤٢٥/٧).



مس المصحف للكافر والمحدث حدثا أصغر وأكبر، ومنه عرض بحكم قراءة القرآن لمن عليه أحد الحدثين، فقليل لا يجوز لغير المسلم مس المصحف حتى يتطهر بدخوله في الإسلام، ويجوز للمسلم المحدث حدثا أصغر أن يقرأ دون المس، كما لا يجوز للجنب المحدث حدثا أكبر مسه ولا قراءة آية تامة وقيل يجوز قراءته دون مسه قياسا بالحائض<sup>(١)</sup>.

والقول بأن المقصود من المطهرين هم الملائكة هو ما ذهب إليه أكثر المفسرين وذلك لما يلي:

١ - أن الآية سقت تنزيها للقرآن وبيانا لمكانته العالية المصونة ثناء عليه ودفعاً لمتقول أن

تنال منه الشياطين أو تنزل به كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾<sup>(٢)</sup> (٣)،

ولذلك جاءت في سياق الوصف ووقعت بين وصفه بأنه رفيع القدر والمكانة في اللوح المحفوظ فبذلك يتوافق اللفظ في الآيتين في المعنى والوصف وبين تنزيهه من أن ينزل من عند غير الله فوصفه بأنه نزل من عند رب العالمين وبواسطة رسله من الملائكة المطهرين الكرام<sup>(٤)</sup>.

٢ - "وقوله بعد ذلك ( تنزيل ) صفة أيضا فإذا جعلناه نھيا جاء معنى أجنبيا معترضا بين الصفات وذلك لا يحسن في رصف الكلام فتدبره"<sup>(٥)</sup>.

٣ - "أن مس الكتاب حقيقة ومس القرآن مجاز والحقيقة أولى من المجاز والآخر أن الكتاب أقرب والضمير يعود على أقرب مذكور"<sup>(٦)</sup>.

٤ - أن السورة مكية ومعلوم أن السور المكية عنيت بأصول الدين من تقرير التوحيد

(١) ينظر: تفسير مجاهد ٢/٦٥٢، تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٧، جامع البيان للطبري ٢٧/٢٠٥-٢٠٦، بحر العلوم للسمرقندي ٣/٣٧٦، أحكام القرآن للخصاص ٥/٣٠٠، تفسير القرآن العزيز لابن زمنين ٤/٣٤٤، الوجيز للواحدي ٢/١٠٦٣، تفسير القرآن للسمعاني ٥/٣٥٩، الكشاف للزخشري ٤/٤٦٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢٢٥، لباب التأويل للخازن ٧/٢٥، غرائب القرآن للنيسابوري ٦/٢٤٥، التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ٤/٩٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٩٩، الدر المنثور للسيوطي ٨/٢٨، فتح القدير للشوكاني ٥/١٦٠، روح المعاني للآلوسي ٢٧/١٥٤

(٢) سورة الشعراء، آية: (٢١٠).

(٣) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم الجوزية (١٤١/١)

(٤) جامع البيان للطبري (٢٧/٢٠٥-٢٠٦)

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٥/٢٥٢)

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٤/٩٢)

والبعث والمعاد ولم تتحدث عن الأحكام التشريعية التي عنيت بها السور المدنية فتكون الآية وصف للثناء على القرآن لا نهي عن مسه تشريعاً<sup>(١)</sup>.

٥ - وصفه بالمكنون أي المصون المستور عن أعين البشر وأيديهم هو ما يؤكد معنى نفي المس إلا من الملائكة المطهرين الكرام ولا يكون ذلك للمصحف فإنه يمكن أن يمسه الرجس والنجس، "فيمسه الطاهر وغير الطاهر"<sup>(٢)</sup>.

٦ - أن القرآن لم يكن مجموعاً في مصحف واحد عند نزول هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

"ودلت الآية بإشارتها وإيمائها على أنه لا يدرك معانيه ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة وحرام على القلب المتلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه وأن يفهمه كما ينبغي قال البخاري في صحيحه في هذه الآية لا يجد طعمه إلا من آمن به وهذا أيضاً من إشارة الآية وتبنيها وهو أنه لا يلتذ به وبقرائه وفهمه وتدبره إلا من شهد أنه كلام الله تكلم بها حقاً وأنزله على رسوله وحياً ولا ينال معانيه إلا من لم يكن في قلبه حرج منه بوجه من الوجوه فمن لم يؤمن بأنه حق من عند الله ففي قلبه منه حرج ومن لم يؤمن بأن الله سبحانه تكلم به وحياً وليس مخلوقاً من جملة مخلوقاته ففي قلبه منه حرج ومن قال إن له باطناً يخالف ظاهره وإن له تأويلاً يخالف ما يفهم منه ففي قلبه منه حرج ومن قال إن له تأويلاً لا نفهمه ولا نعلمه وإنما نتلوه متعبدين بألفاظه ففي قلبه منه حرج ومن سلط عليه آل الآرائين وهذيان المتكلمين وسفسطة المسفسطين وخيالات المتصوفين ففي قلبه منه حرج ومن جعله تابعا لنحلته ومذهبه وقول من قلده دينه ينزله على أقواله ويتكلف حمله عليها ففي قلبه منه حرج ومن لم يحكمه ظاهراً وباطناً في أصول الدين وفروعه ويسلم وينقاد لحكمه أين كان ففي قلبه منه حرج ومن لم ياتمر بأوامره وينزجر عن زواجره ويصدق جميع أخباره ويحكم أمره ونهيه وخبره ويرد له كل أمر ونهي وخبر خالفه ففي قلبه منه حرج وكل هؤلاء لم تمس قلوبهم معانيه ولا يفهمونه كما ينبغي أن يفهم ولا يجدون من لذة حلاوته وطعمه ما وجدته الصحابة ومن تبعهم وأنت إذا تأملت

(١) التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٩٣/٤)

(٢) كتاب المصاحف لأبي داود السجستاني (٤٤١/١)

(٣) وللاستزادة يرجع لكتاب التبيان في أقسام القرآن لابن القيم الجوزية (١٤٠/١-١٤٢)

قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٩) وأعطيت الآية حقها من دلالة اللفظ وإيمائه وإشارته وتنبهه وقياس الشيء على نظيره واعتباره بمشاكله وتأملت المشابهة التي عقدها الله سبحانه وربطها بين الظاهر والباطن فهمت هذه المعاني كلها من الآية وبالله التوفيق<sup>(١)</sup>.  
ثم وصفه بوصف يؤكد حقيقته وصدقه ونزاهته ورفعته قدره فقال الحق سبحانه:

﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٠)

والآية مترابطة بما قبلها من حيث أن القرآن كريم في كتاب مكنون أي "هذا القرآن تنزيل من رب العالمين نزله من الكتاب المكنون"<sup>(٢)</sup>، وهذه "صفة رابعة للقرآن"<sup>(٣)</sup>.  
"وفيه رد على من قال إن القرآن شعر أو سحر أو كهانة فقال الله تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين"<sup>(٤)</sup>.

"وأفاد كونه تنزيلا من رب العالمين مطلوبين عظيمين من أجل مطالب الدين أحدهما أنه المتكلم وأنه منه نزل ومنه بدأ وهو الذي تكلم به ومن هنا قال السلف منه بدأ ونظيره:  
﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ (٥)، وقوله ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (٦).

والثاني علو الله سبحانه فوق خلقه فإن النزول والتنزيل الذي تعقله العقول وتعرفه الفطر هو وصول الشيء من أعلا إلى أسفل والرب تعالى إنما يخاطب عباده بما تعرفه فطرهم وتشهد به عقولهم وذكر التنزيل مضافا إلى ربوبيته للعالمين المستلزمة تملكه لهم وتصرفه فيهم وحكمه عليهم وإحسانه وإنعامه عليهم وإن من هذا شأنه مع الخلق كيف يليق به مع ربوبيته التامة أن يتركهم سدى ويدعهم هملا ويخلقهم عبثا لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم فمن أقر بأنه رب العالمين أقر بأن القرآن تنزيله على رسوله واستدل بكونه رب العالمين على ثبوت رسالة

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم الجوزية (١/١٤٤-١٤٥)

(٢) جامع البيان للطبري (٢٧/٢٠٦)

(٣) الكشاف للزمخشري (٤/٤٦٧)

(٤) لباب التأويل للخازن (٧/٢٦)

(٥) سورة السجدة ، آية: (١٣).

(٦) سورة النحل، آية: (١٠٢).

رسوله وصحة ما جاء به وهذا الاستدلال أقوى وأشرف من الاستدلال بالمعجزات والخوارق وإن كانت دلالتها أقرب إلى أذهان عموم الناس وتلك إنما تكون لخواص العقلاء<sup>(١)</sup>.

"وجملة (تنزيل من رب العالمين) مبينة لجملة ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾ ٧٨ ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ٧٩ ﴿ فهي تابعة لصفة القرآن ، أي فبلوغه إليكم كان بتنزيل من الله ، أي نزل به الملائكة، وفي معنى نظم هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴾ ٤١ ﴿ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴾ ٤٢ ﴿ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٤٣ ﴿<sup>(٢)</sup>، وإذ قد ثبتت هذه المرتبة الشريفة للقرآن كان حقيقاً بأن تعظم تلاوته وكتابته، ولذلك كان من المأمور به أن لا يمس مكتوب القرآن إلا المتطهر تشبهاً بحال الملائكة في تناول القرآن بحيث يكون ممسك القرآن على حالة تطهر ديني وهو المعنى الذي تومىء إليه مشروعية الطهارة لمن يريد الصلاة، وقد دلت آثار على هذا أوضحها ما رواه مالك مرسلاً: «أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أقيال ذي رعين وقعافر وهمدان وبعثها به مع عمرو بن حزم " أن لا يمس القرآن إلا طاهر"<sup>(٣)</sup>. وروى الطبراني<sup>(٤)</sup> عن عبد الله بن عمر قال رسول الله ﷺ " لا يمس القرآن إلا طاهر"<sup>(٥)</sup>.

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم الجوزية (١٤٥/١-١٤٦)

(٢) سورة الحاقة، آية: (٤١-٤٣).

(٣) أخرجه الإمام مالك في موطئه: باب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن، حديث رقم: (٢١٩)، (٢/٢٧٨).

(٤) سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي، الشامي، الطبراني، صاحب المعجم الثلاثة، مولده: بمدينة عكا، في شهر صفر، سنة ستين ومائتين، من تصانيفه: المعجم الصغير، والمعجم الكبير والمعجم الأوسط. سير أعلام النبلاء (١١٩/١٦).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير برقم: (١٣٢١٧)، (١٢/٣١٣) وفي المعجم الصغير برقم: (١١٦٢)، (٢/٢٧٧).

وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم: (٧٧٨٠)، (٢/١٢٨٤).

### المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع

بعد أن عدد تلکم الأدلة العظيمة التي تكذب من جحد بالبعث والنشور وثبت قدرته سبحانه على ذلك أكد صدق كلامه ورفعة قدره ومكانته وما جاء فيه من حقائق ومواعظ وآيات بالقسم بعظمة ما خلق من مواقع النجوم ومحل غروبها وظهورها وأكد عظمة القسم والمقسم به والمقسم عليه تنبيها لعظمة من أقسم سبحانه، فأقسم بكرامة كلامه القرآن الكريم وما فيه من منافع ومعارف وهدايات وحكم، وعلى رفعة مكانته وقدره وأنه في كتاب مصون محفوظ، وأكد علو قدره برفعته عن أيدي غير المطهرين وهو زيادة في تشريفه وبيان قدره، ثم أكد حقيقته وصدقه وأنه كلامه جل وعلا الذي انعم على الخلق ورباهم بنعمه وأفضاله، فقال سبحانه: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۗ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعَلَّمُونَ عَظِيمٌ ۗ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۗ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۗ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۗ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۗ (٨٠)﴾.

### المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه آيات الموضوع

- مما ترشد إليه الآيات الكريمة ما يلي:
- ١ - التنويه بالقرآن وأنه كلام الله سبحانه.
  - ٢ - القسم من الله على شيء من مخلوقاته دليل عظمة الخالق ودليل عظمة ما خلق فالعظيم لا يقسم إلا بعظيم.
  - ٣ - النجوم ومواقعها من أعظم الدلائل على عظمة الله وعظيم قدرته سبحانه.
  - ٤ - في القسم بمواقع النجوم الإشارة إلى ما فيها من المنافع والتي لا يحيط بها إلا الخالق ومنها ما علمه الإنسان من الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر.
  - ٥ - تأكيد تعظيم القسم لتعظيم المقسم به وعليه.
  - ٦ - القسم على كرامة القرآن وكثرة منفعه وخيره وهداياته وآياته.
  - ٧ - بيان رفعة قدر ومكانة القرآن وصيانته وحفظه.
  - ٨ - تأكيد رفعة كلام الله بشرف حامله من المطهرين الأبرار.
  - ٩ - التأكيد على انه وحي منزل من رب العالمين.
  - ١٠ - نسبة القرآن للرب نسبة رفعة وعلو وتحقيق لصدقه وحقيقته.
  - ١١ - الرد على المكذبين بالقرآن وشرفه وصدقه.

# الفصل الثالث

وصف حال الإنسان عند الموت، وأحوال الناس بعد  
الموت ومآلهم: ويشمل الآيات (٨١-٩٦)

---

ويشتمل على مبحثين: -

المبحث الأول: وصف حال الإنسان عند الموت. 

المبحث الثاني: أحوال الناس بعد الموت ومآلهم. 

\* \* \* \* \*

## المبحث الأول

وصف حال الإنسان عند الموت، ويشمل الآيات: ( ٨١ - ٨٧ )

وفيه خمسة مطالب: -

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة.

المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والموضوع السابق.

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه آيات الموضوع.

\* \* \* \* \*



## المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة

بعد أن انتهى من قسم الخبر وعرض فيه حقيقة البعث بذكر أمر الواقعة وما يحصل فيها من أهوال، وذكر الغاية من وقوعها بانقسام الناس إلى ثلاثة أقسام حسب أعمالهم، انتقل إلى قسم الإقناع بالحجة والدليل فسرر الأدلة الحسية العقلية التي تثبت حقيقة ما أنكروه واستبعدوه من أمر البعث والنشور، وأعقب تلك الأدلة بالقسم تأكيداً لصدق الكلام الذي تضمن تلك الحقائق، ختم السورة الكريمة بالربط بين الخبر الغيبي من أمر الواقعة ومآل الناس وبين الحقيقة الحسية بانتهاء الحياة المشاهدة بالموت الحق، فصور تلك اللحظات الحاسمة للموت الذي لن ينجو منه أحد أبداً، ومن تصوير تلك اللحظات الحاسمة ينتقل لبيان مصير الإنسان ومآله بعد موته حسب عمله وفي ذلك تأكيد للبعث الذي هو القضية التي عنيت السورة الكريمة بتأكيدده بالإقناع خبراً ومشاهدة، وافتتحت السورة بإثباته، وذلك في ربط بديع وبيان بليغ يشعر بتألف وترابط مواضيع السورة بمحورها الأساس ألا وهو البعث.

فتأتي الخاتمة لتربط ربطاً وثيقاً بين انتهاء المحسوس وهي حياة الناس بالموت؛ وبين البعث الذي هو محور السورة الأساس، ومن خلال حقيقة الموت التي لا ينكرها أحد والتي لن يستطيع أن ينجو منها أحد، ولا يستطيع أحد أن يدفع عن نفسه أو عن قريبه تلك النهاية الواقعية، والتي تثبت لمن يعيشها حقيقة البعث عند معاينة ملائكة الموت ورؤية مصيره ومآله، سيؤمن كل من يصل لتلك الحقيقية بكل ما أخبر عنه من أمر البعث والنشور وبكل حقائق القرآن الكريم وما جاء به الرسول الكريم من عند ربه.

يقول الطاهر بن عاشور: و"مقتضى فاء التفرع في قوله سبحانه ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ أن الكلام الواقع بعدها ناشئ عما قبله على حسب ترتيبه وإذ قد كان الكلام السابق إقامة أدلة على أن الله قادر على إعادة الحياة للناس بعد الموت، وأعقب ذلك بأن تلك الأدلة أيدت ما جاء في القرآن من إثبات البعث، وأنحى عليهم أنهم وضحت لهم الحجة ولكنهم مكابرون فيها ومظهرون الجحود وهم موقنون بها في

الباطن ، وكل ذلك راجع إلى الاستدلال بقوة قدرة الله على إيجاد موجودات لا تصل إليها مدارك الناس ، انتقل الكلام إلى الاستدلال على إثبات البعث بدليل لا محيص لهم عن الاعتراف بدلالته، فالنفرع لجملة ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٦٢) وهو أن عجزهم عن إرجاع الروح عند مفارقتها الجسد ينيهم على أن تلك المفارقة مقدرة في نظام الخلقة وأنها لحكمة .

فمعنى الكلام قد أخبركم الله بأنه يجازي الناس على أفعالهم ولذلك فهو محييهم بعد موتهم لإجراء الجزاء عليهم ، وقد دلکم على ذلك بانتزاع أرواحهم منهم قهرا ، فلو كان ما تزعمون من أنكم غير مجزيين بعد الموت لبقيت الأرواح في أجسادها ، إذ لا فائدة في انتزاعها منها بعد إيداعها فيها لولا حكمة نقلها إلى حياة ثانية ، ليجري جزاؤها على أفعالها في الحياة الأولى، وهذا نظير الاستدلال على تفرد الله بالإلهية بأن في كينونة الموجودات دلائل خلقية على أنها مخلوقة لله تعالى وذلك قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلًّا لَهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْأَصَالِ ﴾ (١٥) (١). ومرجع هذا المعنى إلى أن هذا استدلال بمقتضى الحكمة الإلهية في حالة خلق الإنسان فإن إيداع الأرواح في الأجساد تصرف من تصرف الله تعالى ، وهو الحكيم ، فما نزع الأرواح من الأجساد بعد أن أودعها فيها مدة إلا لأن انتزاعها مقتضى الحكمة أن تنتزع ، وانحصر ذلك في أن يجري عليها الحساب على ما اكتسبته في مدة الحياة الدنيا (٢) .

(١) سورة الرعد، آية: (١٥).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٤٣/٢٧)

## المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والموضوع السابق

بعد أن ذكر الأدلة الحسية على جواز وقوع البعث عقلا من خلال إظهار قدرة الله في إيجاد أصل الإنسان من العدم وإيجاد أسباب حياته، اتبع ذلك بتصوير ما أشار إليه من تقدير الموت في قوله ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ ﴾ وأنه الذي قدره على خلقه بحكمته وعلمه، ثم تأكيد تلك الأخبار والأدلة والحقائق بالقسم العظيم على حقيقة وصدق الكلام الذي جاءت فيه تلك الأخبار والأدلة والحقائق، أعقب سبحانه بيان قدرته في وجود الإنسان بذكر مصيره الحتمي ولحظات موته ووقت نهايته وأبان ضعفه في دفع ما نزل به من قدر الموت في مقابل قدرة الله الذي حكم عليه بالموت وقدره تقديرا، وفيه تذكير بنهايتهم بعد أن ذكر بدايتهم في قوله ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ (٥٧) الآيات، وفيه ربط بديع بين ذكر خلقهم ثم أسباب حياتهم من طعام وشراب ونار ينتفعون بها في معاشهم وبين نهاية تلك الحياة التي تمر في دورتها بتلك المراحل لكل مخلوق كتب له الوجود فكتب عليه الفناء ليرثه غيره، وهذه الدورة الحياتية لا بد لها من يوم يبعث فيه الناس للحساب والجزاء على أعمالهم.

"فبعد أن وصف الله عز وجل القرآن بما دل على جلالة شأنه وعزة مكانه وأشعر باشماله على ما فيه تزكية النفوس وتحليتها بما يوجب كمالها من العقائد الحقّة ونحوها حيث قال سبحانه : ﴿ تَزِيلُ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٨٠) فعبّر جل وعلا عن ذاته سبحانه بلفظ الرب على التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا، وقد يستفاد ذلك من وصفه بكرم بناء على أن المراد به نفاع جم المنافع فإنه لا منفعة أجل مما ذكر وكان قد ذكر عز وجل غير بعيد ما يدل على أنه تعالى هو المنزل لماء المطر لا غيره سبحانه استقلالاً ولا اشتراكاً قال عز قائلنا : أفبهذا القرآن الجليل الشأن المشتمل على العقائد الحقّة المرشد إلى ما فيه نفعكم أنتم متهاونون فلا تشكرون الله تعالى عليه وتجعلون بدل شكركم أنكم تكذبون به ومن ذلك أنكم تقولون إذا مطرتم مطرنا بنوء كذا وكذا فتسندون إنزال المطر إلى الكواكب وقد أرشدكم غير مرة إلى ما

يأبى ذلك من العقائد وهداكم إلى أنه تعالى هو المنزل للمطر لا الكواكب ولا غيرها أصلاً<sup>(١)</sup>.  
 "والكلام متصل غاية الاتصال بقوله فيما قبل ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾<sup>(٥٧)</sup> وما  
 جاء بعده؛ فهي دلائل على هذه القضية قضية الخلق وأنه لا منازع له فيها، وقضية البعث فإن  
 القادر على بدء الخلق قادر على الإعادة من باب أولى، فخلص إلى بيان الحقيقة الأزلية وهي  
 أنه المختص بالإماتة كما هو المختص بالإحياء، وإن كنتم في شك من هذه الحقيقة حقيقة  
 التفرد بالإحياء والإماتة فإليكم هذا التحدي الصارخ للبشر كلهم فإن قدرتم على رد أرواحكم  
 بعد الإماتة فافعلوا إن كنتم صادقين<sup>(٢)</sup>".



(١) روح المعاني للآلوسي (١٥٦/٢٧)

(٢) تفسير سورة الواقعة صور من الإعجاز البياني وإحكام المعاني للدكتور محمد أبو شهبه (٨٨/١) بتصرف

## المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع

قال الله تعالى: ﴿ أَفِيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ۗ ﴾ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصْرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ .

قوله سبحانه: ﴿ أَفِيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ۗ ﴾ (٨١)

الخطاب "للكفار و( الحديث ) المشار إليه هو القرآن المتضمن البعث وأن الله تعالى خالق الكل وأن ابن آدم مصرف بقدره وقضائه وغير ذلك و ( مدهنون ) معناه يلاين بعضكم بعضا ويتبعه في الكفر مأخوذ من الدهن للينه وإملاسه<sup>(١)</sup> .

فعلى الصحيح أن اسم الإشارة هذا يعود لأقرب مذكور وهو القرآن المنعوت والموصوف بالنعوت والأوصاف السابقة الذكر، والهمزة للاستفهام الإنكاري أي كيف يعرضون عنه ويكفرونه ويكذبونه ولا يصدقون به وبما جاء به من أمر البعث والمعاد ومن حقائق واقعة مع كرامته ورفعة مكانته وصدقه، وسماه حديثاً لأنه كان حديث العرب في وقت نزوله، ووصفهم بالمداهنة والمداهنة من ادهن وداهن من الدهن أصله من اللين والضعف، قال بعض أئمة اللغة: مدهنون تاركون للحزم في قبول هذا القرآن والتهاون بأمره، وقيل المداهن الكذاب المنافق<sup>(٢)</sup>،

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٢٥٢/٥)

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٨، جامع البيان للطبري ٢٧/٢٠٧، تفسير القرآن لابن أبي حاتم ١٠/٣٣٣٤، بحر العلوم للسمرقندي ٣/٣٧٦، القرآن العزيز لابن زمين ٤/٣٤٤، الكشف والبيان للثعلبي ٩/٢٢١، الوجيز للواحدي ٢/١٣٠٦٤، تفسير القرآن للسمعاني ٥/٣٦٠، تفسير البغوي ٤/٢٩٠، الكشف للزنجشيري ٤/٤٦٨، أحكام القرآن لابن العربي ٤/٣٠٥، زاد المسير لابن الجوزي ٨/١٥٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢٢٧، تفسير البيضاوي ٥/٢٩٣، لباب التأويل للحازن ٧/٢٦، غرائب القرآن لليسابوري ٦/٢٤٥، التسهيل للكلبي ٤/٩٣، الباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٨/٤٣٩، فتح القدير للشوكاني ٥/١٦١، الجواهر الحسان للتعالي ٤/٢٥٧، تفسير سورة الواقعة للدكتور محمد أبو شهبه ١/٨٥)

يؤكد قوله تعالى: ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٨) ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (٩) (١)، فوصفهم بصفة الكذب ثم نعتهم بالمداهنة التي من معانيها الكذب والنفاق، ولذلك قال بعد ذلك: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ (٢)، وهو ما يؤكد أن معنى المداهنة التكذيب تملقا، وأن معنى الحديث القرآن ولذلك ذكر أمر التكذيب بعد ذلك بقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾. فلما أفصح من وصف هذا الكتاب العظيم ما يقتضي أن يكون بمجرد مثبنا لما لا تدرکه العقول من كماله وكافيا في الإذعان لاعتقاده فكيف إذا كان ما تحكم العقول وتقتضي بفساد ما سواه، فكيف إذا كان مما يتذكر الإنسان مثله في نفسه، عجب منهم في جعله سببا لإنكار البعث الذي إذا ذكر الإنسان أحوال نفسه كفاه ذلك في الجزم به فقال منكرا تعجبا: (أفبهذا) ولما كان الإنسان مغرما بما يجدد له من النعم ولو هان فكيف إذا أعلى النعم قال: (الحديث) أي الذي تقدمت أوصافه العالية وهو متجدد إليكم إنزاله وقتا بعد وقت (أنتم) أي وأنتم العرب الفصحاء والمفوهون البلغاء (مدهنون) أي كذابون منافقون بسببه تظهرون غير ما تبطنون أنه كذاب وأنتم تعلمون صدقه بحسن معانيه، وعجزكم عن مماثلته في نظومه ومبانيه (٣)!"

"والاستفهام على كل التفاسير مستعمل في التوبيخ، أي كلامكم لا ينبغي إلا أن يكون مداهنة كما يقال لأحد قال كلاما باطلا: أتهزأ، أي قد نهض برهان صدق القرآن بحيث لا يكذب به مكذب إلا وهو لا يعتقد أنه كذب لأن حصول العلم بما قام عليه البرهان لا يستطيع صاحبه دفعه عن نفسه، فليس إصراركم على التكذيب بعد ذلك إلا مداهنة لقومكم تخشون إن صدقت بهذا الحديث أن تنزل رئاستكم فيكون في معنى قوله تعالى: ﴿فَأْتِهِمْ لَا يُكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ (٤) وتقدم المحرور للاهتمام، وصوغ

(١) سورة القلم، آية: (٨، ٩).

(٢) سورة القلم، آية: (٤٤).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (٤٢٦/٧).

(٤) سورة الأنعام، آية: (٣٣).

الجملة الاسمية في ﴿ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾ (٨١) لأن المقرر عليه ادهان ثابت مستمر<sup>(١)</sup>.

ثم أكد مداهنتهم في حق القرآن فوصفهم بنكران الفضل ونكران صاحبه ومقابلة الفضل بالتكذيب فقال الحق سبحانه:

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ ﴾ (٨٢)

عطف بالواو لبيان تبعية المعنى لما سبق من آثار مداهنتهم في حق القرآن الكريم، وقد يكون العطف للمغايرة إلا أن السياق يدل على الربط والتبعية والله أعلم. والآية مسوقة مساق الاستفهام التوبيخي لهم ولكل من وضع الشيء في غير موضعه، فوضع التكذيب موضع الشكر، ووجد شكر المنعم والكفر بفضله، ونسبة الفضل لغير أهله كنسبة المطر للنوء والنجم، والعمل بصد الشكر؛ هو مما يوجب الاستفهام توبيخاً وتهكماً بمن هذه حاله.

والمعنى تجعلون شكر الله على رزقه إياكم التكذيب به أو بكلامه وما جاء فيه من أمر البعث والنشور، وقد روي أن الآية نزلت في الاستسقاء بالأنواء، وروى أنهم مطروا فنسبوا المطر والرزق والخير للأنواء ونسوا الله، وهو مروى في صحيح البخاري ومسلم<sup>(٢)</sup>، وقيل معناه تجعلون حظكم من كتاب الله تكذيبه<sup>(٣)</sup>.

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣٣٨-٣٣٩)

(٢) روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم "أصبح من الناس شاكرو ومنهم كافر قالوا هذه رحمة وضعها الله حيث شاء وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فنزلت هذه الآية ( فلا أقسم بمواقع النجوم حتى بلغ أنكم تكذبون )". كتاب الأيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، برقم: (١٢٧)، (٨٤/١).

وروى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: "هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما المؤمن فقال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب". روى البخاري في كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، برقم: (٤٦٨)، (١/١٦٩)، ووروى مسلم في كتاب الأيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، برقم: (١٢٥)، (٨٣/١).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري ٢٧/٢٠٧، تفسير القرآن لابن أبي حاتم ١٠/٣٣٣٤، بحر العلوم للسمرقندي

"ولما كان هذا القرآن متكفلاً بسعادة الدارين ، قال تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ ﴾ أي حظكم ونصيبكم وجميع ما تنتفعون به من هذا الكتاب وهو نفعكم كله ﴿ أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ ﴾ أي توجدون حقيقة التكذيب في الماضي والحال، وتجددون ذلك في كل وقت به وبما أرشد إليه من الأمور الجليلة وهي كل ما هو أهل للتصديق به وتصفونه بالأوصاف المتناقضة، ومن ذلك ما أرشد إليه من أنه لا فاعل إلا الله تعالى فتقولون أنتم إذا أمطرکم ما يرزقكم به: هذا بنوء كذا، معتقدين تأثير ذلك النوء، وإنما هو بالله تعالى... تجعلون مكان الشكر التكذيب<sup>(١)</sup>".

"وقيل: معنى الآية وتجعلون شكرکم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به ويشير إلى ذلك ما رواه قتادة عن الحسن بئس ما أخذ القوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله تعالى إلا التكذيب<sup>(٢)</sup>".

ويقول الطاهر بن عاشور: "إذا جرينا على ما فسر به المفسرون تكون هذه الجملة عطفًا

على جملة: ﴿ أَفِيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾ ﴿ ٨١ ﴾ عطف الجملة على الجملة فتكون داخلة في حيز الاستفهام ومستقلة بمعناها، والمعنى: أفجعلون رزقكم أنكم تكذبون، وهو تفریع على ما تضمنه الاستدلال بتكوين نسل الإنسان، وخلق الحب، والماء في المزن، والنار من أعواد الاقتداح، فإن في مجموع ذلك حصول مقومات الأقوات، وهي رزق، والنسل رزق، يقال: رزق فلان ولدا، لأن الرزق يطلق على العطاء النافع، أي أعطيت، وقال تعالى: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ

٣/٣٧٦، تفسير القرآن العزيز لابن زمنين ٤/٣٤٤، الكشف والبيان للثعلبي ٩/٢٢١، النكت والعيون للماوردي ٥/٤٦٤، الوجيز للواحدي ٢/١٠٦٤، تفسير القرآن للسمعاني ٥/٣٦١، تفسير البغوي ٤/٢٩٠، الكشاف للزمخشري ٤/٤٦٨، المحرر لابن عطية ٥/٢٥٢، زاد المسير لابن الجوزي ٨/١٥٣-١٥٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/٢٢٧، تفسير البيضاوي ٥/٢٩٣، لباب التأويل للخازن ٧/٢٧، غرائب القرآن للنيسابوري ٦/٢٤٥، البحر المحيط لابي حيان ٨/٢١٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٩٩-٣٠٠، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٨/٤٢٨، الدر المنثور للسيوطي ٨/٢٨، فتح القدير للشوكاني ٥/١٦١، تيسر الكريم الرحمن للسعدي ١/٨٣٦، الجواهر الحسان للثعلبي (٤/٢٥٧)

(١) نظم الدرر للبقاعي (٧/٤٢٧)

(٢) روح المعاني للآلوسي (٢٧/١٥٦)



رَزَقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ (١) فعطف الإطعام على الرزق والعطف يقتضي المغايرة، والاستفهام المقدر بعد العاطف إنكاري (٢) .

ثم زاد في توبيخ الإنسان على جحد أفعال الله وآياته (٣) فقال الحق سبحانه:

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُنظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

الخطاب خطاب تحذير وترهيب (٤)، والآية في بيان عجزهم وإثبات قدرته سبحانه عليهم (٥)، "فلولا حرف تضييض مستعمل هنا في التعجيز لأن المحضوض إذا لم يفعل ما حض على فعله فقد أظهر عجزه (٦)"، ومن إثبات قدرته عليهم بالإماتة تتقرر قدرته على إثبات ما جحدوه وأنكروه من أمر البعث والمعاد.

و"ترتيب الآية : فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدنين . و (فَلَوْلَا ) الثانية

مكررة للتوكيد ، والضمير في ﴿ تَرْجِعُونَهَا ﴾ للنفس وهي الروح ، وفي ﴿ أَقْرَبُ إِلَيْهِ ﴾ للمحتضر ﴿ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ غير مربوبين ، من دان السلطان الرعية إذا ساسهم . ﴿ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴾ يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا ، أو بملائكة الموت . والمعنى : إنكم في جحودكم أفعال الله تعالى وآياته في كل شيء إن أنزل عليكم كتابا معجزا قلتكم : سحر وافتراء . وإن أرسل إليكم رسولا قلتكم : ساحر كذاب ، وإن رزقكم مطرا يحييكم به قلتكم : صدق نوء كذا ، على مذهب يؤدي إلى الإهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالححي المميت المبدىء المعيد (٧) .

(١) سورة الذاريات، آية: (٥٧).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣٣٩-٣٤٠).

(٣) غرائب القرآن للنيسابوري (٦/٢٤٥).

(٤) حقائق التفسير للسلمي (٢/٣٠٢).

(٥) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني ٥/٣٦١، التسهيل للكلي (٤/٩٣).

(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣٤٣).

(٧) الكشاف للزمخشري (٤/٤٩٨).

"فقله تعالى ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ توقيف على موضع عجز يقتضي النظر فيه ان الله تعالى ملك كل شيء والضمير في ﴿ بَلَغَتِ ﴾ لنفس الإنسان والمعنى يقتضيها وإن لم يتقدم لها ذكر، و ( الحلقوم ) مجرى الطعام وهذه الحال هي نزاع المرء للموت... وقوله ( وأنتم ) إشارة إلى جميع البشر وهذا من الاقتضاب كقوله تعالى: ( ولا تقتلوا انفسكم )، وقوله ﴿ تَرْجِعُونَهَا ﴾ سدت مسد الأجوبة والبيانات التي يقتضيها التحضيضات<sup>(١)</sup>." وفي الآية إشارة للكفار بالحالة التي لا يمكنهم إنكارها وهي حالة الموت، فإن كفروا بالبعث والحشر وهو الحياة بعد الموت فإنهم لا يشكون في حالة النزع حتى لا يبقى لهم لسان ينطق وتفوتهم قوة الاكتساب لإيمانهم فيكون حثا لهم على تجديد النظر في طلب الحق قبل تلك الحالة<sup>(٢)</sup>.

"فترتيب الآية بالنظر إلى أصل المعنى هو أن يقال : فلولا ترجعون الأرواح إلى الأبدان إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين فزاد في الكلام توكيدات منها تكرير ( فلولا ) التحضيضية لطول الفصل كما كرر قوله: ﴿ فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> بعد قوله: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> ومنها تقديم الظرف وهو قوله: ﴿ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ أي النفس ، وإنما أضمرت للعلم بها كقوله ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾<sup>(٥)</sup> وإنما قدم الظرف للعناية فإنه لا وقت لكون الإنسان أحوج إلى التصرف والتدبير منه ، ولأنه أراد أن يرتب الاعتراضات عليه ، ومنه زيادة الحمل المعترضة وهي قوله ( وأنتم ) يا أهل الميت (حينئذ تنظرون) إليه (ونحن أقرب إليه منكم ) بالقدرة والعلم أو بملائكة الموت (ولكن لا تبصرون) لا بالبصر ولا بالبصيرة<sup>(٦)</sup>." "قيل هذا من أحسن الاستدلال وأبلغه فإنهم إما أن يقروا بأنهم مريبون مملوكون عبيد لمالك

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٢٥٣/٥)

(٢) التفسير الكبير للرازي (٢٠٠/٢٩).

(٣) سورة آل عمران، آية: (١٨٨).

(٤) سورة آل عمران، آية: (١٨٨).

(٥) سورة فاطر، آية: (٤٥).

(٦) غرائب القرآن للنيسابوري (٢٤٥/٦)

قادر متصرف فيهم قاهر أمر ناه أو لا يقرون بذلك فإن أقروا به لزمهم القيام بحقه عليهم وشكره وتعظيمه وإجلاله وأن لا يجعلوا له ندا ولا شريكا وهذا هو الذي جاءهم به رسوله ونزل عليه به كتابه وإن أنكروا ذلك وقالوا إنهم ليسوا بعبيد ولا مملوكين ولا مربوبين وإن الأمر إليهم يردون الأرواح إلى مقارها إذا بلغت الحلقوم فإن المتصرف في نفسه الحاكم على روحه لا يمتنع منه ذلك بخلاف المحكوم عليه المتصرف فيه غير المدبر له سواء الذي هو عبد مملوك من جميع الجهات وهذا الاستدلال لا محيد عنه ولا مدفع له ومن أعطاه حقه من التقرير والبيان انتفع به غاية النفع وانقاد لأجله للعبودية وأذعن ولم يسعه غير التسليم للربوبية والإلهية والإقرار بالعبودية والله ما أحسن جزالة هذه الألفاظ وفصاحتها وبلوغها أقصى مراتب البلاغة والفصاحة والاختصار التام وندائها إلى معناها من أقرب مكان واشتمالها على التوبيخ والتقرير والإلزام ودلائل الربوبية والتوحيد والبعث وفصل النزاع في معرفة الروح وأنها تصعد وتنزل وتنتقل من مكان إلى مكان وما أحسن إعادة لولا ثانيا قبل ذكر الفعل الذي يقتضيه الأول وجعل الحرفين يقتضيان اقتضاء واحدا وذكر الشرطين مع الفصل بينهما بكلمة واحدة هي الرابط بين لولا الأولى والثانية والشرط الأول والثاني وهذا تركيب يستحد العقل والسمع لمعناه ولفظه.

فتضمنت الآيتان تقريراً وتوبيخاً واستدلالاً على أصول الإيمان من وجود الخالق سبحانه وكمال قدرته ونفوذ مشيئته وربوبيته وتصرفه في أرواح عباده حيث لا يقدر على التصرف فيها بشيء وأن أرواحهم بيده يذهب بها إذا شاء ويردها إليهم إذا شاء ويخلي أبدانهم منها تارة ويجمع بينها وبينها تارة وإثبات المعاد وصدق رسوله فيما أخبر به عنه وإثبات ملائكته وتقرير عبودية الخلق وأتى بهذا في صورة تحضيضين وتوبيخين وتقريرين وجوابين وشرطين وجزاءين منتظمة أحسن الانتظام ومتداخلة أحسن التداخل<sup>(١)</sup>.

والآية "تبكىت مبنى على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم إلى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معاشهم"<sup>(٢)</sup>.

(١) التبيان في أقسام القرآن لأبي عبد الله الزرعي الدمشقي (١٤٩/١)

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢٠٠/٨)

فكر ( لولا ) في قوله ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ ﴿٨٦﴾ لطول الفصل وكثرة الاعتراضات وليجمع جوابهما في جواب واحد وهو من بلاغة الإيجاز والإعجاز، فجعل جوابها وجواب التي قبلها ﴿ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٨٧﴾، فترجعونها تأكيد عجزهم، وتقرير البعث في قوله إن كنتم صادقين أنه لا بعث<sup>(١)</sup>.

يقول البقاعي رابطا الآية بقضية البعث "ولما كان الكلام لإثبات هذه الأغراض المهمة قبل جواب ( لولا ) أعادها تأكيدا لها وتبيينا فقال : ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ ﴾ أيها المكذبون بالبعث وغيره ﴿ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ أي مقهورين مملوكين مجريين محاسبين بما عملتم في دار البلاء التي أقامكم فيها أحكم الحاكمين بامتناعكم بأنفسكم عن أن يجازيكم أو يمنع غيركم لكم منه ، وأصل تركيب ( دان ) للدل والانقياد - قاله البيضاوي ﴿ تَرْجِعُونَهَا ﴾ أي الروح إلى ما كانت عليه ﴿ إِنْ كُنْتُمْ ﴾ أي كونا ثابتا ﴿ صَادِقِينَ ﴾ أي في أنكم غير مقهورين على الإحضار على الملك الجبار الذي أقامكم في هذه الدار للابتلاء والاختبار ، وأنه ليس لغيركم أمركم ، وفي تكذيبكم لما يخبر به من الأمور الدنيوية بذل شكركم ، وهذا دليل على أنه لا حياة لمن بلغت روحه الحلقوم أصلا وهذا إلزام لهم بالبعث حاصله أنه سبحانه إن كان لا يعيدكم فليس هو الذي قدر الموت عليكم ، وإن كان لم يقدره فما لكم لا ترفعونه عنه لأنه من الفوادح التي لا يدرك علاجها ، وأنتم تعالجون مقدماته .

وإن قلت : إنه مقدر لا يمكن علاجه ، لزمكم الإقرار بأن البعث مقدر لا يمكن علاجه ، فإن أنكرتم أحدهما فأنكروا الآخر ، وإن أقرتم بأحدهما فأقروا بالآخر ، وإلا فليس إلا العناد ، فإن قلت : نحن لا نعلم أنه قدره فاعلموا أنه لو لم يكن بتقديره لأمكنتم مقاومته وقتا ما لا سيما والنفوس مجبولة على كراهته ، وفي الموتى الحكماء والملوك ، وتقريبه أنكم قد بالغتم في الجحود بآيات الله تعالى وأفعاله في كل شيء إن أرسل إليكم رسولا قلت : ساحر كذاب ، وإن صدقه مرسله بكتاب معجز قلت : سحر وافتراء وأمر عجاب ، وإن رزقكم من الماء الذي

(١) تفسير القرآن للسمعاني (٥/٣٦٢)

به حياة كل شيء مطرا ينعشكم به قلتم : صدق نوء كذا ، على حال مؤد إلى التعطيل والإهمال والعبث ، فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن عند بلوغه الحلقوم<sup>(١)</sup> .

"فقلوه : ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ إيماء إلى أن الغرض من سوق هذا الدليل إبطال إنكارهم البعث الذي هو لحكمة الجزاء، ومن مستتبعات هذا الكلام أن يفيد الإيماء إلى حكمة الموت بالنسبة للإنسان لأنه لتخليص الأرواح من هذه الحياة الزائلة المملوءة باطلا إلى الحياة الأبدية الحق التي تجري فيها أحوال الأرواح على ما يناسب سلوكها في الحياة الدنيا ، كما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾<sup>(٢)</sup> أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ( فيقتضي أنه لولا أنكم مدينون لما انتزعنا الأرواح من أجسادها بعد أن جعلناها فيها ولأبقيناها لأن الروح الإنساني ليس كالروح الحيواني ، فتكون الآية مشتملة على دليلين : أحدهما بحاق التركيب ، والآخر بمستتبعاته التي أوما إليها قوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ . والغرض الأول هو الذي ذيل بقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

والتعبير بالرجوع بقوله ( ترجعوها ) ولم يقل تحيونها تعبيرا بالحياة بيان أن النفس وهي الروح لا تموت بل تنتقل من حال التكليف إلى حال الحساب ومن دار الابتلاء إلى دار الجزاء على الأعمال فتخرج وتنتقل من جسد الابتلاء والتكليف لتركب في جسد الجزاء والحساب الذي يبعثه الله يوم البعث بكيفية مماثلة لا يعلمها إلا هو سبحانه، وأن الفناء إنما هو للأجساد ثم يخلقها الله خلقا مماثلا وخلقها آخر ثم يودع الله فيه أرواحهم للجزاء والحساب وهو ما ذكره الله بقوله قبل ذلك : ﴿ عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ وهو تعبير بليغ يؤكد الحقيقة التي تروم السورة لتقريرها وهي قضية وقوع البعث والمعاد، فبقاء الأرواح وفناء الأجساد دليل إعادة الأرواح لأجسادها ببعثها للجزاء والحساب، وقد أشار الرازي إلى بقاء الأرواح وعدم

(١) نظم الدرر للبقاعي (٤٢٨/٧)

(٢) سورة المؤمنون، آية: (١١٥).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٤٦/٢٧)

موتها عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ ﴾<sup>(١)</sup>  
 ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء...<sup>(٢)</sup>.

ثم لما بين أن الموت كائن والحشر بعده لازم ، بين ما يكون بعد الحشر ليكون ذلك باعثا  
 للمكلف على العمل الصالح ، وزاجرا للمتمرد عن العصيان والكذب<sup>(٣)</sup> فقال الحق سبحانه:

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾<sup>(٨٨)</sup> ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾<sup>(٨٩)</sup> وسيأتي بيان الآيات  
 الكريمات في المبحث التالي.

- 
- (١) سورة آل عمران، آية: (١٦٩).  
 (٢) التفسير الكبير للرازي (٩١/٩).  
 (٣) التفسير الكبير للرازي (٢٠٢/٢٩).

### المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع

ينكر المولى الحق سبحانه على الكفار المنكرين لكرامة كتابه الكريم وحقيقته وصدقه وملائنتهم الباطل وأهله، والإعراض عما فيه من الحق والهدى إلى الباطل والضلال، والاستكبار عن ما فيه من حقائق الدلائل على القدرة في الخلق والإحياء والإماتة والرزق والمطر وأسباب المعاش والتي تثبت حقيقة وقوع البعث والنشور للجزاء والحساب، واستبدال شكر المنعم على الخير والرزق والمطر بالجحود ونكران الفضل وصرفه في غير موضعه ومستحقه؛ حتى صار المطر ينسب للكوكب والنوء وأهمل المؤثر والفاعل في إنزال المطر بل والخالق للجميع من كوكب ومطر.

ثم ساق المولى بعد هذا الاستفهام الإنكاري التوبيخي بيان ضعفهم وعجزهم مع بيان قدرته عليهم وإمكانه منهم؛ وذلك من خلال بيان حالة الاحتضار التي كتبها الله بقدرته وحكمته على كل مخلوق والتي لن ينجوا منها احد كائنا من كان مهما بلغت قدرته وعظم شأنه، فتحداهم بإعادة الروح إلى الحياة ليس قبل خروجها تماما بل حتى وهي في حال النزع والاحتضار ووصولها للحلوقوم وذلك بعد أن صور حالة احدهم وهو في حالة الاحتضار ونزع الروح وأهله وأصفيائه جلوس حوله ولا يملكون نفعه بدفع الموت عنه، بل وأبان مع ضعف قدرتهم ضعف وقصر علمهم في الإحاطة بما يجري للمحتضر من كيفية نزع روحه ومن هم مكلفون بذلك العمل وأن قدرة الله وسعة علمه أمكنتنا القرب من المحتضر أكثر من أهله وذويه وهم لا يشعرون، ثم يؤكد التحدي بحضهم على الرجوع للحياة الدنيا وفيه تأكيد عجزهم مع تقرير قدرته على الإماتة التي تقتضي القدرة على الإعادة والبعث والمعاد.

### المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه آيات الموضوع

- ١ - توبيخ ونكارة الملاينة للباطل على حساب الحق.
- ٢ - إعظام حق القرآن وهو أكمل وأكرم وأعلى وأجل حديث فهو كلام الخالق العظيم.
- ٣ - العقل والفطرة السليمة وقوانين وشرائع البشر والسنن الكونية تقتضي رد النعمة لصاحبها ونسبتها له.
- ٤ - "بيان أن ما أصاب العباد من خير فلا ينبغي أن يروه من قبل الوسائط التي جرت العادة بأن تكن أسبابا بل ينبغي أن يروه من قبل الله تعالى ثم يقابلونه بشكر إن كان نعمة أو صبر إن كان مكروها تعبدا له وتذلالا<sup>(١)</sup>".
- ٥ - بيان أن الخالق هو الله وأنه المتصرف في الكون وأنه المحيي ينفخ الروح في الأرحام وهو المميت ينزع الروح من البدن<sup>(٢)</sup>.
- ٦ - التحدي من الله لبيان القدرة المطلقة له سبحانه في خلقه وإظهار العجز المطلق لخلقه في جلب النفع لهم ودفع الضر عنهم لتقرير قدرته على البعث والإحياء والإماتة والإعادة.
- ٧ - في التعبير بقوله ( إن كنتم صادقين ) الإشارة إلى إثبات كذبهم فيما ادعوا من استحالة البعث والنشور واستدلالهم باستحالة بعث آبائهم الأولين من خلال عجزهم عن كسب التحدي.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٨/١٧)

(٢) تفسير سورة الواقعة صور من الإعجاز البياني وإحكام المعاني للدكتور محمد أبو شهبه (٨٨/١)



## المبحث الثاني

أحوال الناس بعد الموت ومآلهم: ويشمل الآيات ( ٨٨ - ٩٦ )

وفيه خمسة مطالب: -

المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة.

المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والموضوع السابق.

المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع.

المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه آيات الموضوع.

\* \* \* \* \*

### المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة

ذكر المولى سبحانه في أول السورة وقوع الواقعة إثباتا للبعث والنشور، ثم ساق الأدلة على إمكانية الإعادة بعد الموت وعدم استحالة ذلك من خلال إثبات قدرته سبحانه في الخلق والحياة وإيجاد أسباب المعاش فيها، وحتى يؤكد تلك القضية بين أن من مقتضيات الحكمة في بعث الناس بعد موتهم هو جزاؤهم على أعمالهم من خلال ذكر مآل كل فريق من الأزواج الثلاثة التي ذكرها في السورة الكريمة، ففي ذكر الجزاء على الأعمال وتأكيده بأنه حق اليقين تأكيد للحقيقة التي يستبعدونها وهي البعث ليكون باعثا لهم على التفكير وإعادة النظر في استبعادهم لأمر البعث والنشور، وأن أمر البعث أمر حتمي للجزاء على الأعمال وإن جحدوه وأنكروه عنادا واستكبارا، وهنا يؤكد ما ابتدئت به السورة الكريمة من تأكيد حقيقة البعث بذكر أحوال الناس يوم القيامة وانقسامهم حسب أعمالهم فذكر أن تلك الأقسام هي التي سيكون في أحدها من حضرته الوفاة فخرجت روحه فذكرها موجزة تأكيدا وتذكيرا.

## المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والموضوع السابق

بعد أن ذكر موت الإنسان ومصيره المحتوم ناسب بيان مآله بعد موته ليربط حقيقة موته التي يؤمنون بها بالحقيقة التي ينكرونها ويستبعدونها وهي البعث للجزاء على الأعمال. ويتجلى الربط بين الأمرين في أن واقع الإنسان المحسوس المشاهد عند موته دليل على صدق وقوع ما أخبر عنه في الحياة الثانية بعد الموت بل وقوعه بدهاءة ومن المسلمات لما في الحياة الأولى من الأخطاء ونقص الحقوق الذي يستوجب استيفائها في حياة ثانية عادلة ليس فيها ظلم ولا جور، وفيه تنبيه للغافل بالنظر فيما حوله من واقع يدل دلالة واضحة على حقيقة وصدق وقوع الحياة الثانية.

فتأتي الخاتمة لتربط ربطا وثيقا في التذكير بين المحسوس والغيب، وذلك بانتهاء حياة الناس بالموت وهي من المسلمات لينتقلوا للحياة التي أخبر عنها في القسم والمقطع الأول من السورة وهي الجزاء على الأعمال من ثواب وعقاب، وذلك في ربط بديع بين الحياتين حياة العمل التي يؤمنون بها وحياة الجزاء التي يستبعدونها للوصول للإقناع العقلي وإثبات الحجة العقلية على حقيقة ما أخبر عنه من أمر البعث والمعاد للجزاء.

## المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع

قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ .

قوله سبحانه: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾

"ذكر الله تعالى في هذه الآيات حال الأصناف الثلاثة عند الموت ، وهي الأصناف التي ذكرهم في أول السورة<sup>(١)</sup>"، إلا أن هذه الأصناف هي وصف مآل الإنسان بعد موته وتلك وصف لمآله بعد الحساب للجزاء الأخير .

والمقام مقام إعلان النتائج بعد انتهاء فترة الامتحان التي كانت في الدنيا، ولن يخرج أحد من أحد الأصناف التي ذكرها الله وفصلها في مطلع السورة الكريمة، ولذلك كان الحديث عن الأصناف الثلاثة ومآل كل صنف حديثا موجزا مقتضبا، ليربط بين نتيجة امتحان كل صنف وما ذكر سابقا من تفصيل لعاقبته في دار الجزاء يوم البعث، فشرع في بيان مآل كل إنسان بعد موته ونتيجة حياته التي قضى فيها الامتحان ومنزلته بحسب عمله فقال الحق سبحانه:

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

هذا وصف لنتيجة الصنف الأول من أصناف الناس الثلاثة، وفي الوصف بالقرب ربط بما سبق ووصف به السابقين في مطلع السورة بأنهم مقربون، وفيه معنى زائد على الفوز بالنتيجة العظمى إذ أنه لا يحظى بالقرب من صاحب الجائزة إلا الخلاء فهم لم يفوزوا فحسب بل هم من الأصفياء عند صاحب الجائزة نسأل الله من فضله العظيم.

"فحين بين أن لا قدرة لهم على رجوع الحياة والنفس إلى البدن وأنهم مجزيون في دار الإقامة

(١) تفسير القرآن للسمعي (٥/٣٦٢)

فصل حال المكلف بعد الموت قائلاً ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ ﴾ المتوفى ﴿ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ أي من السابقين من الأزواج الثلاثة<sup>(١)</sup>.

فبدأ بذكر عاقبة الصنف الأول من الأصناف الثلاثة وهم المقربون الذين وصفهم الله في صدر السورة بالسابقين، فبين عاقبة المقرب وما يحصل له عند موته وفي قبره من تبشير بالفوز والنعيم قبل دخول الجنة، ومما يدل على أن هذا النعيم ليس المقصود منه دخول الجنة هو الإشارة إلى مآله بلا إسهاب في الوصف كما أسهب في صدر السورة فذكر مآله بقوله:

### ﴿ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ نَعِيمٍ ﴾ ٨٩

بين سبحانه وتعالى نزل المقرب الذي أعد له بعد خروج روحه من جسده، والفاء للتعقيب، "وفاء التعقيب تدل على أن هذا الروح والريحان والجنة حاصل عقيب الموت"<sup>(٢)</sup>.

والروح والريحان وصف لما يقابل به من مقدمات النعيم الذي سيلحقه يوم البعث ويشير به عند موته، والروح يدل على الريح الطيبة والريحان يدل على الرائحة الزكية ثم جنة النعيم ليشير بذلك إلى إحاطة النعيم بهم ظاهراً وباطناً.

وجاءت ﴿ وَجَنَّتٌ نَعِيمٍ ﴾ على الأفراد والتكثير بينما جاءت في مطلع السورة بالجمع والتعريف بالألف واللام؛ وذلك لأن الجنة هنا مضافة إلى مفرد وهو المقرب فناسب أفراد الجنة لمناسبة ذكر المقرب على الأفراد، فلكل واحد من المقربين جنة نعيم، بينما جاءت على الجمع لمناسبة الجمع التي أضيفت إليه في ذكر السابقين في مطلع السورة، كما لم تعرف الجنة هنا لعدم تعريف المقرب بـ ( من ) التي للتبعيض في قوله ( من المقربين )، بينما ناسب تعريف الجنات في مطلع السورة لمناسبة ذكر السابقين معرفاً بالألف واللام ومؤكداً بتكرار اللفظ<sup>(٣)</sup>.

"ولما كان جنان الدنيا قد يكون فيها نكد، أضاف هذه الجنة إلى المراد بهذه الجنان إعلاماً بأنها لا تنفك عنه فقال: ( نعيم ) أي ليس فيها غيره بل هي مقصورة عليه<sup>(٤)</sup>"، "أي ذات

(١) غرائب القرآن للنيسابوري (٢٣٢/٦)

(٢) التفسير الكبير للرازي (٩٤/٩)

(٣) ينظر: التفسير الكبير للرازي (١٤٧/٢٩، ١٤٨).

(٤) نظم الدرر للبقاعي (٤٢٩/٧-٤٣٠)

تتعم فالإضافة لامية أو لأدنى ملابسة وهذا إشارة إلى مكان المقربين بحيث يلزم منه أن يكونوا أصحاب نعيم<sup>(١)</sup>."

يقول الطاهر بن عاشور: "فلما اقتضى الكلام بحذافيه أن الإنسان صاحب الروح صائر إلى الجزاء، فرع عليه إجمال أحوال الجزاء في مراتب الناس إجمالاً لما سبق تفصيله بقوله: ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ (٧) إلى قوله: ﴿ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ (٤٤) ليكون هذا فذلحة للسورة وردا لعجزها على صدرها، فضمير ( إن كان ) عائد إلى ما عاد إليه ضمير ( إليه ) من قوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴾، والمقربون هم السابقون الذين تقدم ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (١١) وأصحاب اليمين قد تقدم والمكذبون الضالون : هم أصحاب الشمال المتقدم ذكرهم .

وقد ذكر لكل صنف من هؤلاء جزاء لم يذكر له فيما تقدم ليضم إلى ما أعد له فيما تقدم على طريقة القرآن في توزيع القصة<sup>(٢)</sup>، ويقول في ذكر الريحان قبل الجنة "فتخصيصه بالذكر قبل ذكر الجنة التي تحتوي عليه إيماء إلى كرامتهم عند الله ، مثل قوله : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٢٤)<sup>(٣)</sup>، وجملة ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ جواب (أما)<sup>(٤)</sup>."

ومنزل المقرب هذا بعد موته في قبره وقبل يوم القيامة يدل عليه ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم موافقا قول الله الكريم في أن العبد المؤمن في قبره يفتح له بابا من الجنة فيأتيه من روحها، روى الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار ، فانتبهينا إلى القبر ولَمَّا يُلْحَدُ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله ، وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض،

(١) روح المعاني للألوسي (١٦٠/٢٧)

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٤٧/٢٧)

(٣) سورة الرعد، آية: (٢٣، ٢٤).

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٤٨/٢٧)

فرفع رأسه فقال : "استعيذوا بالله من عذاب القبر" - مرتين أو ثلاثا - ثم ذكر الحديث وفيه -  
 "فِينَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ : أَنْ صَدَقَ عَبْدِي ، فَافْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وافتحوا  
 له بابا إلى الجنة . قال : فيأتيه من رُوحِها وطيبها ، ويُفَسِّحُ له في قبره مَدَّ بَصَرِهِ" الحديث.. (١)  
 ثم ذكر مآل المتوفى الأقل عملا من السابقين المقربين وهو الصنف الثاني من أهل الجنة وهم  
 أصحاب اليمين فقال الحق سبحانه:

﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿١٠﴾ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿١١﴾ ﴾

وهذا وصف لنتيجة الصنف الثاني من أصناف الناس الثلاثة في يوم البعث، وهم مع  
 فوزهم إلا أنهم دون المنزلة الأولى الذين هم المقربون من الرحمن.  
 فذكر مآل الصنف الثاني من الناس عند موت أحدهم، ووصفه بما وصف به الصنف الثاني  
 في صدر السورة الكريمة من كونه من أصحاب اليمين وهو الموحد (٢) الذي مات على التوحيد  
 ورأى بعض المفسرين أن أعماله لم تبلغ أعمال المقربين ولم يكن سابقا بما فبطأت به أعماله عن  
 اللحاق بالسابقين المقربين، ومنهم من قال بأنهم أهل التوحيد الذين لم يسلموا من بعض  
 المعاصي وقد سبق الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن نعيم أصحاب اليمين، وألمح إلى مكانته  
 بقوله:

﴿ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿١١﴾ ﴾

واختلف أهل التأويل في هل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أم لصاحب اليمين، وإن  
 كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهل هو دعاء منهم للنبي صلى الله عليه وسلم أو بمعنى التسلية  
 للنبي صلى الله عليه وسلم والطمأنينة لمآلهم، وإن كان الخطاب لصاحب اليمين فهل هو عند  
 موته تبشره الملائكة بالسلام أو تبشره بسلام الله له أو في قبره أو عند بعثته ومنهم من قال  
 بحصول السلام في المواطن الثلاثة كالقرطي، ثم هل هو بمعنى الخطاب أم كناية عن المكانة التي

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، برقم: (٤٧٥٣)، (٤/٢٣٩)،  
 والإمام أحمد في مسنده: برقم: (١٨٥٣٤)، (٣٠/٤٩٩). قال الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٣٤٦):  
 (صحيح).

(٢) حقائق التفسير للسلمي (٢/٣٠٣-٣٠٤)

يكرم الله صاحب اليمين بها <sup>(١)</sup>، وهو معنى حسن فالسلام "عبارة تقتضي جملة مدح وصفة تخلص وحصول في عال من المراتب ليس في أمرهم إلا السلام والنجاة من العذاب وهذا كما تقول في مدح رجل اما فلان فناهيك به أو فحسبك امره فهذا يقتضي جملة غير مفضلة من مدحه <sup>(٢)</sup>".

وقيل "إخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنده اللام لا حكاية إنشاء سلام بعضهم على بعض وإلا لقليل عليك والالتفات إلى خطاب كل واحد منهم للتشريف <sup>(٣)</sup>".

"والسلام : اسم للسلامة من المكروه ، ويطلق على التحية ، واللام في قوله : ( لك ) للاختصاص . والكلام إجمال للتنويه بهم وعلو مرتبتهم وخلاصهم من المكدرات لتذهب نفس السامع كل مذهب، ناهيك به ، وحسبك به ، و ( من ) ابتدائية ، واللفظ جرى مجرى المثل فطوي منه بعضه ، وأصله : فلهم السلامة سلامة تسر من بلغه حديثها .

﴿ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أي أنت من أصحاب اليمين ، و ( من ) على هذا تبعيضية ، فهي بشارة للمخاطب عند البعث على نحو قوله تعالى : ﴿ وَالْمَلَكُ يُدْخِلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ ﴿ ٢٣ ﴾ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿ ٢٤ ﴾ وقيل : الكاف خطاب لمن كان من أصحاب اليمين على طريقة الالتفات . ومقتضى الظاهر أن يقال : فسلام له ، فعدل إلى الخطاب لاستحضار تلك الحالة الشريفة ، أي فيسلم عليه أصحاب

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٣١٩، جامع البيان للطبري ١٤/١٠١، إعراب القرآن للنحاس ٤/٣٤٧، بحر العلوم للسمرقندي ٣/٣٧٧، الكشف والبيان للثعلبي ٩/٢٢٥، النكت والعيون للماوردي ٥/٤٦٧، الوجيز للواحدي ٢/١٠٦٤، تفسير القرآن العزيز للسمعي ٥/٣٦٣، تفسير البغوي ٤/٢٩١، الكشاف للزخشري ٤/٤٦٩، المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٢٥٤، زاد المسير لابن الجوزي ٨/١٥٨، لباب التأويل للخازن ٧/٢٨، البحر المحيط لأبي حيان ٨/٢١٥، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٣٠٢، التبيان في أقسام القرآن لابن القيم الجوزية ١/١٥١، فتح القدير للشوكاني ٥/١٦٢.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٥/٢٥٤)

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٨/٢٠٢)

(٤) سورة الرعد، آية: (٢٣، ٢٤).



اليمن على نحو قوله تعالى : ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾<sup>(١)</sup> أي يبادرونه بالسلام ، وهذا كناية عن كونه من أهل منزلتهم ، و ( من ) على هذا ابتدائية فهذه محامل لهذه الآية يستخلص من مجموعها معنى الرفعة والكرامة<sup>(٢)</sup> .

وعند التأمل في إضافة السلام للمخاطب فقد يكون المقصود أنهم بلغوا تلك المنزلة بسبب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لهم، ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع في أقوام من أمته فيدخلون الجنة ابتداء بلا عذاب ويشفع في آخرين لإخراجهم من النار، أو أن يكون المقصود أنهم صاروا من أصحاب اليمن بسبب كثرة سلامهم عليك فاستحقوا شفاعتك وقد ورد في استحقاق شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لمن صلى وسلم عليه صلى الله عليه وسلم في أحاديث متعددة نحو الصلاة والسلام عليه بعد الأذان وفي الصباح عشر مرات ومثلها في المساء وغيرها من الأحاديث المرغبة في ذلك والمقتضية لشفاعته صلى الله عليه وسلم، مع إشارة الرازي وبعض المفسرين إلى أن المعنى ضد ذلك وهو أن معنى فسلام لك أي أنت سالم من شفاعتهم<sup>(٣)</sup> ، والقول بذلك فيه تكلف ومغايرة للحقيقة إذ أن وصفه بالسلامة من الشفاعة يدل على أن الشفاعة فيها كلفة عليه أو أنه مرغم عليها فلذلك سلم منها وهذا ليس بصحيح فالشفاعة تشريف للشافع وكرامة للمشفوع، وهو الذي يطلبها ويسعى فيها لأتمته عليه الصلاة والسلام يؤكد ذلك ما ثبت عنه أنه قال: "لكل نبي دعوة فأريد إن شاء الله أن أحتج دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة"<sup>(٤)</sup> والله أعلم بحقائق كلامه.

ثم ذكر الصنف الثالث المتوفى من الناس ووصفه بالكذب والضلال فقال الحق سبحانه:

﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴿١٢﴾ فَتَزَلُّ مِنْ حَمِيمٍ ﴿١٣﴾ وَتَصَلِيَةٌ جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾

وهذا وصف لنتيجة الصنف الثالث من أصناف الناس الثلاثة في يوم البعث، وبيان لمآله

(١) سورة يونس، آية: (١٠).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧/٣٤٨-٣٤٩).

(٣) التفسير الكبير للرازي (٢٩/٢٠٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب ، باب، برقم: (٦٣٠٤)، (٨/٦٧). ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان،

باب احتباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأتمته، برقم: (٣٣٤)، (١/١٨٨).

عند الموت، وهم أصحاب الشمال ووصفه هنا بالمكذب الضال، فهو مكذب بالبعث والنشور وبالقرآن وما جاء به من حق وبذلك ضل عن الهدى والطريق المستقيم فصار من الضالين. وفي وصف أهل هذا الصنف بأعمالهم من تكذيب وضلال فيه ذم لهم وبيان لما كانوا عليه من سوء العمل وما كان سببا في سوء مآلهم، ولأن المقام مقام إيجاز وذكر خلاصة حياتهم ونتيجة امتحانهم فلم يصفهم بأهم من أصحاب الشمال.

"فلما ذكر الصنفين الناجيين ، أتبعهما الهالكين جامعا لهم في صنف واحد لأن من أريدت له السعادة يكفيه ذلك ، ومن ختم بشقائه لا ينفعه ذلك الإغلاظ والإكثار فقال ( وأما إن كان ) أي ذلك الذي أخذناه من أصحاب المشأمة وأنتم حوله تنقطع أكبادكم له ولا تقدرين له على شيء أصلا ( من المكذبين )."

ولما كان المكذب تارة يكون معاندا ، وتارة يكون جاهلا مقصرا ، قال : ( الضالين ) أي أصحاب الشمال الذين وجهوا وجهة هدى فزاغوا عنها لتهاونهم في البعث<sup>(١)</sup>."

وقدم وصف التكذيب على الضلال هنا بينما قدم الضلال على التكذيب في قوله ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ ﴾<sup>(٥١)</sup> لأن المقام هناك لازال مقام موعظة فبين أن سبب تكذيبهم هو ما انطوت عليه أنفسهم من اتباع الضلال مع معرفتهم بالحق ولذلك كذبوا فكان التكذيب ناشئ عن ضلال معتقدهم ففيه حث لهم على النظر في سبب تكذيبهم، وأما عند موتهم فلأنه لا سبيل لهم للرجعة للتصديق بين أنه قد كتب عليهم الضلال والخسران بسبب تكذيبهم وأن الندم والتمني للرجوع عن التكذيب فات أوانه وانقضى وقته وقد سبق بيان ذلك عند قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ ﴾<sup>(٥١)</sup>، يقول الطاهر بن عاشور: "فقدم هنا وصف التكذيب على وصف الضلال عكس ما تقدم في قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ ﴾، لمراعاة سبب ما نالهم من العذاب وهو التكذيب ، لأن الكلام هنا على عذاب قد حان حينه وفات وقت الحذر منه فبين سبب عذابهم وذكروا بالذي أوقعهم في سببه ليحصل لهم ألم التندم<sup>(٢)</sup>".

(١) نظم الدرر للبقاعي (٤٣٠/٧)

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٤٩/٢٧) وذكر الألوسي في معنى التقديم والتأخير في اللفظين عدة أمور

ثم بين مآلهم ونتيجة عملهم فقال الحق سبحانه:

﴿ فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ ٩٣ وَتَصَلِيَةً جَحِيمٍ ٩٤ ﴾

"النزل : ما يقدم للضيف من القرى ، وإطلاقه هنا تهكم ، كما تقدم قريبا في هذه السورة

كقوله تعالى: ﴿ هَذَا نَزَلْنَاهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ٥٦ ﴾<sup>(١)</sup> .

والنزل وصفه الله أنه من حميم، وقد سبق بيان الحميم أنه الماء الحار الذي أغلي حتى انتهى حره وهذا وصف عذابه الداخلي، وكل ذلك عند موت المكذب الضال قبل يوم البعث تقدمه له وبيانا لما سيكون فيه من نكال وعذاب، ولذلك عبر بالتصليّة للجحيم وهذا عذابه الخارجي وهو "ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها"<sup>(٢)</sup>، وهو نحو قول الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ

الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلِّيٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾<sup>(٣)</sup> ، والتصليّة التفعلة من صلاه الله النار فهو يصليه تصليّة إذا أحرقه بها<sup>(٤)</sup>، فهو ما يفتح الله عليه من النار فيأتيه من حرها وجحيمها ما يحرقه وهو في قبره كما ورد بذلك الخبر .

وفي ذكر التصليّة بالجحيم بعد ذكر الحميم بيان ما يجمع الله عليه من العذاب الباطن والظاهر، فالماء الحار يحرق ويلهب داخله وتصليّة الجحيم تحرق وتلهب خارجه فيجتمع عليه العذاب الظاهر والباطن، وفيه دلالة على أن العذاب يحيط به إحاطة تامة والعياذ بالله.

☞ =

للاستزادة منها يرجع إليه في تفسيره روح المعاني (١٦١/٢٧)

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٤٩/٢٧)

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢٠٢/٨)

(٣) سورة الإسراء، آية: (١٨).

(٤) جامع البيان للطبري (٢١٤/٢٧)

"ولما كمل تقسيم أحوالهم وانقضى الخبر بذلك أكد تعالى الأخبار بأن قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مخاطبة تدخل معه أمته فيها<sup>(١)</sup>" فقال الحق سبحانه:

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ ﴾

"قال أهل اليقين : للعلم ثلاث مراتب : أولها علم اليقين وهو مرتبة البرهان ، وثانيها عين اليقين وهو أن يرى المعلوم عيانا فليس الخبر كالمعاينة ، وثالثها حق اليقين وهو أن يصير العالم والمعلوم والعلم واحد .

ولعله لا يعرف حق هذه المرتبة إلا من وصل إليها كما أن طعم العسل لا يعرفه إلا من ذاقه بشرط أن لا يكون مزاجه ومذاقه فاسدين<sup>(٢)</sup> .

"جعل الحق مبينا لليقين ، أي الثابت المتيقن<sup>(٣)</sup>" ، "فرغ شأنه عن درجة الظن والعلم إلى اليقين وعن درجة اليقين إلى حقه<sup>(٤)</sup>" .

"فلما تم ما أريد إثبات البعث على هذا الوجه المحكم البين ، وكانوا مع البيان يكذبون به ، لفت الخطاب عنهم إلى أكمل الخلق ، وأكد تسميها لهم فقال سائقا له مساق النتيجة : ( إن هذا ) أي الذي ذكر في هذه السورة من أمر البعث الذي كذبوا به في قولهم : (إننا لمبعوثون ) ومن قيام الأدلة عليه ، ولما كان من الظهور في حد لا يساويه فيه غيره زاد في التأكيد على وجه التخصيص فقال: ﴿ هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ أي لكونه لما عليه من الأدلة القطعية المشاهدة كأنه مشاهد مباشر، قال الأصبهاني<sup>(٥)</sup>: قال قتادة في هذه الآية: إن الله عز وجل ليس تاركا أحدا من الناس حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن، فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك،

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٢٥٤/٥)

(٢) غرائب القرآن للنيساوري (٢٤٧/٦)

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٢١٥/٨)

(٤) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم الجوزية (١٥١/١)

(٥) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرب بالإمام الغزالي، وتوفي سنة: (٥٠٢هـ)، من كتبه: (محاضرات الأدباء)، و (الذريعة إلى مكارم الشريعة) و (الأخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) و (جامع التفاسير)، و(المفردات في غريب القرآن) و(حلّ متشابهات القرآن) وغيرها الأعلام للزركلي (٢٥٥ / ٢)

وأما المنافق فأيقن يوم القيامة حيث لا ينفعه - انتهى<sup>(١)</sup>.

والآية "تذييل لجميع ما اشتملت عليه السورة من المعاني المثبتة... وقد اشتمل هذا التذييل على أربعة مؤكدات وهي : ( إن ) ، ولام الابتداء ، وضمير الفصل ، وإضافة شبه المترادفين<sup>(٢)</sup>" ، أقول بل التأكيدات أكثر فالعدول عن ربط حرف التحقيق ( إن ) بهاء الضمير نحو إنه إلى اسم الإشارة ( هذا ) يعد مؤكداً، والتعريف بالألف واللام في اليقين مؤكداً آخر، واختيار لفظ حق مؤكداً كذلك فهذه ثلاثة وتلك أربعة فاجتمعت في الآية سبعة مؤكدات في إعجاز بياني بديع فسبحان المبدع القدير. هذا وقد تكرر في السورة التأكيد بلام التأكيد في أكثر من موضع، فوردت في قوله ( لوقعتها ) وقوله ( لمجموعون ) وهي في مقابل لام التأكيد من قول منكري البعث في قولهم ( أءنا لمبعوثون ) ووردت في قوله ( لآكلون ) وقوله ( لجعلناه حطاما ) وقوله ( لقسم ) وقوله ( لقرآن ) وهنا ﴿هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾<sup>(٣)</sup>.

"ولما تقدم ذكر الأقسام الثلاثة مسهبا الكلام فيهم ، أمره تعالى بتنزيهه عن ما لا يليق به من الصفات . ولما أعاد التقسيم موجزا الكلام فيه ، أمره أيضا بتنزيهه وتسيححه ، والإقبال على عبادة ربه ، والإعراض عن أقوال الكفرة المنكرين للبعث والحساب والجزاء"<sup>(٣)</sup> فقال الحق سبحانه:

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٤)</sup>

"عبارة تقتضي الأمر بالإعراض عن أقوال الكفار وسائر أمور الدنيا المختصة بها وبالإقبال على أمور الآخرة وعبادة الله تعالى والدعاء إليه"<sup>(٤)</sup> ، "وتفريع على تحقيق أن ما ذكر هو اليقين حقا فإن ما ذكر يشتمل على عظيم صفات الله وبديع صنعه وحكمته وعدله ، ويبشر النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بمراتب من الشرف والسلامة على مقادير درجاتهم وبنعمة النجاة مما يصير إليه المشركون من سوء العاقبة ، فلا جرم كان حقيقا بأن يؤمر بتسيح الله تسيحا

(١) نظم الدرر للبقاعي (٤٣٠/٧-٤٣١)

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٥٠/٢٧)

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٢١٥/٨)

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٢٥٥/٥)

استحققه لعظمته ، والتسبيح ثناء ، فهو يتضمن حمداً لنعمته وما هدى إليه من طرق الخير<sup>(١)</sup> .  
 "وهذا الذي تضمنته هذه الآية ذكره الله جل وعلا في آخر سورة الحاقة في قوله في وصفه  
 للقرآن ﴿ لَحْسَرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ٥٠ ﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ٥١ ﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٥٢ ﴾<sup>(٢)</sup> ، والحق  
 هو اليقين<sup>(٣)</sup> ، بل السورتان متشابهتان كثيراً في قضاياهما فالحاقة تعني إثبات البعث وهو اسم  
 من أسماء يوم القيامة كالواقعة، بل وذكر فيها اسم الواقعة يقول سبحانه: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ  
 نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ١٣ ﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ١٤ ﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١٥ ﴾<sup>(٤)</sup>  
 والحاقة من الحقيقة والواقعة من الوقوع فهما اسمان يجتمعان في المعنى بحقيقة وقوع البعث، ثم  
 ذكر مآل أصحاب اليمين ومآل أصحاب الشمال وهنا فصل أحوال الناس إلى ثلاثة أصناف،  
 ثم أقسم بصدق القرآن في قوله: ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ٣٨ ﴾ وَمَا لَا تُبْصَرُونَ ٣٩ ﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ  
 كَرِيمٍ ٤٠ ﴾<sup>(٥)</sup> الآيات، كما أقسم هنا على شرف وكرامة وصدق القرآن وأنه منزل من عند  
 رب العالمين، وأنكر على المكذابين به كما أنكر هنا، ثم ختم بما ختم به هذه السورة الكريمة من  
 تأكيد أنه حق اليقين والأمر بتنزيهه الله بالتسبيح، وبالله التوفيق سبحانه.

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٣٥١/٢٧)

(٢) سورة الحاقة، آية: (٥٠-٥٢).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٢٥٩/٧).

(٤) سورة الحاقة ، آية: (١٣-١٥).

(٥) سورة الحاقة، آية: (٣٨-٤٠).

### المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع

بعد أن ذكر المولى في مطلع السورة وقوع الواقعة وأهوالها وانقسام الناس إلى ثلاثة أقسام وبين مآل وعاقبة كل قسم حسب عمله، ثم ذكر الأدلة العقلية القاطعة على قدرته على الإماتة والإحياء والبعث، ناسب ختم السورة بذكر حال الإنسان عند موته وما سيؤول إليه من عاقبة بعد موته حسب عمله، فذكر أن الناس عند موتهم كذلك ثلاثة أصناف، مقربون وأصحاب يمين ومكذبون ضالون، فذكر عاقبة الصنف الأول عند موت أحدهم ووصفهم بالمقربين وهم السابقون الذين ذكرهم الله في مطلع السورة الكريمة، وأنهم يقابلون عند موتهم بروح الجنة الدال على الريح الطيبة المفرحة وبالريحان الدال على الرائحة الزكية وبقية النعيم التي يبشرون بها:

﴿وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ثم ذكر الصنف الثاني من الناس عند موت أحدهم، فبين إن كان المتوفى من أصحاب الأعمال الصالحة ولم يكن مسابقا كما هو الصنف السابق فإن له نعيما يكافئ عمله، وأنه في سلام وطمأنينة بما كان عليه من صالح العمل وذكر لله عز وجل وسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر الصنف الثالث من الناس عند موت أحدهم، فبين إن كان المتوفى ممن كذب فضل عن الحق وختم له بالضلال فإن له عاقبة تناسب عمله ونزلا من حميم جزاء وفاقا، ثم بعد نزل الحميم يصلى الجحيم الذي سيكون مقره يوم البعث وبئس المصير، وفي ذكر هذه الأصناف الثلاثة بعد ذكر حالة الاحتضار للميت موعظة وتذكرة لمن أراد أن ينتفع بها ولذلك ختم السورة الكريمة بتأكيد ما أخبر عنه في هذه السورة وما بينه من أدلة قاطعة تدل على قدرة الله عز وجل على البعث والمعاد للجزاء والحساب وأكد ذلك بأعلى درجات التأكيد وهي التي يؤمن بها القلب وتكون بعد مرحلة السماع والمشاهدة ووصفها بحق اليقين، ثم أمر بالتسبيح الذي فيه تنزيه لله على ما لا يليق بعظمته وتعظيما له سبحانه بما يستحق من العظمة والكمال والامر بالتسبيح دعوة للعبادة والتوحيد وكثرة ذكر الله جل وعلا.

(١) سورة فصلت، آية: (٣٠).

### المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه آيات الموضوع

- ١ - ربط الإنسان عند موته بمآله من أبلغ المواعظ والزواجر وتقرير الحق.
- ٢ - إعادة ذكر الأصناف الثلاثة ليس فيه تكرار فتلك التصنيفات الثلاثة مآل كل صنف في يوم البعث وهنا مآل كل واحد عند موته قبل يوم البعث ولذلك ذكر التصنيف هناك بصيغة الجمع للناس كلهم ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ وذكر التصنيف هنا بصيغة المفرد لكل متوفى.
- ٣ - المقرب وصف للسابق فيما يقربه من الله تعالى، وفي وصف نعيمه بالروح والريحان ثم جنة نعيم فيه من بلاغة الترغيب الشيء العظيم.
- ٤ - الروح والريحان من الكلمات المحبة لروح الإنسان وفي ذكرها مع الجنة وإضافة النعيم غاية ما يتمناه المرء ويسعى إليه.
- ٥ - لم يكن هناك وصف لأصحاب اليمين سوى هذا الوصف وهو الأكمل في حقهم وبيان مرتبتهم التي هي دون المقربين ولذلك أخرج ذكرهم بعد المقربين.
- ٦ - في ذكر السلام معاني عظيمة تدل على الكرامة والمكانة الرفيعة والسلامة من كل حسارة.
- ٧ - تأخير ذكر الصنف الثالث لحقارتهم ومهانتهم وأنهم مؤخرون في الدنيا وعند الموت ويوم البعث.
- ٨ - في وصف الصنف الثالث بالمكذب الضال دليل انتهاء وقت التوبة والرجوع فقد كتب عليه أنه من الضالين.
- ٩ - وصف المكذب والضلال من الأوصاف البغيضة للنفوس واستحقت ذلك لأنها كذبت الحق الذي جاء به الرسول من عند الله فكتب الله عليها الضلال.
- ١٠ - عاقبة المكذب الضال نزل الحميم عقابا له لسوء فعله وصنيعه وهو دليل على ما سيلاقيه بعد ذلك من عذاب أشد وأنكى.
- ١١ - للمكذب الضال جحيما يصلها فتحرقه وهو ما سيكون له مقرا في نار جهنم.



- ١٢ - التأكيد من الله العلي العظيم على صدق وحق ما جاء من خبر ودلائل ووصف للقرآن وحال الإنسان عند موته ومآله وأكده بأبلغ التأكيدات وأرفعها لعل الحق يبلغ في نفوس المنكرين الجاحدين فنعته بحق اليقين وهو ما يدل على محبة الله لهداية الناس.
- ١٣ - التسبيح من أبلغ معاني الدعوة للتوحيد والعبادة وفيه التنزيه لله بأعظم الجمال والكمال.

# الخاتمة

## الخاتمة

**وفيه: -**

**الأول: نتائج البحث.** 

**الثاني: توصيات الباحث.** 

## نتائج البحث

في ختام هذه الدراسة لهذه السورة الكريمة من حيث التناسق الموضوعي فقد توصلت لعدة

أمور وسأذكر أهمها:

**أولاً:** الإيمان بقضية البعث جزء من عقيدة المسلم لما له من أثر سلوكي بالغ في حياته الدنيا.

**ثانياً:** تأكيد بلاغة القرآن في تناسق وترابط مواضيع الآيات وتراكيب معانيها.

**ثالثاً:** أهمية التناسق الموضوعي في فهم الآيات وتراكيب معانيها.

**رابعاً:** أهمية ذكر المحور الأساس لكل سورة لربط مواضيع السورة الفرعية به مما يجعلها وحدة متكاملة ومترابطة تزيد المعاني بيانا وجمالا.

**خامساً:** تناسق مواضيع السورة الواحدة سمة من سمات سور القرآن الكريم.

**سادساً:** ظهر جليا أهمية التناسق في اكتشاف الجوانب البلاغية والبيانية لآيات الذكر الحكيم.

**سابعاً:** ظهر اهتمام ثلة من المفسرين بسير محاور السور الأساسية والفرعية وربط الآيات ببعضها وإظهار تناسقها كالرازي والبقاعي والطاهر بن عاشور وغيرهم.

**ثامناً:** ظهر من خلال بعض التفاسير الاهتمام بدلالة السياق، فيستفيد منها المفسر في الاستدلال على صحة التفسير ونحو ذلك مما يلفت النظر لهذه الدلالة وملاحظتها والعناية بها.

**تاسعاً:** تميز موضوع التناسق بملاحظة المعنى سواء أكان المعنى المفرد للكلمة أو المعنى

السياقي أو المعنى الجملي وهو بحاجة إلى مزيد اهتمام.

**عاشراً:** ينبغي بناء الدعوة إلى الحق على أسلوب الخبر وتأكيد به بالأدلة العقلية، وهو

أسلوب يقوم على الإقناع وإثبات الحجة.

**الحادي عشر:** استخدام القرآن وسائل الإقناع المختلفة وأهمها الأسلوب العقلي

بالاستدلال من خلال المحسوسات على قدرة الله على البعث.

**الثاني عشر:** امتازت السورة الكريمة بالوصف البديع لأهوال يوم البعث وأحوال الناس

فيه ترغيباً وترهيباً.

**الثالث عشر:** أهمية الأدلة العقلية الحسية في إقناع المخالف وإقامة الحجة.

## توصيات الباحث

كما أوصي في نهاية هذه الدراسة بما يلي:

**أولاً:** إن أبلغ تأثير لإقرار المنكر للغيب هو ربط أدلة تقرير الحق بما يشاهده، فربط الغيب بالمشاهد المحسوس هو من أبلغ الأثر في تقرير الحق في النفوس وإقامة الحجة وهذا الأسلوب مطلب دعوي لتقرير الحق.

**ثانياً:** ينبغي أن ينطلق التفسير من خلال دراسة موضوع الآيات ليكون أدعى لتقريب المعنى وإظهار بلاغة القرآن الكريم.

**ثالثاً:** أوصي بتجميع وترتيب مثل هذه البحوث القيمة والدراسات الموضوعية لسور القرآن لتكون موسوعة رائدة في العمل التفسيري لكلام الله عز وجل.

**وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.**

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

# الفهارس

# الفهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية والآثار .
- ٣ - فهرس الأعلام .
- ٤ - فهرس المصادر والمراجع .
- ٥ - الموضوعات .



## فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٩	-	[الفاتحة:١]	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
١٦٥	٢	[البقرة:٢٥٠]	﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾
٢٣٠	٢	[البقرة:٢٩]	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾
١٧٧	٢	[البقرة:٣٩]	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
١٧٧	٢	[البقرة:١١٩]	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾
٢٣٤	٢	[آل عمران:١٤٠]	﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾
٣٠٢	٢	[آل عمران:١٦٩]	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ ﴾
٢٠٩	٢	[آل عمران:٢١]	﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾
١٢٣	٢	[آل عمران:٧]	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ ﴾
٨٢	٣	[النساء:١٠٠]	﴿ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾
٦٣	٣	[النساء:٥٨]	﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾
٢١١	٥	[المائدة:١٠٠]	﴿ وَلَوْ أَعَجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾
٢٣٠	٣	[الأعنام:١]	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾
٢١١	٣	[الأعنام:١١٦]	﴿ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٩٤	٣	[الأعام: ٣٣]	﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾
٢٤٥	٣	[الأعام: ٣٥]	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ ﴾
٢٠٦	٣	[الأعام: ٧٠]	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾
٢٤٥	٣	[الأعام: ٩٩]	﴿ أَنْظِرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾
١٨٩	>	[الأعراف: ١٧٢]	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾
١٤٣	>	[الأعراف: ٤٣]	﴿ وَتُودُوا أَنْ تَتَّكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾
١٤٩	>	[الأعراف: ٤٣]	﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ مِنَّا بِالْحَقِّ ﴾
٢٢١	>	[الأعراف: ٥٤]	﴿ إِبْرَاهِيمَ رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي ﴾
٢٢١	>	[الأعراف: ٥٦]	﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾
٢٤٤	>	[الأعراف: ٥٧]	﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نِّقَالًا سُقْنَاهُ لِيلِدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
٢٢١	>	[الأعراف: ٥٧]	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ ﴾ إلى قوله: ﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾
١٨٤	>	[الأعراف: ٧٥]	﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَتَ صَلِحًا أُرْسِلُ مِنْ رَبِّي ﴾
١٨٤	>	[الأعراف: ٨٨]	﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنًا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾
١٢٣	٩	[التوبة: ١٠٠]	﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنِ الْمُتَجَرِّبِينَ وَاللَّذِينَ إِتَّخَذُوا الْأَنْصَارَ ﴾
١٠٢	١٠	[يونس: ١٠٣]	﴿ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾
٢٠٦	١٠	[يونس: ٤]	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٣٩	١٠٠	[يونس: ٤]	﴿ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾
٢٤٥	١٠٠	[يونس: ٩٩]	﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ﴾
١٧٨	١٠٥	[هود: ١٠٥]	﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾
١٤٧ ١٤٧ ١٤٨ ٣١٠	١٢٣	[الرعد: ٢٣، ٢٤]	﴿ وَالْمَلٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾
١٥٩	١٢٣	[الرعد: ٣٥]	﴿ أَكُلُّهَا دَائِمٌ وَظُلْمًا ﴾
١٩١	١٢٣	[الرعد: ٥]	﴿ وَإِنْ تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أءِذَا كُنَّا تُرَابًا أءِذَا نَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾
٢٠٦	١٢٣	[ابراهيم: ١٦، ١٧]	﴿ مِّنْ وَّرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَسُقْيٰى مِنْ مَّآءٍ صٰٔدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾
١٨٥	١٢٤	[ابراهيم: ٢١]	﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؕ قَالُوا لَوْ هَدَّٰنَا اللَّهُ لَهَدَيْنٰكُمْ ﴾
١٤٨	١٢٤	[ابراهيم: ٢٣]	﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ ﴾
١٣٠	١٢٥	[الحجر: ٤٧]	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾
٤٨	١٢٥	[الحجر: ٩]	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحٰفِظُونَ ﴾
٢٨٣	١٢٦	[النحل: ١٠٢]	﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾
١٤٣	١٢٦	[النحل: ٣٢]	﴿ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَذْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾
١٨٨	١٢٦	[النحل: ٣٨]	﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتٍ ﴾
١٨٦	١٢٧	[الإسراء: ١٦]	﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾
٣١٥	١٢٧	[الإسراء: ١٨]	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلِّيٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾
٢٢٦ ٢٣٩	١٢٧	[الإسراء: ٥١]	﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢١١	٢٤	[الكهف: ١٠٢]	﴿ إِنَّا أَعَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾
٢٠٦	٢٤	[الكهف: ٢٩]	﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ ﴾
١٠٨	٢٠	[طه: ١٠٥]	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾
٢٢٦	٢٤	[الأنبياء: ١٠٤]	﴿ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾
١٦٢	٢٤	[الأنبياء: ٣٠]	﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾
٢٣٠	٢٤	[الأنبياء: ٣٣]	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْإِثْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾
١٠٥	٢٤	[سور الأنبياء: ٤٧]	﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾
٢٠٦	٢٢	[الحج: ١٩، ٢٠]	﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ ﴾
٢٢٠ ٢٢٢	٢٢	[الحج: ٥]	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ إلى قوله: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾
٢٢٠	٢٢	[الحج: ٦-٧]	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾
٣٠١	٢٤	[المؤمنون: ١١٥]	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾
٢٢٠	٢٤	[المؤمنون: ١٥، ١٦]	﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾
١٢٣	٢٤	[المؤمنون: ٦١]	﴿ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿١١﴾ ﴾
٣١	٢٤	[النور: ١]	﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَبِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ﴾
٦٤	٢٤	[النور: ٣٠]	﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَيْمَانِهِمْ وَيَحْفَظُوا أَرْوَاحَهُمْ ذَلِكَ أَرْكَانُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾
١٦٦	٢٤	[النور: ٣٥]	﴿ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾
١٥٩	٢٥	[الفرقان: ٤٥]	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٥٤	٢٥	[الفرقان: ٥٣]	﴿ هَذَا عَذَابٌ قُرْآنٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾
١٥٦	٢٦	[الشعراء: ١٤٨]	﴿ طَلَعَهَا هَٰضِمٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾
٢٨١	٢٦	[الشعراء: ٢١٠]	﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ ﴾
٢٢٢	٢٦	[النمل: ٦٣]	﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ﴾
١٩١	٢٦	[النمل: ٦٧]	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾
٨١	٢٦	[النمل: ٨٥]	﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا ﴾
١٧١	٢٦	[العنكبوت: ٢٠]	﴿ ثُمَّ اللَّهُ يَبْشُرُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴾
١٥١	٣٠	[الروم: ١٤]	﴿ يَوْمَئِذٍ يَنْفِرُ قُرْآنٌ ﴿١٤﴾ ﴾
٢١٩	٣٠	[الروم: ٢٧]	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾
٢٢٦	٣٠	[الروم: ٢٧]	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾
١٥١	٣٠	[الروم: ٤٣]	﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾
١٠٢	٣٠	[الروم: ٤٧]	﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾
٢٤٤	٣٠	[الروم: ٥٠]	﴿ فَأَنْظِرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾
١٩٢	٣٢	[الجمعة: ٢٥]	﴿ وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَنْتَبِهُنَّ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا بَابِئِنَّا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾
٢٨٣	٣٢	[السجدة: ١٣]	﴿ : وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾
٢٩٠	٣٢	[السجدة: ١٥]	﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلًّا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾
١٩٨	٣٤	[سبأ: ٣٠]	﴿ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْرِفُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾
١٤٩	٣٥	[فاطر: ٣٤]	﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٧٨	٣٥	[فاطر: ٦]	﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمُ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾
٢٥٥	٤٢	[يس: ٣٣]	﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا ﴿٣٣﴾
٢٥٥	٤٢	[يس: ٣٥]	﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾
١٤٥ ١٤٧ ١٤٨	٤٢	[يس: ٥٨]	﴿ سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾
١٩١	٤٢	[يس: ٧٧]	﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾
١٩١	٤٢	[يس: ٧٨]	﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
٢٥٧	٤٢	[يس: ٧٩]	﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿٧٩﴾
٢٢٨ ٢٣٩	٤٢	[يس: ٧٩]	﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿٧٩﴾
٢٢٢ ٢٥٧ ٢٦٠	٤٢	[يس: ٨٠]	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾
٢٢٨	٤٢	[يس: ٨١]	﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴿٨١﴾
٢٢٩	٤٢	[يس: ٨٢، ٨٣]	﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾
٢٧٥	٤٧	[الصافات: ١-٤]	﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾
١٩١	٤٧	[الصافات: ١٨]	﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾
١٩٧	٤٧	[الصافات: ١٩]	﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾
١٣٠	٤٧	[الصافات: ٤١-٤٤]	﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَهَهُمْ مَّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٣٤	٣٦	[الصفافات: ٤٥-٤٧]	﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ﴿٤٧﴾ ﴾
١٤٩	٣٦	[الصفافات: ٥١]	﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾
٢٠٢ ٢٠٢	٣٧	[الصفافات: ٦٤، ٦٥]	﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسٌ الشَّيْطَانِ ﴿٦٥﴾ ﴾
١٢	٣٨	[ص: ٢٩]	﴿ كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾
١٦٢	٣٨	[ص: ٥١]	﴿ مُتَكِبِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَنَكِهِةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ﴾
١٦٨	٣٨	[ص: ٣٢]	﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾
٢٠٦	٣٨	[ص: ٥٧]	: ﴿ هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾ ﴾
١٠٢	٣٨	[ص: ٧٢]	﴿ فَاقْعُوا لَهُ سَنَجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾
١٧٧	٣٩	[الزمر: ٢٣]	﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي ﴿٢٣﴾ ﴾
٢٤٤	٤٠	[فصلت: ٣٩]	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ ﴿٣٩﴾ ﴾
٣٨	٤١	[فصلت: ٤١]	﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ ﴾
٢٧٦	٤١	[فصلت: ٥٣]	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴿٥٣﴾ ﴾
٢٣١	٤٢	[فصلت: ٩-١٢]	﴿ قُلْ إِنِّي كُفِّرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا مِّن فَوْقِهَا وَيَبْرُكُ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّابِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَاللَّأَرْضِ أَقْنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ﴿١٢﴾ ﴾
١٧٨	٤٢	[الشورى: ٧]	﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٦٢	٣٤	[الزخرف: ٧٣]	﴿ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُومُونَ ﴾ (٧٣)
١٤٣	٣٤	[الزخرف: ٧٤]	﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٧٤)
٢٢٤	٣٤	[الزخرف: ٨٧]	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (٨٧)
٢٠٢	٤٤	[الدخان: ٤٣-٤٦]	﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾
٢٠٦	٤٤	[الدخان: ٤٨]	﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ﴾
٢٣٦	٤٤	[الأحقاف: ٣٣]	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ مِغْشَاءٌ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَانَ بِمِقْدَارٍ ﴿٣٣﴾ ﴾
١٧٩	٤٥	[محمد: ١٥]	﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾
٢٠٥	٤٥	[محمد: ١٥]	﴿ مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُنَقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾
١٣٤	٤٥	[محمد: ١٥]	﴿ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾
١٥٦	٥٠	[ق: ١٠]	﴿ هَا طَلَعُ نَاصِدٍ ﴿١٠﴾ ﴾
٢٣٩	٥٠	[ق: ١٥]	﴿ أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾
١٩١	٥٠	[ق: ٢]	﴿ أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾
٢٧٥	٥٠	[الذاريات: ١-٦]	﴿ وَالذَّرِيَّتِ ذُرُوءًا ﴿١﴾ فَالْحَمَلِمْتِ وَقَرًا ﴿٢﴾ فَالْجَرِيَّتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمَقْسَمِمْتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفِعُوكُمْ ﴿٦﴾ ﴾
٢٧٦	٥٠	[الذاريات: ٢٠-٢٢]	﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾
٨٣	٥٠	[الذاريات: ٥٦]	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٩٧	٥٥	[الذاريات: ٥٧]	﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴾ ٥٧
١٣٣	٥٦	[الطور: ٢٤]	﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴾ ٢٤
١٠٨	٥٦	[الطور: ١٠]	﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ ١٠
١٤٣	٥٦	[الطور: ١٩]	﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ١٩
١٤٩	٥٦	[الطور: ٢٦-٢٨]	﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ ٢٦ ﴿ فَمَرَّتْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴾ ٢٧ ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ ٢٨
٢٣٦	٥٦	[النجم: ٣٢]	﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾
٢٣٩	٥٦	[النجم: ٤٥-٤٧]	﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ ٤٥ ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تَمَنَّى ﴾ ٤٦ ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النِّشَاءَ الْآخِرَى ﴾ ٤٧
١٩٣	٥٦	[القمر: ٢٤]	﴿ أَبْشِرْنَا مَتَا وَجِدْنَا نَبْعَهُ ﴾
٢٣٤	٥٦	[القمر: ٢٨]	﴿ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ﴾
٦٥	٥٦	[القمر: ٤٩]	﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴾ ٤٩
٦٥	٥٦	[القمر: ٥٢]	﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ ٥٢
٦٦	٥٦	[الرحمن: ٣٧]	﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ ٣٧
١٦٣	٥٦	[الرحمن: ٤٦]	﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾ ٤٦
١٦٣	٥٦	[الرحمن: ٥٢]	﴿ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ ٥٢
١٣٧	٥٦	[الرحمن: ٥٤]	﴿ وَحَنَى الْجَنَّةِ دَانٍ ﴾ ٥٤
١٧٠	٥٦	[الرحمن: ٥٦]	﴿ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ ﴾
١٤٣	٥٦	[الرحمن: ٦٠]	﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ ٦٠
١٦٣	٥٦	[الرحمن: ٦٠]	﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ ٦٠
١٦٣	٥٦	[الرحمن: ٦٢]	﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ ﴾ ٦٢

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٦٣	٥٥	[الرحمن: ٦٨]	﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾
١٧٠	٥٥	[الرحمن: ٧٢]	﴿ مَقْصُورَاتٌ ﴾
٦٥ ٦٦ ٧٧ ٨٥ ٩٤ ٩٧	٥٥	[الواقعة: ١]	﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ ﴾
٧٧ ٨٥ ٩٤ ٩٥ ٩٧ ١٠٠ ١١٠	٥٥	[الواقعة: ٢]	﴿ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ ﴾
٩٤ ٩٨ ١٠٣ ١١٠	٥٥	[الواقعة: ٣]	﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ ﴾
٩٤ ٩٥ ١٠٥ ١١٠	٥٥	[الواقعة: ٤]	﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ ﴾
٩٥ ١٠٧ ١١٠	٥٥	[الواقعة: ٥]	﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ ﴾
٩٥ ١٠٨ ١١٠	٥٥	[الواقعة: ٦]	﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ ﴾
٦٥ ٩٥ ١٠٩ ١٧٧	٥٥	[الواقعة: ٧]	﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ ﴾
٩٨ ١١٨	٥٥	[الواقعة: ٨]	﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ ﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١١٨	٥٠	[الواقعة: ٩]	وَاصْحَبِ الْمَشْأَمَ مَا اصْحَبِ الْمَشْأَمَ ٩
١٢١	٥٠	[الواقعة: ١٠]	وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ ١٠
١٢٦	٥٠	[الواقعة: ١١]	أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ١١
١٢٦	٥٠	[الواقعة: ١٢]	فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ١٢
١١٧ ١٧٥	٥٠	[الواقعة: ١٣]	ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْلَادِ ١٣
١١٧ ١٧٥	٥٠	[الواقعة: ١٤]	وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ١٤
١٢٩	٥٠	[الواقعة: ١٥]	عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ١٥
١٣٣	٥٠	[الواقعة: ١٦]	مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ١٦
١٣١	٥٠	[الواقعة: ١٧]	يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ١٧
١٣٤	٥٠	[الواقعة: ١٨]	بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ١٨
١٣٥	٥٠	[الواقعة: ١٩]	لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفَوْنَ ١٩
١٣٧	٥٠	[الواقعة: ٢٠]	وَفَلَكَهَمَّةٍ مِمَّا يَتَخَبَّزُونَ ٢٠
١٣٨	٥٠	[الواقعة: ٢١]	وَلِحَظِيرٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ ٢١
١٣٩	٥٠	[الواقعة: ٢٢]	وَحُورٌ عِينٌ ٢٢
١٤١	٥٠	[الواقعة: ٢٣]	كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ٢٣
١٤٢	٥٠	[الواقعة: ٢٤]	جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٤
١٤٤	٥٠	[الواقعة: ٢٥]	لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا ٢٥
١٤٦	٥٠	[الواقعة: ٢٦]	إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ٢٦
٧٠ ١٤٩ ١٥٢	٥٠	[الواقعة: ٢٧]	وَاصْحَبِ الْيَمِينِ مَا اصْحَبِ الْيَمِينِ ٢٧

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٧١ ١٤٩ ١٥٢ ١٥٢ ١٦٠	٢٨	[الواقعة: ٢٨]	فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾
١٥٢ ١٥٦ ١٦٠	٢٩	[الواقعة: ٢٩]	وَطَلِيحٍ مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾
١٥٢ ١٦٠	٣٠	[الواقعة: ٣٠]	وَوَيْلٍ مَّمدُودٍ ﴿٣٠﴾
١٦١	٣١	[الواقعة: ٣١]	وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾
١٦٢	٣٢	[الواقعة: ٣٢]	وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾
١٦٤ ١٨١	٣٣	[الواقعة: ٣٣]	لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾
١٦٦	٣٤	[الواقعة: ٣٤]	وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾
١٦٧ ١٧٤	٣٥	[الواقعة: ٣٥]	إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾
١٧٢ ١٧٤	٣٦	[الواقعة: ٣٦]	فَجَعَلْنَهُنَّ أَجْكَارًا ﴿٣٦﴾
١٧٣	٣٧	[الواقعة: ٣٧]	عُرًى أَرْبَابًا ﴿٣٧﴾
١٧٤ ١٧٤	٣٨	[الواقعة: ٣٨]	لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾
٥٨ ١٢٨ ١٧٤ ١٧٥	٣٩	[الواقعة: ٣٩]	ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٣٩﴾
٥٨ ١٢٨ ١٧٤ ١٧٥	٤٠	[الواقعة: ٤٠]	وَتَلَاةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾
٨٩ ١٢٠ ١٥٣ ١٧٧	٤١	[الواقعة: ٤١]	وَأَصْحَابِ الشِّمَالِ مَآ أَصْحَابِ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٥٣ ١٧٩	٢٥	[الواقعة: ٤٢]	فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾
١٥٣ ١٨٠	٢٥	[الواقعة: ٤٣]	وظِلٍّ مِّن يَّحْمُومٍ ﴿٤٣﴾
٨٩ ١٨١	٢٥	[الواقعة: ٤٤]	لَّا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾
٩٠ ١١٤ ١٨٣	٢٥	[الواقعة: ٤٥]	إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾
١١٤ ١٨٥ ١٨٧	٢٥	[الواقعة: ٤٦]	وَكَانُوا يُصْرُفُونَ عَلَى الْخَنَثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾
٧١ ١١٤ ١٨٥ ١٨٨ ١٨٩ ٢١٩	٢٥	[الواقعة: ٤٧]	وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِيَّا نَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾
١١٤ ١٨٩ ٢١٩	٢٥	[الواقعة: ٤٨]	أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوْلُونَ ﴿٤٨﴾
١٩٥ ٢٢٠	٢٥	[الواقعة: ٤٩]	قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾
١٩٥ ٢٢٠	٢٥	[الواقعة: ٥٠]	لَمَجْبُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾
١٩٩ ٢٠٩	٢٥	[الواقعة: ٥١]	ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكِيدُونَ ﴿٥١﴾
٣٤١	٢٥	[الواقعة: ٥٢]	لَأَكْلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ ﴿٥٢﴾
٢٠٢	٢٥	[الواقعة: ٥٣]	فَالثَّوْنُ مِنهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾
٢٠٤	٢٥	[الواقعة: ٥٤]	فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾
٢٠٧	٢٥	[الواقعة: ٥٥]	فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَلِيمِ ﴿٥٥﴾
٧٨ ٢٠٩	٢٥	[الواقعة: ٥٦]	هَذَا نَزَّلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٠٦	٥٠	[الواقعة: ٥٧]	نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾
٦٧ ٢٢٠ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٣٠	٥١	[الواقعة: ٥٨]	أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾
٦٧ ٧٠ ٢٢٠ ٢٣٠ ٢٣١	٥١	[الواقعة: ٥٩]	ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾
٢٣٣	٥١	[الواقعة: ٦٠]	نَحْنُ قَادِرِينَ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ لِمَنْ نَشَاءُ وَالَّذِينَ يُمَسِّبُونَ ﴿٦٠﴾
٢٣٤	٥١	[الواقعة: ٦١]	عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَ لَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾
٢٣٦ ٢٣٧	٥١	[الواقعة: ٦٢]	وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾
٢٢١ ٢٣٠ ٢٤٠	٥٢	[الواقعة: ٦٣]	أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾
٢٢١ ٢٣٠ ٢٤٢	٥٢	[الواقعة: ٦٤]	ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾
٢٤٥	٥٢	[الواقعة: ٦٥]	لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾
٢٤٥	٥٢	[الواقعة: ٦٦]	إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾
٢٤٥	٥٢	[الواقعة: ٦٧]	بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٦٧﴾
٢٢١ ٢٣٠ ٢٥٠	٥٢	[الواقعة: ٦٨]	أَفَرَأَيْتُمْ يَتْرُكُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾
٢٢١ ٢٣٠ ٢٥٠ ٢٥٢	٥٢	[الواقعة: ٦٩]	ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٥٠ ٢٥٣	٧٥	[الواقعة: ٧٠]	لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
٢٢٢ ٢٣٠ ٢٥٦	٧٥	[الواقعة: ٧١]	أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾
٢٢٢ ٢٣٠ ٢٥٦ ٢٥٨	٧٥	[الواقعة: ٧٢]	ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾
٦٧ ٢٥٦ ٢٥٩	٧٥	[الواقعة: ٧٣]	نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾
٧٨ ٢٦٣	٧٥	[الواقعة: ٧٤]	فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾
٥٨ ٢٦٣	٧٥	[الواقعة: ٧٥]	﴿٧٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ الْجُجُومِ ﴿٧٥﴾
٢٧٧	٧٥	[الواقعة: ٧٦]	وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾
٣٨ ٢٧٨ ٢٧٨	٧٥	[الواقعة: ٧٧]	إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾
٢٧٨ ٢٧٩	٧٥	[الواقعة: ٧٨]	فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾
٢٧٨ ٢٨٠	٧٥	[الواقعة: ٧٩]	لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾
٧١ ٢٨٣	٧٥	[الواقعة: ٨٠]	تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾
٦٧ ٢٩٣	٧٥	[الواقعة: ٨١]	أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾
٥٨ ٢٩٤ ٢٩٥	٧٥	[الواقعة: ٨٢]	وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ ﴿٨٢﴾
٢٩٧	٧٥	[الواقعة: ٨٣]	فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾
٢٩٧	٧٥	[الواقعة: ٨٤]	وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُّظُرُونَ ﴿٨٤﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٩٧	٥٥	[الواقعة: ٨٥]	وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدَّ لَهُمْ أَنْ يَرَوُا وَعْدَهُمْ وَلَكِنْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٥﴾
٢٩٧	٥٥	[الواقعة: ٨٦]	فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾
٦٧ ٢٩٧	٥٥	[الواقعة: ٨٧]	تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾
١٢٧ ٣٠٨	٥٥	[الواقعة: ٨٨]	فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾
١٢٧ ٣٠٨	٥٥	[الواقعة: ٨٩]	فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾
٣١١	٥٥	[الواقعة: ٩٠]	وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾
٣١١	٥٦	[الواقعة: ٩١]	فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾
٩٠ ٣١٣	٥٦	[الواقعة: ٩٢]	وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الصَّالِينَ ﴿٩٢﴾
٣١٣	٥٦	[الواقعة: ٩٣]	فَنَزَّلُ مِنَ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾
٣١٣	٥٦	[الواقعة: ٩٤]	وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾
٩٠ ٣١٦	٥٦	[الواقعة: ٩٥]	إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾
٦٧ ٧١ ٣١٧	٥٦	[الواقعة: ٩٦]	فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾
٦٧	٥٧	[الحديد: ١]	سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾
٦٧	٥٧	[الحديد: ٢]	لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾
٢٤٦	٥٧	[الحديد: ٢٠]	﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يهيجُ فَذَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ﴾
٦٧	٥٧	[الحديد: ٦]	يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾
١٩٦	٤٦	[التغابن: ٩]	﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ ﴾
٢٢٩	٦٧	[الملك: ١، ٢]	﴿ تَبَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾
١٣٤	٦٧	[الملك: ٣٠]	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٩٤	٦٨	[القلم: ٤٤]	﴿فَدَرِّي وَمَنْ يَكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾
٢٩٤	٦٨	[القلم: ٨، ٩]	﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٨﴾ وَدُوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيُدَّهِنُونَ ﴿٩﴾﴾
٣١٨	٦٩	[الحاقة: ١٣-١٥]	﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَحِدَةً ﴿١٣﴾ وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَا ذَكَّةً وَحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾
٣١٨	٦٩	[الحاقة: ٣٨-٤٠]	﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾
٢٨٤	٦٩	[الحاقة: ٤١-٤٣]	﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾
٣١٨	٦٩	[الحاقة: ٥٠-٥٢]	﴿لِحَسْرَةٍ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾
٨١	٧٠	[المعارج: ١]	﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾
٢٥٠	٧٠	[المعارج: ١٩، ٢٠]	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾
٢٤٠	٧١	[نوح: ١٧]	﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾
١٨٧	٧١	[نوح: ٧]	﴿وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾
١٠٧	٧٢	[المزمل: ١٤]	﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾
١٣٠	٧٦	[الإنسان: ١٩]	﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ﴿١٩﴾﴾
١٦٥	٧٦	[الإنسان: ١٤]	﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴿١٤﴾﴾
١٩٨	٧٧	[المرسلات: ١١]	﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتِ ﴿١١﴾﴾
١٩٨	٧٧	[المرسلات: ١٣]	﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾﴾
١٩٩ ١٩٩	٧٧	[المرسلات: ٣٠]	﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِءُ مُكْذِبُونَ ﴿٣٠﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تَلَدٍ شَعْبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾
١٩٦	٧٧	[المرسلات: ٣٨]	﴿جَمَعْتَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾
٢٠٦	٧٨	[النبأ: ٢٤، ٢٥]	﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴿٢٥﴾﴾
١٠٩	٧٨	[النبأ: ٧]	﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٣٠	٧٩	[النازعات: ٢٧-٢٢]	﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ حَلَقًا أَمِ السَّمَاءُ بِنهَا ٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا ٢٨ ﴿وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ٢٩﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ٣٠ ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ٣١﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ٣٢ ﴿
٢٧٩	٨٠	[عبس: ١٢-١٦]	﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ١٢﴾ فِي صُحُفٍ مَّكَرَمَةٍ ١٣ ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ١٥ ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ١٦﴾
٢٦٢	٨٠	[عبس: ١٧]	﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ١٧﴾
٢٤٤ ٢٦٢	٨٠	[عبس: ٢٣-٣٢]	﴿٣٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ٢٤ ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ٢٦ ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ٢٨ ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ٣٠ ﴿وَفَنَكِهِةً وَأَبًا ٣١﴾ مَنَعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ٣٢ ﴿
٢٣٧	٨٢	[الإنفطار: ٧، ٨]	﴿فَعَدَلَكَ ٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴿
١٢٦	٨٣	[المطففين: ١٥]	﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ ١٥﴾
١٢٥	٨٣	[المطففين: ٢٦]	﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾
١٢٦	٨٣	[المطففين: ٢٨]	﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾
٣٩	٨٥	[البروج: ٢١]	﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ٢١﴾
٢٧٩	٨٥	[البروج: ٢١، ٢٢]	﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ٢٢ ﴿
٢٣٢	٨٦	[الطارق: ٥]	﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ٥﴾
٢٣٠	٨٨	[الغاشية: ١٧]	﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧﴾
١٠٠	٨٨	[الغاشية: ٢٤]	﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدِمْتُ لِجِيَاتِي ٢٤﴾
١٢١	٩٠	[البلد: ١٧-٢٠]	﴿تُرْكَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ١٨ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّبِعُنَا لَهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ٢٠ ﴿

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٩٩	١٠٠	[النصر: ١-٣]	﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾

## فهرس الأحاديث النبوية والآثار

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
١	أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة	٤٠
٢	أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر	٥٩
٣	أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر	٥٨
٤	اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء	١٦٦
٥	أعطيت مكان التوراة السبع الطول	٤٢
٦	إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها انقرءوا إن شئتم ﴿وَزَلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾	١٥٩
٧	أن لا يمس القرآن إلا طاهر	٢٨٤
٨	أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم	١٧٦
٩	شيبني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت	٣٤
١٠	فيأتيه من روحها وطيبها ، ويُفسح له في قبره مدَّ بصره	٣١١
١١	لكل نبي دعوة فأريد إن شاء الله أن أختبي دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة	٣١٣
١٢	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَعْلَمَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ	٤٢
١٣	من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت	٤٠
١٤	من قرأ في كل ليلة ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ لم تصبه فاقة أبدا	٤٤
١٥	من قرأها في ليلة كفتاه	٣١
١٦	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ	١٧٦
١٧	وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور	٣٤

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر	م
٣٩		١٨ وما يدريك أنها رقية
١٩١		١٩ يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك



## فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلام	م
١٩٢	ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم	١
٣٨	ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي	٢
٣٢	ابن الأعرابي: أحمد بن محمد بن زياد بن بشر	٣
٣٨	ابن الضُّرَيْس: محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس البجلي الرازي	٤
٥٨	ابن جرير الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير	٥
١٠٦	ابن جني: عثمان بن جني أبو الفتح الموصلبي	٦
١٥	ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور	٧
١٩٠	ابن عامر: عبد الله بن عامر بن يزيد	٨
١٩٠	ابن كثير: عبد الله بن كثير بن عمرو المكِّي	٩
١٦٨	أبو تمام: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي	١٠
٢٦	أبو زُبَيْد الطائي	١١
٣٨	أبو عبيد: القاسم بن سلام الهروي البغدادي	١٢
١٩٠	أبو عمرو بن العلاء ابن عمار	١٣
٣٤	أحمد بن حنبل بن هلال الشَّيباني المروزي	١٤
١٥٦	الآلوسي: محمود بن عبد الله الحسيني	١٥
١٥٢	البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر	١٦
٣٤	الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى	١٧
٥٩	جابر أبو الشعثاء: بن زيد الأزدي اليعمدي البصري	١٨
٣٢	الجعبري: إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري	١٩
٥٩	الحسن البصري أبو سعيد	٢٠

م	اسم العالـم	الصفحة
٢١	حفص بن سليمان بن المغيرة بن أبي داود الأسدي الكوفي	١٩٠
٢٢	حمّاد بن سلمة بن دينار البصري	٢٢٣
٢٣	حمزة بن حبيب الزيات	١٣٦
٢٤	الداني: عثمان بن سعيد بن عثمان الداني القرطبي	٤٧
٢٥	الراغب الأصبهاني: الحسين بن محمد بن المفضل	٣١٦
٢٦	الرافعي: مصطفى صادق بن عبد الرزاق	١٥
٢٧	الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني	١٠٥
٢٨	الرّجّاج: إبراهيم بن السري بن سهل	١٤٠
٢٩	الزرقاني: محمد عبد العظيم الزرقاني	٦٣
٣٠	الزركشي: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي	٣٢
٣١	زيد بن خالد الجهني المدني	٥٨
٣٢	السُّدّي: إسماعيل بن عبد الرّحمن	١٩٢
٣٣	سعيد بن محمد ديب حوى	١٣
٣٤	سيد قطب بن إبراهيم	١٥
٣٥	شعبة بن عيّاش، الكوفي	١٧٣
٣٦	الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي	٢٨٤
٣٧	عاصم بن أبي النجود	١٣٦
٣٨	عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي	٤٩
٣٩	عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب	٥٩
٤٠	عروة بن الزبير بن العوام الأسدي	١٩٢
٤١	عطاء بن أبي رباح	٥٩
٤٢	عكرمة بن عبد الله البربري المدني	٥٩

م	اسم العالـم	الصفحة
٤٣	علقمة النخعي: علقمة بن قيس بن عبدالله أبو شبل النخعي الكوفي	٤٣
٤٤	علي بن حمزة الأسدي	١٣٦
٤٥	الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي	١٣٩
٤٦	قالون: عيسى بن مينا بن وردان الزُّهري	١٩٤
٤٧	قتادة بن دعامة السدوسي	٥٩
٤٨	القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر	٥٩
٤٩	الكلبي: محمد بن السائب بن الكلبي	٦٠
٥٠	محمد عزة بن عبد الهادي دروزة	٥٢
٥١	مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري	٣٩
٥٢	مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي	١٢٨
٥٣	النابغة الذبياني: زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر الذبياني الغطفاني	١٢٢
٥٤	نافع بن عبد الرحمن المدني	١٩٠
٥٥	النسائي: أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي	٣٨
٥٦	النووي: يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي	٦٢
٥٧	واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل	٤٢



## فهرس المصادر والمراجع

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
١	﴿ القرآن الكريم ﴾				
٢	الإتقان في علوم القرآن	السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)	الهيئة المصرية العامة للكتاب	سنة	١٣٩٤هـ
٣	إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)	أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)	دار إحياء التراث العربي	الرابعة	١٤١٤هـ
٤	الأساس في التفسير	سعيد بن محمد ديب بن محمود حوى	دار السلام القاهرة	سنة	١٤٠٥هـ
٥	أسد الغابة في معرفة الصحابة	علي بن أبي الكرم الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٥هـ
٦	أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيهه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان	محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)	دار الاعتصام	الثانية	١٣٩٦

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٧	أسرار ترتيب القرآن	عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم	دار الفضيلة للنشر والتوزيع القاهرة	سنة	٢٠٠٢ م
٨	الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر	دار الجيل، بيروت	الأولى	١٤١٢ هـ
٩	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي	دار الفكر للطباعة	سنة	١٤١٥ هـ
١٠	الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق	عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطيء	دار المعارف	الثالثة	-
١١	إعراب القرآن	أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس	عالم الكتب	سنة	١٤٠٩ هـ
١٢	الأعلام	الزركلي	دار العلم للملايين	الخامسة عشر	٢٠٠٢ م
١٣	الأغاني	أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر	دار الفكر بيروت	الطبعة الثانية	بدون تاريخ
١٤	إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن	العكبري	دار: الكتب العلمية	الأولى	١٣٩٩ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
١٥	إنباه الرواة على أنباه النحاة	جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)	دار الفكر العربي	الأولى	١٤٠٦هـ
١٦	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي	دار إحياء التراث العربي بيروت	الأولى	١٤١٨هـ
١٧	أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير	أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري	مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة	الخامسة	١٤٢٤هـ
١٨	بحر العلوم (تفسير السمرقندي)	أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي	دار الفكر		
١٩	البحر المحيط في التفسير	أبو حيان محمد الأندلسي	دار الفكر	سنة	١٤٢٠هـ
٢٠	البداية والنهاية	ابن كثير	دار هجر	الأولى	١٤١٨هـ
٢١	بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية	ابن القيم	دار ابن الجوزي	الثانية	١٤٣١هـ
٢٢	البرهان في تناسب سور القرآن	لأحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي	دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع،	الطبعة الاولى	١٤٢٨هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٢٣	البرهان في علوم القرآن	الزركشي (ت: ٥٧٩٤هـ)	دار إحياء الكتب العربية	الأولى	١٣٧٦ هـ
٢٤	بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز	الفيروزآبادي	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة	سنة	١٩٧٣ م ١٩٩٢ م ١٩٩٦ م
٢٥	بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث	الحارث بن محمد بن داهر التميمي	مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة	الأولى	١٤١٣
٢٦	بغية الوعاة	السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)	المكتبة العصرية	سنة	١٩٩٨ م
٢٧	البيان في عد آي القرآن	أبو عمرو الداني	مركز المخطوطات والتراث	الأولى	١٤١٤ هـ
٢٨	تاج العروس من جواهر القاموس	أبو الفيض محمد بن محمد عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين	دار الهداية	بدون	بدون تاريخ
٢٩	التاريخ الكبير	أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري	دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد	بدون	بدون تاريخ
٣٠	تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)	دار الغرب الإسلامي - بيروت	الأولى	١٤٢٢ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٣١	تاريخ بغداد وذيوله ١- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ٢- المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الديبشي، للذهبي ٣- ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار ٤- المستفاد من تاريخ بغداد، لابن الدمياطي ٥- الرد على أبي بكر الخطيب البغدادي، لابن النجار	الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤١٧ هـ
٣٢	تأملات في سورة الواقعة	الأستاذ الدكتور عماد زهير حافظ	-	الأولى	١٤٢٨ هـ
٣٣	التبيان في آداب حملة القرآن	النووي	دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع	الثالثة	١٤١٤ هـ
٣٤	التبيان في إعراب القرآن	العكبري	عيسى البابي الحلبي وشركاه	-	-
٣٥	التبيان في أقسام القرآن	ابن القيم الجوزية	دار المعرفة وطبعة أخرى دار الفكر	-	-
٣٦	تتمة الأعلام للزركلي يليه المستدرك الأول والثاني	محمد خير رمضان	دار ابن حزم	الثانية	١٤٢٢ هـ
٣٧	تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد	محمد الطاهر بن عاشور	الدار التونسية للنشر تونس	سنة	١٩٨٤ م

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٣٨	ترتيب نزول القرآن	للأستاذ الدكتور محمد علي الحسن	بحث في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية دولة الإمارات العربية المتحدة	العدد: (١٦)	١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م
٣٩	التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير ابن جزري)	أبو القاسم ابن جزري الكلبي	شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم	الأولى	١٤١٦ هـ
٤٠	تفسير ابن أبي حاتم	الرازي ابن أبي حاتم	مكتبة نزار مصطفى الباز	الثالثة	١٤١٩ هـ
٤١	تفسير القرآن العظيم	ابن كثير	دار طيبة للنشر والتوزيع	الثانية	١٤٢٠ هـ
٤٢	تفسير الجلالين	جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (٨٦٤ هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١ هـ)	دار الحديث	الأولى	-
٤٣	التفسير الحديث	دروزة محمد عزت	دار إحياء الكتب العربية	سنة	١٣٨٣ هـ
٤٤	تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير	فخر الدين الرازي	دار الفكر	الأولى	١٤٠٠ هـ
٤٥	حقائق التفسير	أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: ٤١٢ هـ)	دار الكتب العلمية	سنة	١٤٢١ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٤٦	تفسير السمعاني	أبو المظفر، منصور بن محمد المرزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)	دار الوطن	الأولى	١٩٩٧م
٤٧	جامع البيان عن تأويل آي القرآن	ابن جرير الطبري	مؤسسة الرسالة	الأولى	١٤٢٠هـ
٤٨	تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)	العز بن عبد السلام أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الملقب: بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)	دار ابن حزم	الأولى	١٤١٦هـ
٤٩	تفسير القرآن العزيز	محمد بن عبد الله المري المعروف بابن أبي زَمَنِين، تحقيق: حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى	الفاروق الحديثة القاهرة	الأولى	١٤٢٣هـ
٥٠	التفسير المنير	د وهبة بن مصطفى الزحيلي	دار الفكر المعاصر	الثانية	١٤١٨هـ
٥١	التفسير الوسيط للقرآن الكريم	محمد سيد طنطاوي	دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة	الأولى	١٩٩٧

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٥٢	تفسير سورة الواقعة صور من الإعجاز البياني وإحكام المعاني	محمد بن محمد أبو شهبة	دار المعرفة	سنة	١٤٠٣ هـ
٥٣	تفسير مقاتل	مقاتل بن سليمان	دار إحياء التراث	الأولى	١٤٢٣ هـ
٥٤	تنوير المقباس من تفسير ابن عباس	بجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧ هـ)	دار الكتب العلمية	-	-
٥٥	تهذيب التهذيب	بن حجر العسقلاني	مطبعة دائرة المعارف النظامية	الأولى	١٣٢٦ هـ
٥٦	تهذيب اللغة	محمد بن أحمد الأزهري الهروي	دار إحياء التراث العربي بيروت	الأولى	٢٠٠١ م
٥٧	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان	عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي	مؤسسة الرسالة بيروت	الأولى	١٤٢٠ هـ
٥٨	التيسير في القراءات السبع	عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤ هـ)	دار الكتاب العربي	الثانية	١٤٠٤ هـ
٥٩	الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري	البخاري	دار طوق النجاة	الأولى	١٤٢٢ هـ
٦٠	الجامع لأحكام القرآن	محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي	دار الكتب المصرية	الثانية	١٣٨٤ هـ



ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٦١	جمال القراء وكمال الإقراء	السخاوي بتحقيق عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي	مؤسسة الكتب الثقافية	الأولى	١٩٩٩ م
٦٢	جمهرة اللغة	ابن دريد الأزدي	دار العلم للملايين	الأولى	١٩٨٧ م
٦٣	الجواهر الحسان في تفسير القرآن	أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف التعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)	دار إحياء التراث العربي	الأولى	١٤١٨ هـ
٦٤	حاشية الشيخ محي الدين شيخ زاده التفسير البيضاوي	القوجوي المعروف بشيخ زاده ( ٩٥٢هـ)	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤١٩ هـ
٦٥	حجة القراءات	عبد الرحمن بن محمد ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني	دار الرسالة	بدون	بدون تاريخ
٦٦	الحجة في القراءات السبع	الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: عبد العال سالم مكرم	دار الشروق بيروت	الرابعة	١٤٠١ هـ
٦٧	حجج القرآن	أبو الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي	دار الرائد العربي	الثانية	١٩٨٢

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٦٨	الدر المصون في علوم الكتاب المكنون	أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسامين الحلبي (المتوفى: ٥٧٥٦هـ)	دار القلم	بدون	بدون
٦٩	الدر المنشور في التفسير	جلال الدين السيوطي	دار هجر	سنة	١٤٢٤هـ
٧٠	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني	شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤١٥هـ
٧١	زاد المسير في علم التفسير	عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي	دار الكتاب العربي بيروت	الأولى	١٤٢٢هـ
٧٢	الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي	أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)	دار الطلائع	-	-
٧٣	الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي	أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)	وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت	الأولى	١٣٩٩هـ
٧٤	السبعة في القراءات	أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي المعروف بابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف	دار المعارف القاهرة	الثانية	١٤٠٠هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٧٥	سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها	محمد ناصر الدين الألباني	مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض	الأولى	١٤١٥ هـ
٧٦	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة	محمد ناصر الدين الألباني	مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض	الأولى	١٤١٢ هـ
٧٧	سنن ابن ماجه	الإمام ابن ماجه	دار الكتب العلمية	الأولى	٢٠٠٩ م
٧٨	سنن الترمذي	الإمام الترمذي	الرسالة العالمية	الأولى	١٤٣٠ هـ
٧٩	سنن الدارقطني	الإمام الدارقطني	مؤسسة الرسالة	الأولى	١٤٢٤ هـ
٨٠	السنن الصغرى	البيهقي	دار المعرفة	الأولى	١٩٩٩ م
٨١	السنن الكبرى	البيهقي	دار الكتب العلمية	الثالثة	١٤٢٤ هـ
٨٢	السنن الكبرى	النسائي	مؤسسة الرسالة	الأولى	١٤٢١ هـ
٨٣	سنن النسائي	الإمام النسائي	مكتب المطبوعات الإسلامية	الثانية	١٤٠٦ هـ
٨٤	سير أعلام النبلاء	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط	مؤسسة الرسالة	الطبعة الثالثة	١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م
٨٥	شرح المخللاتي المسمى بالقول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز على ناظمة الزهر للإمام الشاطبي	أبو عيد رضوان بن محمد سليمان	طبعة خاصة على نفقة أحد أهل الخير	الأولى	١٤١٢ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٨٦	الشعر والشعراء	لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري	دار الحديث القاهرة	سنة	١٤٢٣ هـ
٨٧	صحيح الجامع الصغير وزيادته	محمد ناصر الدين الألباني	المكتب الإسلامي	الطبعة الثالثة	١٤٠٨ هـ
٨٨	صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي	دار إحياء الكتب العربية بيروت	سنة	١٣٧٤ هـ
٨٩	ضعيف سنن الترمذي	الألباني	المكتب الإسلامي	الأولى	١٤١١ هـ
٩٠	طبقات الحفاظ	جلال الدين السيوطي	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤٠٣ هـ
٩١	طبقات الشافعية	أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الشهبي المعروف بابن قاضي شهبة	عالم الكتب بيروت	الأولى	١٤٠٧ هـ
٩٢	طبقات المفسرين	محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤٠٣ هـ
٩٣	طبقات فحول الشعراء	محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر	دار المدني جدة	-	١٩٩٤ م
٩٤	العقد الفريد	ابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨ هـ)	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤٠٤ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
٩٥	علم المناسبات في السور والآيات ويليه مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع	د. محمد بن عمر بن سالم بازمول / السيوطي	المكتبة المكية	الأولى	١٤٢٣ هـ
٩٦	غاية النهاية في طبقات القراء	محمد بن محمد بن يوسف الجزري	مكتبة ابن تيمية القاهرة	-	١٣٥١ هـ
٩٧	غرائب القرآن ورغائب الفرقان	الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٦ هـ
٩٨	غريب الحديث	أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)	دار الفكر	-	١٤٠٢ هـ
٩٩	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير	محمد بن علي الشوكاني	دار الكتاب العربي	الأولى	١٤٢٠ هـ
١٠٠	فتح الوهاب في علوم الكتاب	الدكتور محمد أحمد محمد محمو	مطبعة الفجر الجديد	الأولى	١٤١٤ هـ
١٠١	الفرائد الحسان في عد آي القرآن	عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي	مكتبة الدار المدينة المنورة	الأولى	١٤٠٤ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
١٠٢	فهم القرآن	الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٤٣هـ)	دار الكندي ، دار الفكر	الثانية	١٣٩٨هـ
١٠٣	في ظلال القرآن	سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)	دار الشروق	السابعة عشر	١٤١٢هـ
١٠٤	فيض القدير	زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري	المكتبة التجارية الكبرى - مصر	الطبعة الأولى	١٣٥٦هـ
١٠٥	القاموس المحيط	مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي تحقيق: مكتب مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقشوسي	مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان	الطبعة الثامنة	١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م
١٠٦	قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن	مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي	دار القرآن الكريم	سنة	١٤٠٠
١٠٧	كتاب العين	، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي،	دار ومكتبة الهلال	الأولى	

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
١٠٨	كتب وسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير	ابن تيمية	-	-	-
١٠٩	الكشاف	الزمخشري	دار الكتاب العربي	الثالثة	١٤٠٧ هـ
١١٠	الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)	الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧ هـ)	دار إحياء التراث العربي	الأولى	١٤٢٢ هـ
١١١	لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)	علي بن محمد بن إبراهيم الشحي المعروف بالخازن، تحقيق: محمد علي شاهين	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٥ هـ
١١٢	لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)	علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن	دار الفكر	سنة	١٣٩٩ هـ
١١٣	لباب النقول في أسباب النزول	السيوطي	دار إحياء العلوم	-	-
١١٤	لباب النقول في أسباب النزول	السيوطي	مؤسسة الكتب الثقافية	الأولى	١٤٢٢ هـ
١١٥	اللباب في علوم الكتاب	أبو حفص سراج الدين الحنبلي الدمشقي النعمانى (المتوفى: ٧٧٥ هـ)	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤١٩ هـ -

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
١١٦	لسان العرب	ابن منظور الإفريقي (٧١١هـ)	دار صادر - بيروت	الثالثة	١٤١٤ هـ
١١٧	لسان العرب	ابن منظور الإفريقي (٧١١هـ)	دار صادر - بيروت	الثالثة	١٤١٤ هـ
١١٨	المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر	ابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ)	المكتبة العصرية	سنة	١٤٢٠ هـ
١١٩	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز	عبد الحق بن غالب ابن عبد الرحمن الأندلسي المعروف بابن عطية	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤٢٢ هـ
١٢٠	المحكم والمحيط الأعظم	أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسی [٤٥٨هـ]	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤٢١ هـ
١٢١	مختار الصحاح	محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد	المكتبة العصرية بيروت	الخامسة	١٤٢٠ هـ
١٢٢	المدخل إلى التفسير الموضوعي	للدكتور عبدالستار فتح الله سعيد	دار التوزيع والنشر الإسلامية	الثانية	١٩٩١ م
١٢٣	المستدرک علی الصحيحین	محمد بن عبد الله ابن محمد بن حمدويه النيسابوري الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١١ هـ



ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
١٢٤	مسند أبي داود الطيالسي	سليمان بن داود بن الجارود أبو داود الطيالسي	دار هجر للطباعة والنشر	الأولى	١٤١٩ هـ
١٢٥	مسند الإمام أحمد	أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله التركي	مؤسسة الرسالة بيروت	سنة	١٤٢١ هـ
١٢٦	مسند الدارمي	أبو محمد الدارمي، السمرقندي (٢٥٥ هـ)	دار المغني	الأولى	١٤١٢ هـ
١٢٧	مسند الشاميين	الطبراني	مؤسسة الرسالة	الأولى	١٤٠٥ هـ
١٢٨	مشكل إعراب القرآن	أبو محمد مكي	مؤسسة الرسالة	الثانية	١٤٠٥ هـ
١٢٩	مصنف ابن أبي شيبة	أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العبسي المحقق: كمال يوسف الحوت	مكتبة الرشد - الرياض	الطبعة الأولى	١٤٠٩ هـ
١٣٠	مصنف عبد الرزاق	عبد الرزاق بن همام الصنعائي المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي	المجلس العلمي، الهند يطلب من: المكتب الإسلامي، بيروت	الطبعة الثانية	١٤٠٣ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
١٣١	معالم التنزيل (تفسير البغوي)	الحسين بن مسعود البغوي	دار طيبة للنشر	الرابعة	١٤١٧هـ
١٣٢	المعاني الكبير في أبيات المعاني	أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)	مطبعة دائرة المعارف العثمانية	الأولى	١٣٦٨هـ
١٣٣	المعاني الكبير في أبيات المعاني	ابن قتيبة الدينوري	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤٠٥هـ
١٣٤	المعجم الأوسط	سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني	دار الحرمين القاهرة	بدون	بدون تاريخ
١٣٥	المعجم الصغير	الطبراني	المكتب الإسلامي	الأولى	١٤٠٥هـ
١٣٦	المعجم الكبير	سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني	مكتبة ابن تيمية القاهرة	بدون	بدون تاريخ
١٣٧	المعجم الوسيط	مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)	دار الدعوة	بدون	بدون
١٣٨	معجم مقاييس اللغة،	لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون	دار لجيل	الثانية	١٤٢٠هـ
١٣٩	معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٧هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
١٤٠	مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)	محمد بن عمر بن الحسين المعروف بالفخر الرازي	دار إحياء التراث العربي بيروت	الثالثة	١٤٢٠ هـ
١٤١	المفردات في غريب القرآن	الراغب	دار الأميرة	الأولى	٢٠١٠ م
١٤٢	المفصّل في موضوعات سور القرآن	علي بن نايف الشحود	طبعة إلكترونية	-	-
١٤٣	مقال باسم: (مع سورة الواقعة)	للدكتور عبدالغني الراجحي	مجلة الوعي الإسلامي	العدد: ٢٧٣	١٤٠٧ هـ
١٤٤	مقالة: المجاهد البحّثة	بقلم: إسماعيل الكيلاني	مجلة الأمة.	ربيع الأول السنة: ٥ العدد: ٣	١٤٠٥ هـ
١٤٥	المقنع في علوم الحديث	سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري	دار فواز للنشر السعودية	الأولى	١٤١٣ هـ
١٤٦	مناهل العرفان في علوم القرآن	محمد عبد العظيم الزرقاني (١٣٦٧ هـ)	مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه	الثالثة	-
١٤٧	موسوعة فضائل سور وآيات القرآن	محمد بن رزق بن طرهوني	دار ابن القيم	سنة	١٤٠٩ هـ
١٤٨	ميزان الاعتدال في نقد الرجال	الذهبي	دار المعرفة	الأولى	١٣٨٢ هـ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
١٤٩	الميزان في تفسير القرآن	محمد حسين الطباطبائي	مؤسسة الأعلمي للمطبوعات	الأولى	١٤١٧ هـ
١٥٠	الناسخ والمنسوخ	للمقري	المكتب الإسلامي	الأولى	١٤٠٤ هـ
١٥١	الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم	أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ)	دار الكتب العلمية	الأولى	١٤٠٦ هـ
١٥٢	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور	إبراهيم البقاعي	دار الكتب العلمية	سنة	١٤١٥ هـ
١٥٣	نفائس البيان شرح الفرائد الحسان	عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي	مكتبة الدار المدينة المنورة	سنة	١٤٠٤ هـ
١٥٤	موقع إسلاميات	<a href="http://www.islamiyyat.com">www.islamiyyat.com</a>			
١٥٥	موقع الشيخ سعيد حوى	<a href="http://www.saidhawwa.com">http://www.saidhawwa.com</a>			
١٥٦	موقع صوت الزيتونة	<a href="http://bouzghiba.forumactif.org">/http://bouzghiba.forumactif.org</a>			
١٥٧	النكت والعيون	علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم	دار الكتب العلمية بيروت	بدون	بدون تاريخ

ت	اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	الطبعة	العام
١٥٨	نكت وتنبهات في تفسير القرآن المجيد	أبو العباس البسيلي التونسي ( ٨٣٠ هـ )	مطبعة النجاح الجديدة	الأولى	١٤٢٩ هـ
١٥٩	نيل السائرين في طبقات المفسرين	محمد طاهر	دار القرآن - باكستان	الثالثة	١٤٢١ هـ
١٦٠	الوسيط في تفسير القرآن المجيد	علي بن أحمد الواحدي النيسابوري تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون	دار الكتب العلمية بيروت	الأولى	١٤١٥ هـ

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	ملخص الرسالة
٦	شكر وتقدير
٧	المقدمة
١٠	أهداف البحث
١١	أهمية الموضوع
١٢	أسباب اختيار الموضوع
١٤	بيان الجهود والدراسات السابقة في الموضوع
١٧	منهج البحث
١٨	طريقة السير في البحث
١٩	هيكل البحث
٢٤	التمهيد: التعريف بالتناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحاً
٢٨	الباب الأول: بين يدي السورة الكريمة
٢٩	الفصل الأول: التعريف بالسورة وما اشتهر لها من أسماء
٣٠	المبحث الأول: التعريف بالسورة لغة واصطلاحاً
٣٣	المبحث الثاني: اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء
٣٦	الفصل الثاني: ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها
٣٧	المبحث الأول: أهمية معرفة فضائل السور، وما قاله العلماء في ذلك
٤١	المبحث الثاني: ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها
٤٥	الفصل الثالث: عدد آيات السورة، وتاريخ نزولها
٤٦	المبحث الأول: عدد آيات السورة واختلاف علماء العد في ذلك

الصفحة	الموضوع
٥١	المبحث الثاني: تاريخ نزول السورة
٥٤	الفصل الرابع: تعريف المكي والمدني وفائدة معرفتهما، وثبوت مكية السورة ، ومناسباتها لما قبلها وما بعدها ، ووجه اختصاصها بما اختصت به
٥٥	المبحث الأول: المكي والمدني من السورة وفائدة معرفته
٥٦	المطلب الأول: تعريف المكي والمدني من السورة
٥٧	المطلب الثاني: فائدة معرفة المكي والمدني في القرآن
٥٨	المطلب الثالث: المكي والمدني في السورة
٦١	المبحث الثاني: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها
٦٢	المطلب الأول: الفائدة من معرفة المناسبات بين السور والآيات
٦٥	المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها
٦٧	المطلب الثالث: مناسبة السورة لما بعدها
٦٩	المبحث الثالث: وجه اختصاص السورة بما اختصت به من موضوعات
٧١	الفصل الخامس: مقاصد السورة وأهدافها
٧٦	الفصل السادس: الوحدة الموضوعية
٧٩	الفصل السابع: مناسبات السورة الكريمة
٨٠	المبحث الأول : مناسبة اسم السورة لموضوعاتها
٨٤	المبحث الثاني : مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها
٨٨	المبحث الثالث : مناسبة فاتحة السورة لخاتمها
٩١	الباب الثاني: موضوعات السورة الكريمة وتناسقها
٩٢	الفصل الأول: اثبات وقوع البعث، أهواله، وأقسام الناس فيه: ويشمل الآيات (٥٦-١)
٩٣	المبحث الأول : اثبات وقوع البعث وأهواله

الصفحة	الموضوع
٩٤	المطلب الأول: تناسق آيات المقطع مع المطلع وهو ما يسمى ببراعة الاستهلال
٩٦	المطلب الثاني: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة
٩٧	المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع
١١٠	المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع
١١١	المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه الآيات
١١٢	المبحث الثاني: أقسام الناس يوم القيامة
١١٣	المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة
١١٤	المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والموضوع السابق
١١٦	المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع
٢١٢	المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع
٢١٤	المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه آيات الموضوع
٢١٦	الفصل الثاني: إثبات البعث بالأدلة العقلية الحسية، والقسم بشرف القرآن الكريم وحقيقته: ويشمل الآيات (٥٧-٨٠)
٢١٧	المبحث الأول: إبراز مظاهر توحيد الله وقدرته على البعث من خلال إثبات أدلة قدرته على بدء الخلق وإنبات الزرع وإنزال الماء وإنشاء النار
٢١٨	المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة
٢١٩	المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والموضوع السابق
٢٢٣	المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع
٢٦٥	المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع
٢٦٨	المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه آيات الموضوع
٢٧٠	المبحث الثاني: القسم العظيم من الرب العظيم على شرف كلامه العظيم وصدقه



الصفحة	الموضوع
٢٧١	المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة
٢٧٢	المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والموضوع السابق
٢٧٤	المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع
٢٨٥	المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع
٢٨٦	المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه آيات الموضوع
٢٨٧	الفصل الثالث : وصف حال الإنسان عند الموت، وأحوال الناس بعد الموت ومآلهم: ويشمل الآيات (٧٥-٩٦)
٢٨٨	المبحث الأول: وصف حال الإنسان عند الموت
٢٨٩	المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة
٢٩١	المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والموضوع السابق
٢٩٣	المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع
٣٠٣	المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع
٣٠٤	المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه آيات الموضوع
٣٠٥	المبحث الثاني: أحوال الناس بعد الموت ومآلهم
٣٠٦	المطلب الأول: ربط الموضوع بالمحور الاساسي للسورة
٣٠٧	المطلب الثاني: التناسق والرابطة بين موضوع الآيات والموضوع السابق
٣٠٨	المطلب الثالث: التناسب بين الجمل والآيات في الموضوع
٣١٩	المطلب الرابع: المعنى الإجمالي لآيات الموضوع
٣٢٠	المطلب الخامس: أهم ما ترشد إليه آيات الموضوع
٣٢٢	الخاتمة
٣٢٧	الفهارس
٣٢٩	فهرس الآيات القرآنية
٣٤٨	فهرس الأحاديث النبوية والآثار

الصفحة	الموضوع
٣٥٠	فهرس الأعلام
٣٥٣	فهرس المصادر والمراجع
٣٧٤	فهرس الموضوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ